الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي–جيجل–

كلية الآداب واللغات قسم اللّغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

عنوان المذكرة

الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني

"سورة مريم" – أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة المّاستر تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبتين: إشراف الأستاذ:

- ✓ ربيعة بوطغان
- ✓ هدى بوفنش

د. عبد الرحمن مزرق

لجنة المناقشة:

د/ عيسى لحيلح	جامعة جيجل	رئيسا
د/ عبد الرحمن مزرق	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
د/ محمد بولحية	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 1440هـ/1441هـ – 2019/2020م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي–جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

عنوان المذكرة

الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني

"سورة مريم" – أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة المّاستر تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبتين:

- ✓ ربيعة بوطغان
- ✓ هدى بوفنش

إشراف الأستاذ:

د. عبد الرحمن مزرق

لجنة المناقشة:

د/ عيسى لحيلح	جامعة جيجل	رئيسا
د/ عبد الرحمن مزرق	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
د/ محمد بولحية	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 1440هـ/1441هـ – 2019/2020م

الدعاء

اللّهم ارزقنا نجاحًا في كلّ أمر

ونـــيلا فـي كـــلّ مقـــصد

وارزقنا القمّة في درجات علمك

اللّهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا

ولا بالـــيأس إذا أخفـقـنا

وذكّرنا أنّ الإخفاق هو التجربة

الّتي تسبق النّجاح

اللّهم آمين

شكر وعرفان

نحمد الله ونشكره وهو الأحق من يشكر على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث

كما لا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "عبد الرحمان مزرق" على الجهود الّتي بدلها معنا طيلة فترة إنجازنا لهذا البحث وعلى نصائحه القيّمة وإرشاداته ودعمه لنا

ونتوجّه بالشّكر أيضا إلى كل الأساتذة الأفاضل في قسم اللّغة والأدب العربي بجامعة جيجل إيمانا بفضلهم واعترافا بجميلهم بكلّ ما قدّموه لنا، وإلى كلّ من ساندنا من قريب أو بعيد.

مقدمـــة

تعدّ التّداولية فرعا من فروع اللّسانيات الحديثة، وهي علم جديد لدراسة التّواصل اللّغوي داخل الخطابات أي دراسة اشتغال اللّغة فيها من خلال الاهتمام بالسّياق.

ظهرت في الخمسينيات من القرن العشرين ردّا على النظريات اللّسانية السّابقة (البنيويّة، التّوليدية التّحويلية)، الّتي ركزت على الجانب الشّكلي للّغة.

قطعت في تاريخها أشواطًا مهمّة ومرّت بالعديد من المراحل والتّحولات، فبعدما كانت توصف من قبل بأنّها سلّة مهملات اللّسانيات، أصبحت حقلاً معرفيّا خصبًا ومتجدّدًا لا حدود تحدّه ولا حواجز تمنعه من اقتحام حقول أخرى، متحولة بذلك إلى ملتقى العلوم والاختصاصات.

وتعنى بأقطاب العملية التواصلية، فهي تهتم بالمتكلّم ومقاصده، وتراعي حال السّامع أثناء الخطاب كما تهتمّ بالظّروف والأحوال الخارجيّة المحيطة بالعمليّة التّواصلية، ضمانًا لتحقيق التّواصل من جهة ووصولاً إلى غرض المتكلّم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

وتقوم باعتبارها علمًا تواصليّا جديدًا على العديد من المباحث والقضايا، حصرها الدّارسون في الإشاريات الأفعال الكلاميّة، الحجاج، الاستلزام الحواري والافتراض المسبق، والّتي ستكون محور دراستنا.

ولمّا كان الخطاب القرآني يرمي إلى إرشاد النّاس ونصحهم، وإقناعهم بالتّخلي عن معتقداتهم والإيمان بالعقيدة الجديدة، بالاعتماد على عنصر التّبليغ للتّأثير على المتلقّي، ونظرا لما تتمتّع به لغته من إيحاءات وأقوال حجاجيّة وأبعاد سياقيّة فهو خير ما يجسّد هذه المباحث التّداولية.

من هذا المنطلق جاءت هذه الدّراسة موسومة بـ: **الأبعاد التّداولية في الخطاب القرآني– سورة مريم أنموذجا–** محاولة للإجابة على الإشكاليّتين المحوريتين الآتيتين:

– ما هي التّداولية؟ وما أبعادها؟

- كيف تتجسّد في الخطاب القرآني؟ وما مدى مساهمة دراستها في فهم مقاصده في سورة مريم؟

وتتفرّع هاتين الإشكاليّتين إلى مجموعة من الأسئلة:

- ماذا نعني بالإشاريات؟ ما هي الأنواع الواردة في سورة مريم؟ وما دورها في فهم مقاصد المتكلّم؟.

- ما هي الأفعال الكلامية؟ كيف تتجسّد في خطاب السّورة؟ وما دورها في فهمه؟.

- ما هو الحجاج اللّغوي؟ وما هي أهم الآليات الحجاجيّة اللّغوية الّتي تنطوي عليها سورة مريم؟ وما مدى مساهمتها في عملية التّأثير والإقناع؟.

- ما هو الاستلزام الحواري؟ وكيف يمكن لجملة أن تحمل بالإضافة إلى معناها المباشر معنى آخر؟.

وقد تطلّب موضوع بحثنا تقسيمه إلى ثلاثة فصول تسبقهم مقدّمة وتليهم خاتمة طبعًا تشمل أهمّ ما خلص إليه البحث.

قسّمنا الفصل الأوّل المعنون بـ "التّداولية والخطاب" إلى خمسة مباحث، تطرّقنا في المبحث الأول إلى مفهوم التّداولية، المبحث الثّاني نشأة التّداولية وتطوّرها، المبحث الثّالث مهام التّداولية واتّجاهاتها، أمّا المبحث الرّابع فتناولنا فيه درجات التّداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى والمبحث الخامس تعرضنا للخطاب بشكل عام والخطاب القرآني بشكل خاص.

الفصل الثاني، كان بعنوان "الأبعاد التّداولية"، وقد جاء في خمسة مباحث أيضا، تناولنا في المبحث الأول الإشاريات، وفي المبحث الثّاني أفعال الكلام عند كلّ من "أوستين""Austin"و"سورل""Searle"، وفي المبحث الثّالث الحجاج اللّغوي عند "ديكرو""Ducrot"وفي المبحث الرّابع الاستلزام الحواري عند "غرايس""Grice" وفي المبحث الخامس متضمنات القول (الافتراض المسبق والأقوال المضمرة).

أمّا الفصل الثّالث، والّذي يمثّل الجانب التّطبيقي من البحث والموسوم بـ "الأبعاد التّداولية في سورة مريم" فقد تطـرّقنا فيه إلى أربعة من أهمّ القضايا التّداولية في سـورة مـريم، وقد قسّم بـدوره إلى خمسة مـباحث خصّصنا المبحث الأول للتّعريف بالمدوّنة، والمبحث الثّاني لدراسة الإشاريات في سورة مريم، أمّا المبحث الثّالث فقمنا فيه بدراسة أفعال الكلام في الـسورة حسب تصنيف "سورل""Searle"، كما خصّص المبحث الرّابع لدراسة الحجاج اللّغوي والمبحث الخامس للاستلزام الحواري في السورة ممثّلا في الأغراض المستلزمة للأساليب الخبريّة والإنشائية باعتبارها خير ما يجسد هذا البعد التداولي.

أمّا الخاتمة فقد تضمّنت أهمّ الـنّتائج الّتي توصلنا إليـها من خلال هذا البحـث.

وقد استندنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: "آفاق البحث اللّغوي المعاصر" لـ"محمود أحمد نحلة" و"استراتيجيات الخطاب" لـ"عبد الهادي بن ظافر الشهري"، "الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني" لـ"العياشي أدراوي" و"التّداولية أصولها واتّجاهاتها" لـ "جواد ختام"، "اللّغة والحجاج" لـ "أبي بكر العزّاوي".

وكـذلك مجموعة من التّفاسير أهـمّها: "تفسير المراغي" لـ "أحـمد مصطفى الـمراغي" "تفسير القرآن الكريم لـ"ابن الكثير"، بـالإضافة إلى مـجموعة مـن المعاجم والكـتب التّراثية أهـمّها: "لسان العرب" لـ "ابن منظور" "البيان والتبيين" لـ "الجاحظ"، و"الصناعتين" لـ "أبي الهلال العسكري".

كما اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي مع استعمالنا لآليات تحليليّة مقدرين أنّ ذلك الأنسب لمثل هذه المواضيع.

أمّا عن أسباب اختيـارنا لهذا المـوضوع فيعود إلى اهتـمامنا بالـدّراسات اللّغوية عـامّة والتّداولية خاصّة وفيما يخصّ اختيار الخطاب القرآني فيعود إلى كونه أرقى الخطابات وأسماها لأنّه خطاب ربّاني صادر من الله تعالى

أنزله على نبيّه محمد – صلى الله عليه وسلم– ليخاطب الإنسانيّة جمعاء في كلّ زمان ومكان، وهو خطاب يعلى ولا يعلى عليه، كما يعود أيضا إلى الرّغبة في الكشف عن الأبعاد التّداولية فيه واستثمارها في فهمه والعمل به.

أمّا اتّخاذ سورة مريم كمدوّنة للبحث فيعود إلى اتساع السّياق فيها بتعدد الموضوعات والقصص وما تضمّنته من وحدات لغويّة ومحاورات وحجاج، ممّا يجعلها ميدانًا خصبًا تتجلّى فيه القضايا التّداولية.

وفيما يخصّ الدّراسات السّابقة لهذا الموضوع فقد تحسّدت في بعض الإسهامات المهتمّة بالتّداولية في الخطاب القرآني والّتي ركّزت في الجانب التّحليلي على الأفعال الكلاميّة في أغلبها.

وأحسن نموذج نمثّل به هذه الدّراسات هما البحثين الموسومين بـ"الأبعاد التّداولية في الخطاب القرآني –سورة البقرة– أنموذجا وهي مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، من إعداد الطالب "عيسى تومي" جامعة الحاج لخضر باتنة، والّتي درس فيها ثلاث مباحث تداوليّة في سورة البقرة، وهي الأفعال الكلاميّة، الاستلزام الحواري والحجاج أمّا البحث الثّاني والموسوم بـ"الأبعاد التّداولية في مقامات الحريري" وهي مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير أيضا من إعداد الطالب "النذير ضبعي"، جامعة الحاج لخضر باتنة، وقد تناول فيه ثلاث مباحث تداوليّة هي الإشاريات وأفعال الكلام والحجاج.

أمّا الدّراسات الأخرى فقد تناولت في أغلبها مبحثًا واحدًا فقط ونذكر منها البحث المعنون بـ"الأفعال الكلامية في القرآن الكريم –سورة البقرة– دراسة تداوليّة، وهي أطروحة دكتوراه من إعداد الطالب "محمد مدوّر" جامعة الحاج لخضر باتنة والّتي قامت على دراسة الأفعال الكلاميّة في سورة البقرة، والبحث الموسوم بـ"التفكير التّداولي في كتاب الحروف لـ "أبي نصر الفرابي" وهي أطروحة دكتوراه من إعداد الطالبة "بن شريط نصيرة"، جامعة محمد بوضياف المسيلة، والّتي ركّزت في جانبها التّطبيقي على الأفعال الكلاميّة أيضا، نجد أيضا البحث المعنون بـ"المكوّن التّداولي في النّظرية اللّسانية العربية ظاهرة الاستلزام التّخاطبي –أنموذجا– وهي أطروحة دكتوراه من إعداد الطالبة "كادة ليلى" جامعة باتنة والّتي ركّزت فيها على مبحث واحد هو الاستلزام الحواري.

ورغم ما واجهنا من صعوبات والّتي كان أبرزها تزامن إنجاز بحثنا مع تفشي جائحة "كورونا" وما انجرّ عنه من فرض حجز صحّي منزلي، وغلق المؤسّسات الجامعية والمكتبات الخارجيّة فإنّ ما سيذكر هو ما جنيناه من فائدة فيما يخصّ الخطاب القرآني "سورة مريم" باعتبار القرآن نصّا إلهيّا عظيما.

في الختام، لا يسعنا إلّا أن نسأل الله التوفيق، والهداية إلى أقرب طريقة، أنّه وكيل ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم المصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفصل الأول: التّداولية والخطاب

- **المبحث الأول: مفهوم التّداولية**
  - ✓ **المطلب الأول: التّداولية لغة.**
  - ✓ **المطلب الثاني: التّداولية اصطلاحا.**
- **المبحث الثاني: نشأة التّداولية وتطوّرها**
  - ✓ **المطلب الأول: نشأة التّداولية عند الغرب.**
  - ✓ **المطلب الثاني: نشأة التّداولية عند العرب.**
- **المبحث الثالث: مهام التّداولية واتجاهاتها**
  - ✓ **المطلب الأول: مهام التّداولية.**
  - ✓ **المطلب الثاني: اتجاهات التّداولية.**
- **المبحث الرابع: درجات التّداولية وعلاقاتها بالعلوم الأخرى**
  - ✓ **المطلب الأول: درجات التّداولية.**
  - ✓ **المطلب الثاني: علاقاتها بالعلوم الأخرى.**
- **المبحث الخامس: الخطاب والخطاب القرآني**
  - ✓ **المطلب الأول: مفهوم الخطاب.**
  - ✓ **المطلب الثاني: الخطاب القرآني.**

المبحث الأول: مفهوم التّداولية

المطلب الأوّل: التّداولية لغة

1- في المعاجم العربية:

تتّفق المعاجم العربية على أنّ التّداولية من الجدر "دول" حيث يرى "الزمخشري" في معجم أساس البلاغة أنّ «دول: دالت له الدّولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه، وأديل المؤمنين على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المؤمنين يوم أحد (..) والله يداول بين الناس مرة لهم ومرة عليهم (...) وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما».[1]

كما وردت مادة "دول" في "مقاييس اللّغة" على أصلين: أحدهما يدلّ على تحوّل الشيء من مكان إلى مكان آخر، والثاني يدلّ على الضعف والاسترخاء، ومنه يقول ابن فارس: «أندال القوم إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدّولة لغتان، ويقال: والدّولة في الحرب والدّولة في المال، وإنّما سميا بذلك من قياسه الباب، لأنّه أمر يتداولونه فيتحوّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا»[2] .

أمّا ابن منظور في معجمه لسان العرب يقول: «.....تداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر....، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرّة وهذا مرّة»[3].

[1] الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم شوقي المعري، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1998، ص 245.

[2] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح وضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص 426.

[3] ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، ط1، 1426هـ، 2005م، ص 350 .

وفي"قاموس المحيط" «تداولوه، أخذوه بالدول، ودواليك أي مداولة على الأمر أي تداول بعد تداول» [1].

نلاحظ أنّ المعاجم العربية لا تخرج في تعريفاتها عن معاني التّحول والتبدل والانتقال سواء أكان من مكان إلى آخر أو من حالة إلى أخرى ممّا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التّحول أو التّغير أو التّبدل أو التّناقل «وتلك حال اللّغة، متحولّة من حال لدى المتكلّم إلى حال أخرى لدى السّامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم» [2].

2- في القرآن الكريم:

ورد جذر "دول" في القران الكريم في عدة مواضع وكانت كلّها تحمل المعنى نفسه، كقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [3]، وقوله أيضا: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [4].

فسّر" الزمشخري" الآية الأولى قائلا: «كي لا يكون الفيء الّذي حقّه أن يعطي الفقراء ليكون له بلغة يعيشون بها، جدا بين الأغنياء يتكاثرون به أو كي لا يكون دولة جاهلية بينهم، ومعنى الدّولة الجاهلية (هنا) أنّ الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنّهم أهل الدّولة والغلبة» [5]، أمّا الآية الثانية ففسّرها بما يلي «نداولها:

---

[1] الفيروز أبادي: قاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص 1014.

[2] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة العلمية، الجزائر، ط1، 2009، ص148.

[3] سورة الحشر، الآية 7.

[4] سورة آل عمران، الآية 140.

[5] الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض ط1، 1998، ص 1417 .

نصرفها بين الناس، نديل تارة هؤلاء وتارة لهؤلاء»[1]. وعليه فإنّ دلالة مادة دول في القرآن نجد أنّها لا تختلف في معناها عمّا ورد في المعاجم العربية.

3- في المعاجم الأجنبية:

إنّ كثيرا من الناس يخلطون بين اللّسانيات التّداولية (pragmatique) ومذهب الذرائعية pragmatisme[2]، فقد وردت كلمة «pragmatique بمعنى عملي وأمّا كلمة pragmatisme فهي مذهب عملي يقوم على أنّ صدق قضية ما هو في كونها مفيدة»[3].

نجد أنّ التّداولية في المعاجم الأجنبية ارتبطت بصفة النّفعية العملية والذرائعية.

أمّا في معجم تحليل الخطاب فجاءت بمفهوم مغاير لما سبق حيث «أنّ التّداولية في استعمالها صفة، وهي مكوّن للّغة بجانب المكوّن الدّلالي والمكوّن التّركيبي، وقد جاء هذا المفهوم من تفسير "شارل موريس" "Charler W Mouris" 1938 لتطوّر اللّغة لثلاثة ميادين وهي: التّركيبية، الدّلالة، التّداولية والّتي تهتم هذه الأخيرة بعلاقات العلامات بمستعمليها واستعمالها وآثارها»[4].

إلاّ أنّ التّرجمة الأكثر ملائمة للتّداولية هي المصطلح الانجليزي pragmatics ويراد به دراسة استعمال اللّغة في مقابل النسق اللّغوي.

وبذلك فمصطلح التّداولية يبدو أكثر تعلّقا بوظيفة اللّغة من المصطلحات الأخرى، وهذا أهمّ ما حمل التعريف اللّغوي في طيّاته .

---

[1] الزّمخشري: الكشّاف، كتاب الإسلام، مرجع سابق، ص 220.

[2] ينظر الجيلالي دلاس: مدخل إلى اللّسانيات التّداوليّة، تر: محمّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص53.

[3] yousef M Reda : Al – kamel, dictionnaire du français classique contemporaine français – arabe, libraire du liban , publishers, P997 .

[4] باتريك شارودو، دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، دط، 2008، ص 442.

المطلب الثاني: التّداولية اصطلاحا

1- عند الغرب:

أشار العديد من الباحثين الغربيين إلى مفهوم التّداولية إلاّ أنّ انطلاقاتهم كانت من الدّرس الفلسفي والمنطقي على وجه الخصوص، إذ قدّم "شارل موريس" "Charles W Moris" أقدم تعريف للتّداولية في مقال كتبه في موسوعة علمية، حيث ميّز بين ثلاثة أقسام لعلم العلامة وهي الدّلالة والنّحو والتّداولية، هذه الأخيرة «الّتي تعنى في رأي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والّذي استقرّ في ذهنه أنّ التّداولية تقتصر على دراسة ضمائر المتكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا)، والتّعابير الّتي نستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللّغة نفسها، أي من المقام الّذي يجري فيه التّواصل»[1]، فموريس يجعل التّداولية جزءا من السيميائيات الّتي تعالج العلامات .

بعد سنة اقترح "رودولف كارناب" "Rudolf Carnab" تعريفا للتّداولية وأقرنها بعلم التّخاطب على أنّها «حقل البحوث الّتي تأخذ في اعتبارها نشاط الإنسان الّذي يتكلّم أو يسمع العلامة اللّغوية وحالته ومحيطه»[2]، حيث قام مختلف اللّغويين باستخدام اللّغة في إطار علاقتها بالسياق.

أمّا "ويليام سميث" "W Smith" فيرى «أنّ الدراسات التركيبية هي دراسة كيف تتعلّق العلامات بعضها ببعض، والدراسات الدّلالية هي دراسة كيف تتعلّق العلامات بالأشياء، والتّخاطبية هي دراسة كيف تتعلّق العلامات بالناس»[3] .

[1] آن روبول، جاك موسلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد شيباني، م لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 29.

[2] محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، ط2، 2007، ص137.

[3] المرجع نفسه، ص137 - 138.

في حين عرّفها كلّ من "ماري ديبر" "Anne Marie" و"فرا نسوا ريكانتي" " François Récanti" على أنّها: «دراسة استعمال اللّغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية ، وتهتم هنا بالمعنى كالدّلالة الّتي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها، وهناك تعريف آخر لـ "جاك فرانسيس" "Jacquse Francis" تتطرّق التّداولية إلى اللّغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا»[1] أي أنّ التّداولية تهتم بجانبين: دراسة اللّغة في استعمالها، والقدرة الإنجازية الّتي تحققها الجملة.

2- عند العرب:

برزت جهود جادّة في هذا المجال على الرّغم من قلّتها، ومن أهمّها جهود الباحث "طه عبد الرحمان"، الّذي قام بترجمة المصطلح الأجنبي (pragmatiques) بالتّداوليات عام (1970) حيث يقول: «وقد وقع اختيارنا سنة 1970 على مصطلح التّداوليات مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا" لأنّه يوفي المطلوب حقّه باعتبار دلالته على معنيي "الاستعمال" و"التّفاعل" معا ولقي منذ ذلك قبولاً من لدن الدّارسين الّذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»[2].

ومنه فالتّداولية عنده نجدها في قوله: «فالتّداول عندنا متى تعلّق بالممارسة التراثية، هو وصف لكلّ ما كان نطاقا مكانيا وزمانيا لحصول التّواصل والتّفاعل»[3]، أي أنّها مقترنة بالتّواصل والتّفاعل.

أمّا "صلاح فضل" فقد اقترنت عنده بمعنى السياق حيث قال: «التّداولية العلم الّذي يعنى بالعلاقة بين بنية النّص وعناصر الموقف التّواصلي المرتبطة به بشكل منظم، ممّا يطلق عليه سياق النّص، ويأتي مفهوم التّداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية المساحة الّتي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال»[4].

---

[1] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ط3، ص7.

[2] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص28.

[3] طه عبد الرحمان: تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، ص 244.

[4] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1923- 1990، ص23.

أمّا "مسعود صحراوي" فعرّفها على أنّها «إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللّغوي، والتّعرف على القدرات الإنسانية للتّواصل اللّغوي، وتصير التّداولية من ثمّ جديرة بأن تسمى "علم الاستعمال اللّغوي"»[1].

في حين قال "صلاح الدين صالح حسنين" بأنّها «تدرس اللّغة باعتبارها نظام اتصال، أي أنّها تدرس اللّغة دراسة وظيفية، فتجمع إلى جانب النّحو، وهو الّذي يمثّل الدراسة الشّكلية للّغة، التّداولية وهي الّتي تمثّل الجانب الوظيفي للّغة»[2].

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005 ص 1716.

[2] صلاح الدين صالح حسين: الدّلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، دت، ص 187.

المبحث الثاني: نشأة التّداولية وتطورها

المطلب الأول: نشأة التّداولية عند الغرب

اللّسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التّفكير(...) بدأت على يد "سقراط" ثمّ تبعه "أرسطو" والرّواقيون بعد ذلك، لكنّها لم تظهر إلى الوجود كنظرية في الفلسفة إلاّ على يد "باركلي" "Berkeley" فقد كشف عنها بطريقة لم يسبقه فيها فيلسوف آخر[1].

وهي «اتجاه جديد في دراسة اللّغة، يشارك في تنمية البحث فيه دارسون تجاوزا بعض المفـــاهيم اللّغوية الّتي سادت في الفترة الواقعة بين دروس "دي سوسير" "De Saussure" وكتابات "تشومسكي" "Chomsky"»[2].

اهتمّ دارسوا التّداولية «بالمقام اللّغوي وأصبحوا ينظرون في القول ويتساءلون عن علاقة اللّغة بالكلام وجدوى التفريق بينها»[3].

ويعود الاستعمال الأوّل لهذا المصطلح بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس" "Charler W Mouris" الّذي استخدمه سنة (1938) دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات وهذه الفروع هي[4]:

- **علم التراكيب**: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكليّة بين العلامات بعضها مع بعض.

- **علم الدلالة**: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء الّتي تدلّ عليها أو تحيل عليها.

---

[1] ينظر نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، 42 ميدان الأوبرا، القاهرة، دط، دت، ص 167.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص9.

– **التّداولية:** وتهتم بدراسة علاقة العلامات مع مفسّريها.

أمّا استحداثه في الثقافة الغربية فيعود إلى الفيلسوف الأمريكي "تشالز ساندرس بيرس" " Charler Sandres Peirce" (1839-1914) حينما نشر مقالتين في مجلة ميتافيزيقا سنة 1878 و1879 بعنوان "كيف يمكن تثبيت الاعتقاد؟" و"كيف نجعل أفكارنا واضحة؟"، حيث أكّد على أنّ الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية ذلك أنّه مقرون بقيمتين، متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟، فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى، وفي الحالة الثّانية يؤدّي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أنّ الممارسة والتّطبيق والفعل هي الّتي تشكّل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار[1].

ثمّ تبع "بيرس" "Peirce" "ويليام جيمس" "W James" (1842-1910) حيث «وجّه له الانتقاد وخرج بنظرية جديدة للتّداولية»[2].

وقد جاء بعد ذلك رائد الفلسفة التحليلية، الفيلسوف "ع فريجه" "Frege"(1848-1925) الّذي نشأت على يده هذه الأخيرة بمفهومها العلمي الصارم في العقد الثاني من القرن العشرين في "فينا" بالنمسا في كتابه "أسس علم الحساب"[3]. والّذي بدا أثره واضحا على رواد الفلسفة التحليلية المعاصرين أمثال "مور" "Moore"، "رسل" "Russell"، "فتغنشتاين" "Wittgenstein" "كارناب" "Carnap" حيث يقول رسل «نحن ندين بالفضل في كل مسائل التّحليل المنطقي لفريجه»[4].

[1] ينظر باديس لهويل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، الجزائر، العدد التاسع، 2011 ص15.

[2] محمد محمود السيد أبو الحسن: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 2010، ص 08.

[3] ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 18.

[4] أحمد عبد الحليم عطية: الفلسفة التحليلية ماهيتها، مصادرها ومفكروها، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتجية، بيروت لبنان، ط1، 2009، ص64.

فصل" فريجه" "Frege" بين اللّغة العلمية واللّغة العادية، فاللّغة العلمية هي الضّرورية في البرهنة الحسابية، أمّا اللّغة العادية فقد اشترط لها أن تكون متعددة المعاني، كي تتمتّع بثراء الممكنات الّتي تهيئ لها تأدية وظائفها التّواصلية[1]. «فالأولى يجب أن تكون ثابتة المعنى محافظة عليه، بينما الثانية فهي غنيّة ومبهمة وغير واضحة، الأولى تسجل وبدقة عالية روابطها المنطقية، أمّا الثانية فتدع ذلك فضفاضا مضببّا وغير محدّدٍ، وتتمتع اللّغة العلميّة بالاستقلالية عن علاقات التّفاعل والتشخيص، في حين أن اللّغة العادية تظلّ خاضعة لعناصر التّفاعل مشحونة برغبة الإقناع والتّأثر، مستعينة بقواعد البلاغة والانفعال»[2].

وقد تأثّر بالتّجديد الّذي جاء به "فريجه" "Frege" عدد من الفلاسفة منهم «هوسرل "husserl" وكارناب "carnap" وفيتغنشتاين "wittgenstien" وأوستن "austin" وسيرل "searle" وغيرهم والّذين تجمع بينهم مسلّمة عامة مشتركة مفادها أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأوّل على اللّغة فهي الّتي تعبّر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التّحليلية واتجاهاتها»[3].

وتتمثّل اتجاهات الفلسفة التّحليلية في[4]:

– **الوضعانية المنطقية (Posivitisme Logique)**: بزعامة "رودولف كارناب" " Rudolf Carnap"، والّتي تهتم باللّغات الصّورية والمصطنعة واتخاذها بديلا عن اللّغة الطبيعية.

– **الظاهراتية اللّغوية (Phénoménologie du Language)**: بزعامة "ايدموند هوسرل" "Edmund Husserl"، تدرس اللّغة في إطار وجودي، ويؤخذ عليها أنّها انغمست في البحث في أُطر فكرية أعمّ من الكينونة اللّغوية.

---

[1] ينظر محمد محمود السيد أبو الحسن: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 8.

[2] ينظر عمر بوقمرة: التداولية الجذور والروافد (قراءة كرونولوجية)، مجلة آفاق علمية، دورية نصف سنوية، المركز الجامعي تمنراست، العدد 13، 2017 ص216.

[3] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 21.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 22.

– فلسفة اللّغة العادية (Philosophie du Langage Ordinaire): بزعامة "فيتغنشتاين" "Wittgenstein"، وتدرس اللّغة العادية كما يتكلّمها الشخص العادي.

وبذلك يمكن القول أنّ التّداولية انبثقت من رحم التّيار الثالث الّذي أسّسه الفيلسوف "لودفيغ فيتغنشتاين" "Ludwig Wittgenstein"، والّذي يرى في فلسفة اللّغة العادية أن جميع مشكلات الفلسفة تحلّ باللّغة، فاللّغة هي المفتاح السّحري الّذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أنّ الخلافات والتّناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للّغة أو إهمالهم، وراح يطوّر فلسفته الجديدة الّتي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللّغة، فالاستعمال هو الّذي يكسب تعليم اللّغة واستخدامها[1].

وتـقوم فلسفة "فيغنشتاين" "Wittgenstein" الجديدة على ثلاث مفاهيم:

ـ الدّلالة: أكدّ فيه على عدم الخلط بين المعنى المحصل والمعنى المقدر لأنّ ذلك يعني عنده خلطا بين الجملة والقول، فالجملة معناها مقدر أمّا الكلام فمعناه محصل.

ـ القاعدة: يرى في هذا المفهوم أنّه يجب على مستعمل اللّغة أن يراعي التّواضع والاصطلاح الاجتماعي القواعدي، فكما أنّ لعبة الشطرنج لها قواعدها فكذلك اللّغة[2].

ـ ألعاب اللّغة: والمراد بهذا المفهوم أنّ «اللّفظ لا يستعمل للدّلالة على صورة منطقية واحدة، كما في "رسالة منطقية فلسفية" وإنّما يعبّر عن معاني كثيرة بحسب سياق الكلام، ذلك أنّ معنى الكلمة قد يختلف بين استعمال وآخر، لأنّ الكلمة ليست ماهية ثابتة، وإنّما معناها يتجدّد من خلال المواقف الفعلية المختلفة»[3]، وعليه أصبحت «اللّغة صورة عن الحياة، وأداة للفعل والتّأثير»[4].

---

[1] ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 23- 24.

[2] ينظر جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 18- 19.

[3] جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2017، ص 37.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ولكنّ تراث "فيغتشتاين" "Wittgenstein" لم يكتسب مكانته الحقيقية ولم تصبح التّداولية «مجالا يعتدّ به في الدّرس اللّغوي المعاصر إلاّ في العقد السّابع من القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللّغة المنتمين إلى التّراث الفلسفي لجامعة أوكسفورد وهم: أوستين Austin وسيرل Searle وغرايس Grice»[1].

وفي الأخير يمكن القول أنّ «البحث اللّغوي وليد الثقافة الأنجلوسكسونية، وقد استقام سوقه في الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا بسبب الدّور الّذي لعبته الاتجاهات التّحليلية في الفلسفة، وما خلفته النظرية التّوليدية في نموذجها الأول من أعطاب ومشاكل نتيجة تمسّكها باستقلالية التّركيب في إطار صوري محض، ممّا أدّى إلى التّفكير جيدا في البعدين الدّلالي ثمّ التّداولي»[2]، ومن ثمّ غدت التّداولية أحدث الاتجاهات اللّغوية الّتي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللّساني الحديث والمعاصر.

المطلب الثاني: نشأة التّداولية عند العرب

لقد كان للعرب السّبق والرّيادة في مجال الدّراسات التّداولية، ولم يكونوا تابعين للغرب «فقد أخذوا يحلّلون الأساليب اللّغوية، وتوصّلوا إلى نظرية المقاماتية أو المقام لأنّ الكلام يختلف من شخص لآخر، بل يختلف عند نفس الشّخص إذا تغير حاله وحال من يتلقى منه الكلام، فاللّغويون العرب استخدموا مصطلحي الحال ومقتضى الحال وعرّفوا البلاغة بأنّها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[3].

وبذلك يمكن القول أنّ الدّراسات التّداولية عند العرب ترجع إلى الدراسات التنظيرية الأولى عند "سيبويه" و"الجاحظ" و"أبي هلال العسكري"، و"ابن قتيبة" و"حازم الفرطاجني" وغيرهم.

[1] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص9.

[2] إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، ص 266.

[3] محمد محمود السيد أبو الحسن: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص09.

فلو انطلقنا من «مبدأ القصدية الّذي يعتبر الكشف عنه غاية الأدوات الإجرائية في التّداولية، لوجدنا له أثرا بينا وواضحا عند سيبويه. ففي معرض حديثه عن الأفعال الّتي تقتضي مفعولين، يكشف على أنّ التّأليف النّحوي، أو ما كنا رأيناه عند التداوليين الغربيين يقع تحت تسمية تداولية الدرجة الأولى، أو مستوى التّعبير يخضع في المقام الأول لمراد المتكلم، فأصل"ظننت" على سبيل المثال، أن يتعدى إلى مفعولين صريحين نحو: ظننت الجوّ صحوا، أو غير صريحين يتقمصان صورة الجملة المصدرية"»[1] نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[2].

أمّا "الجاحظ" فقد جعل من شروط التّواصل الناجح أن يراعي المتكلم مخاطبه إذ لا «يكلّم سيد الأمة بكلام الأمّة ولا الملوك بكلام السوقة»[3]، فـ «ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما ولكلّ حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[4].

[1] بن شريط نصيرة: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفرابي، إشراف قويدر شنان، مذكرة دكتوراه، 2016-2017، ص 31.

[2] سورة البقرة، الآية 249.

[3] ينظر بن شريط نصيرة: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفرابي، مرجع سابق، ص33.

[4] الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط7، 1988، ص 138- 139 .

وأشار أنّه «لا عبرة أن يعمد المتكلّم إلى ألفاظه فينتقيها انتقاء، ثم ينظمها على ما يقتضيه مقصده ومبتغاه في الكلام، ثمّ لا يقيم مع ذلك وزنا للسّامع من حيث قدرته على الفهم، أو مخالطته لفنون وأضرب الكلام. وهذا قد يكون من معايب المنشئ خاصة في مجال الخلق الأدبي، ولا نبالغ حيث نقول أنّ السّامع لا يراعى في مستوى التركيب فحسب، بل حتى في اختيار الأصوات المفردة، إذ لابدّ أن ينتقي المتكلّم من اللّغة أخيرة التواصل ما كان من الألفاظ سهلا معتادا، غير حوشي ولا معقّد التّأليف»[1].

أمّا "أبو هلال العسكري" فيرى من خلال كتابه الصّناعتين أنّ السامع يغدو معيار الكلام أحيانا، فتحدّد درجته بناءا على ردّة فعله حيّاله[2] «إذا كان الكلام قد جمع العذوبة، والجزالة والسّهولة، والرّصانة مع السّلاسة والنّصاعة، وأشتمل على الرّونق والطلاوة، وسلم من حيف التّأليف وبعد عن سماجة التّركيب، وورد على الفهم الثّاقب قبله ولم يردّه، وعلى السّمع المصيب استوعبه ولم يمجّه، والنّفس تقبل اللّطيف وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسي(الصلب)..... »[3].

أمّا "حازم القرطاجنّي" فيرى أنّه قد تنتهك بعض خصوصيات الخطاب بقدر ما تحقّق الغاية المرجوة من ذلك الانتهاك المقصود[4]، وذكر لذلك الإجراء نموذجين:[5]

الأول: استعمال الإقناعات وهي خاصية ملازمة للحجّاج في فنّ الخطابة وفنّ الشّعر.

الثاني: استعمال التّخييل الّذي هو قوام الشعر وفي مقولات الخطابة.

[1] ينظر بن شريط نصيرة: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفرابي، مرجع سابق، ص33.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق محمد البجاوي، محمد أبو الفصل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دط 1986، ص 57.

[4] ينظر بن شريط نصيرة: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفرابي، مرجع سابق، ص 34.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أمّا عن ظهور مصطلح التّداولية في العالم العربي وانتشاره، فإنّ أوّل من أسّس وترجم لهذا المصطلح هو الدكتور "طه عبد الرحمان"، وذلك بوضعه «مصطلح التّداولية مقابل المصطلح الأجنبي المترجم Pragramatics وذلك عام 1970»[1].

وفي هذا الصّدد يقول «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التّداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنّه يوفي المطلوب حقّه باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال والتّفاعل، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدّارسين الّذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»[2].

ومن أبرز كتب الدكتور "طه عبد الرحمان"، نذكر ما يلي[3]:

-**كتاب "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"**، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، بيروت 1987م.

- **كتاب "اللّسان والميزان أو التّكوير العقلي"**، المركز الثقافي العربي، بيروت 1998م.

يتّضح ممّا سبق أنّ للعرب السّبق والرّيادة في تناول الدّراسة التّداولية الّتي تبدو جليّة وواضحة في أعمالهم البلاغية وحديثهم عن المقام الّذي هو أساس التّداولية فهو نقطة اشتراك بين البلاغة والتّداولية.

[1] إدريس مقبول: الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، مرجع سابق، ص 262.

[2] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص 28.

[3] محمد محمود السيد أبو الحسن: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص11.

المبحث الثّالث: مهام التّداولية واتّجاهاتها

المطلب الأوّل: مهام التّداولية

يمكن تلخيص مهام التّداولية فيما يلي:

– دراسة استعمال اللّغة، الّتي لا تدرس البنية اللّغوية ذاتها، ولكن تدرس اللّغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها "كلاما محدّدا" صادرا من "متكلّم محدّد" وموجّها إلى "مخاطب محدّد" بـ "لفظ محدّد" في "مقام تواصليّ محدّد" لتحقيق "غرض تواصلي محدّد".

– شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

– بيان أسباب أفضلية التّواصل غير المباشر وغير الحرفي على التّواصل الحرفي المباشر.

– شرح أسباب فشل المعالجة اللّسانية البنيويّة الصرفة في معالجة الملفوظات[1].

– تفسير العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللّغة والتواصل والإدراك[2].

– بيان القواسم المشتركة بين الفروع المشتغلة بهذه الأنشطة أي (علم اللّغة وعلم التّواصل وعلم النّفس المعرفي) ودراسة الوجوه الاستدلالية للتّواصل الشّفهي، فتقيم من ثمّ روابط وشيجة بين علمي اللّغة والتّواصل.

– العناية بالشّروط اللاّزمة كي تكون الأقوال اللّغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التّواصلي.

– دراسة كيفية ربط اشتراطات نجاح الملفوظ وأسس التّفاعل الإبلاغي ببنية الخطاب وتفسيره.

– دراسة مكوّنات التّخاطب (المخاطَب والمخاطب والخطاب والسياق)، وتأثيرها في المقولات اللّغوية من ناحية

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 26- 27.

[2] بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السباب، لندن، ط1، 2012، ص 38.

التّفسير والتّأويل[1] «فاللّغة الّتي لا نتواصل بها ليس لها وجود»[2].

إذ أنّ التّكلم نشاط معقّد «فكلّ عبارة منطوقة تعتبر وسيلة حياتية منتجة يجب أن تصمم لتأخذ غرضا محدّدا»[3]، فالأمر يتعلّق بـ «سلوك ذي طبيعة ضابطة لا بنشاط عملي أو عقلاني صرف»[4]، فاللّغة هناك مقرونة بالوظيفة التّواصلية التّبليغية.

المطلب الثاني: اتجاهات التّداولية

أضحت التّداولية حدثا معرفيا مهمّا يشدّ إليه انتباه الدارسين من مختلف التّخصصات والمجالات، فقد اكتسبت أهمية بالغة بسبب مرونتها وحيويتها وانفتاحها على حقول معرفية متعدّدة، وهو ما أدّى إلى بروز اتجاهات عديدة لها تبعا لتباين وجهات نظر الدّارسين واختلاف منطلقاتهم، وفيما يلي سنقوم بعرض بعض هذه الاتجاهات:

1- اقتراح" كروني Grunig": إنّ الحديث عن التّداولية بالنسبة "لكروني" "Grunig" يقتضي الاعتراف بتعدّدها وتنوّعها، وهو يحتم التّعاطي مع التّداولية بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد، ويتّضح هذا من خلال تمييزها بين التّداولية الإشارية، والتّداولية النفسية، والتّداولية الإنجازية، والتّداولية الموسعة.[5]

2- اقتراح " كيلبر Kilber ": على نهج كروني يقرّ "جورج كيلبر" "J Kilber"بوجود تداوليات بصيغة الجمع بدل تداولية واحدة ويميّز بين:

[1] ينظر بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص38.

[2] سمير الشريف استيتية: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005، ص 275.

[3] روى- س- هجمان: اللغة والحياة والطبيعة البشرية، تر: داوود حلمي أحمد السيد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، ص 165.

[4] كلود حجاج: إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، تر: رضوان ظاظا، مر: مصباح الصمد، بسام بركة، دار الطليعة، بيروت – لبنان ط1، 2003، ص 309 .

[5] ينظر جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 67.

– **التّداولية باعتبارها قاعدة شاملة للنظرية اللسانية:** هذا التّصور يعتبر التّداولية نظرية حاضنة لمختلف المستويات اللّسانية كالتّركيب والدّلالة والصوت، وفي هذا الصدّد يعرف "واندرليش" "Vanderlich" (1972) التّداولية بأنّها نظرية شاملة لمجال الكفاية اللّسانية[1].

– **التّداولية باعتبارها فرعا لسانيا:** يؤكّد "كيلبر""Kilber" ضرورة الفصل بين تصوّر يعتبر التّداولية مكوّنا لسانيا يتعارض مع الدّلالة والتّركيب، يسميه التّداولية المستقلة، وبين تصوّر لا يقيم حواجز فاصلة بين التّداولية وباقي المكوّنات اللّسانية يسمّيه التّداولية الموسعة[2].

– **التّداولية المستقلة (La Pragramatique Autonome):**

تضمّ بعض اللّسانيين أمثال "بارهيل" Barhillel (1954) "مونتاك" R .Montague (1968/1970) و"كاليش" D.Kalish (1967) الّذين يختزلون التّداولية في دراسة الإشاريات، أي كلّ ما يتعلّق بالضمائر، وظروف الزمان والمكان الّتي تقتضي العودة إلى سياق التّلفظ، ويوضح "كيلبر" "Kilber" أنّ وجهة نظر الاختزاليين تأتي من رغبتهم في معالجة القضية الّتي يطرحها تحديد قيمة صدق الجمل مع الإشاريات في اللّغات الشّكلية المنطقية[3].

– **التّداولية الموسعة (La Pragramatique Eclaté):**

تقوم على رفض الفصل الجذري بين الدّلالة والتّداولية، وبالتّالي الاعتراف بأنّ التّداولية ليست مكوّنا لسانيا مستقلا يتعارض مع باقي المكوّنات، خاصّة الدّلالة، وإنّما تتوزع إلى عدّة أجزاء، على نحو يجعلها تتمظهر في مستويات متعدّدة في الآن نفسه، ويؤكّد "كيلبر" "Kilber" أنّ هذا التّصور يفرض التّمييز بين عدّة مستويات

[1] ينظر جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 68.

[2] ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 69.

للتّداولية وهي:

• **المستوى الأول**: يتّصل بالتّداولية المندمجة أو الدّلالة التّداولية كما قدّمها "ديكرو" و"أنكسومبر" " Ducrot " و"Anscomber" ويتأسّس هذا المستوى على إدماج بعض القضايا التّداولية في صلب التّحليل الدّلالي من قبيل الإشاريات والموجّهات، والروابط الحجاجية ..... والخطاطة الّتي اقترحها "كيلبر" تبيّن التّعالق القائم بين الدّلالة والتّداولية.[1]

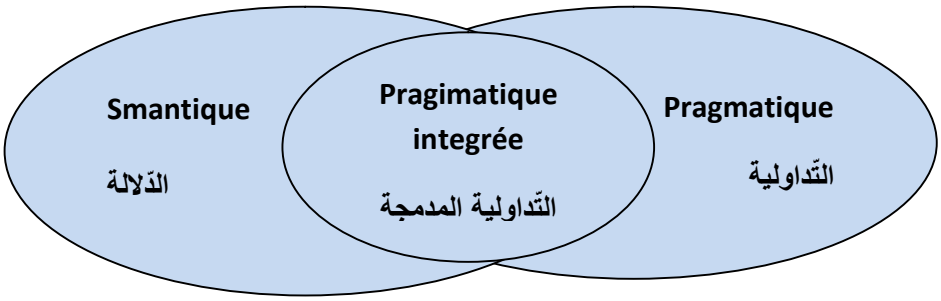

• **المستوى الثاني**: تبلور مع "سورل" Searl (1975)، و"مورغا" Morgan، وتدرس المؤشّرات التّداولية المعبّر عنها من خلال بعض التّعابير على أنّها لا تنتمي للمعنى البنيوي لهذه التّعابير بقدر ما تنتمي للإستلزامات الحوارية.

– **المستوى الثّالث**: وفيه يتحدّث "كيلبر" "Kilber"عن تداولية سياقية، حيث توجد آليات لاشتقاق المعنى السّياقي العام، ويشمل أفعال الكلام كما قدّمها "أوستين" "Austin" و"سورل" "Searle"، كذلك قـوانين الـخطاب عند "ديكرو" "Ducrot" والمسلّمات الحوارية عند "غرايس" "Grice"[2].

3– إقتراح "جاك موشلر" و"آن ربول" "Anne Rupaul" and "j Mochler" :

بالعودة إلى كتابهما المهم "المعجم الموسوعي للتّداولية" نلاحظ أن حديثهما يتمحور حول ثلاث إتجاهات:

[1] ينظر جواد ختام: التّداولية، أصولها واتّجاهاتها، مرجع سابق، ص 70.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص 71.

– **التّداولية الكلاسيكية:** يرتبط هذا الوصف بنظرية أفعال الكلام كما قدّمها "أوستين" "Austin"وراجعها "سورل" "Searle".

– **التّداولية المدمجة:**هي تداولية مندمجة في الدّلالة تهتم بالبنيات الحجاجية المنبثّة في صميم اللّغة، أكثر ممّا تبحث في شروط صدق الملفوظات.

– **التّداولية المعرفية:** والنظرية الأكثر تمثيلية لهذا الاتجاه هي نظرية الملائمة لـ "ولس" و"سبربر" "Wilson" و"Sperber" (1986 أو 1989)، وهي نظرية تتأسّس على فكرة بسيطة مدارها حول مفهوم الإنتاجية أو المردودية، فالذّهن البشري كما يعترف "سبربر" و"ولسن" "Wilson" و"Sperber " يصبو إلى تحقيق الملائمة، وهي ملائمة تتأسّس على التّرابط الوثيق بين مقاصد المتكلّم من جهة والنتائج السياقية الّتي يحصدها المخاطب بعد سلسلة من الجهود من جهة أخرى.[1]

[1] ينظر جواد ختام: التّداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص72- 73.

المبحث الرابع: درجات التّداولية وعلاقاتها بالعلوم الأخرى

المطلب الأوّل: درجات التّداولية

إنّ "هانسونHansson" هو الأوّل الّذي حاول التّوحيد بين مختلف أجزاء التّداولية توحيدا نسقيا مراعيا التّمفصل بين تلك الأجزاء[1]، حيث ميّز بين ثلاث درجات في التّداولية، وعبارة درجات المختارة عوضا عن أجزاء تحدّد فكرة المرور التّدريجي من مستوى إلى آخر، والّذي يكون تبعا لتعقّد السّياق.

1- تداولية الدرجة الأولى:

هي دراسة الرّموز الإشارية أي العبارات الغامضة نسقيا، عبارات معناها غامض ومرجعها يتنوّع نسقيا حسب ظروف استعمالها، أي حسب سياق التّلفظ الّذي يكون عبارة عن موجودات أو محدّدات موجودات سياق وجودي ومرجعي: المتخاطبون وإحداثيات المكان والزمان[2].

حيث تعدّ ضمائر" أنا" و"أنت" و"هو" وإشارات "هذا" و"ذاك" و"الآن" تعابير تختلف إحالتها بالضرورة بحسب ظروف استعمالها، أي وفقا لملفوظها في السياق الّذي تشتق منه قبل إحالتها على فرد "متكلّم" وعلى مكان وفترة زمنية ومن تم تعدّ مكوّنا للدرجة التّداولية الأولى حسب هانسون"Hansson "[3].

2- تداولية الدرجة الثانية:

هي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفّظ بها في الحالات الهامة، إذ ينبغي أن تتميز القضية المعبّر عنها عن الدّلالة الحرفية للجملة، وسياقها يمتدّ إلى ما يحدس به المتخاطبون[4].

---

[1] صابر الحباشة : مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ،قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، دار صفحات للدراسات والنشر، دط، 2011 ص 36 .

[2] صابر الحباشة: الأسلوبية والتداولية، مداخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011، ص 56.

[3] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص 42 .

[4] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية، مرجع سابق، ص 35 .

إنّه سياق معلومات ومعتقدات مشتركة، ومع ذلك فإنّه ليس سياقا "ذهنيا" ولكنّه سياق يعبّر عنه بألفاظ العوالم الممكنة[1].

3- تداولية الدرجة الثّالثة:

هي نظرية أفعال اللّغة، ويتعلّق الأمر بمعرفة ما تمّ من خلال استعمال بعض الأشكال اللّسانية[2]، ويكون السياق هنا أشدّ ثراء وأكثر إطلاقا منه في الحالات السابقة، حيث أنّه قريب إلى الانتساب إلى كفاءة موسوعية أو كفاءات ثقافية أو بين الثقافات وحتى الحس الفردي[3].

والسياق هنا هو المحدّد فيما إذا كان التّلفظ أمرا أو نهيا أو استفهاما، وفيما إذا سقنا مثالا يشكّل تنبيها أو إعطاء أمر[4].

المطلب الثاني: علاقة التّداولية بالعلوم الأخرى

إنّ اهتمام التّداولية بدراسة اللّغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم ذات الصلة المباشرة باللّغة، ومن بينها: علم الدّلالة، علم النفس، علم الاجتماع، البنيوية، البلاغة، وتحليل الخطاب.... وغيرها، وهذا ما أشارت إليه "فرانسواز أرمينكو" "Francoise Armingaud" بقولها: «ونكاد نرى جيدا، على عكس من ذلك إلى أيّ حدّ تكون التّداولية مفترق طرق غنية، لتداخل- اختصاصات اللّسانيين، المناطقة، السيميائيين، الفلاسفة السيكولوجيين، والسوسيولوجيين، فنظام التّقاطعات هو نظام للإلتقاءات وللإفتراقات»[5].

وسنبين فيما يلي الجوانب والنقاط الّتي تلتقي وتختلف فيها التّداولية مع بعض العلوم.

---

[1] صابر محمود الحباشة: الأسلوبية والتداولية، مرجع سابق، ص 56

[2] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية، مرجع سابق، ص189.

[3] صابر الحباشة: الأسلوبية والتداولية، مرجع سابق، ص 57.

[4] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص 62.

[5] المرجع نفسه، ص9.

1- علاقة التّداولية بعلم الدلالة (Sémantique):

يتّفق العلمان في أمور عدّة:

- يهتم علم الدّلالة بالمقام ويسمّى المقام في الدّرس الدّلالي "سياق الحال" ولا شكّ في كون المقام أساس في العمل التّداولي[1].

- يهتم علم الدّلالة بأدوات الرّبط في اللّغة، ومن البيّن أنّ أدوات الرّبط ليست مقصورة على الدّلاليين فقط في توضيح العلاقات بين الوقائع، ولكن يستخدمها التّداوليون أيضا في توضيح العلاقات بين الأحداث اللّغوية وتنتج من خلالها منطوقا لغويا[2].

ولكن وعلى الرّغم من أنّهما يشتركان في الاهتمام بدراسة المعنى في اللّغة إلاّ أنّهما يختلفان في العناية بجوانبه. ويمكن التّفريق بينهما من خلال «الفرق بين الجملتين:

-ماذا تعني "أ"؟

-ماذا تعني أنت بـ "أ"؟

إنّ الفرق بينهما هو أنّ الدّلالة تهتم بالمعنى Meaning في ذاته (الجملة1)، في حين تستحضر التّداولية لفهم المعنى عنصر المتكلّم Speaker أو مستعمل اللّغة User Language (الجملة2) مع ما يقصده من قصود»[3] أي أنّ الدّلالة دراستها محايثة على خلاف التّداولية السياقية.

وأيضا «إذا كانت الدّلالة تستخدم مفهوما مجردا وهو الواقع، أي العالم الممكن فإنّ التّداولية تستخدم مفهوما تجريديا يدلّ على الموقف التّواصلي وهو السياق»[4].

---

[1] محمد محمود السيد أبو حسين: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 17.

[2] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية، مرجع سابق، ص59.

[3] مقبول إدريس: البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد33، يوليو_سبتمبر، ص268.

[4] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص169.

2- علاقة التّداولية بالبلاغة (Rhétorique):

تعرّف البلاغة من قبل البعض بأنّها: «فن القول بشكل عام أو فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، ممّا يجعلها مجرّد أداة نفعية ذرائعية، لكن لو قبلنا كون البلاغة ذرائعية لصار ملزما علينا اعتبار كلّ ما هو صادر من الأشخاص بلاغة وله أهداف نفعية ذرائعية»[1].

فقد عرّفها "أبو هلال العسكري" من الناحية اللّغوية «البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلّغتها غيري .... فسميت البلاغة بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السّامع فيفهمه .... والبلاغ أيضا: التبليغ في قوله عزّ وجلّ: ﴿هَذَا بَلاَغٌ للنَّاسِ﴾»[2].

فالبلاغة إذا تقوم على مبدأ التّبليغ والتّأثير في السّامع أثناء عملية التّواصل، فنلاحظ وجود تداخل بين العلمين ومن بين النقاط الّتي يشتركان فيها ما يلي:

- يشتركان في الإبلاغ والإقناع وبيان المقاصد.

- التّداولية قاسم مشترك بين أبنية الاتصال النّحوية والدّلالية والبلاغية[3].

- يجب على المتكلم أن يكون فصيحا وملتزما بقواعد اللّغة، وأن لا يكون معقّدا في أداء المعاني، فكلّ هذه الجوانب تعنى بها اللّسانيات التّداولية من خلال دراسة اللّغة في سياقات استعمالها[4].

- تعتبر الأدوات البلاغية من تشبيه واستعارات ومجاز مؤشرات تداولية مهمّة تعنى بها القضايا التّداولية[5].

---

[1] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص170.

[2] أبو هلال العسكري: الصناعتين، "الكتابة والشعر"، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت دط، 1986، ص6.

[3] ينظر نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، المرجع السابق، ص 170.

[4] ينظر باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، بسكرة الجزائر، العدد7، 2011، ص 167.

[5] المرجع نفسه، ص 167.

ويؤكّد "ليتش" "Leach" كل هذا في قوله: «أنّ البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلّم والمستمع»[1].

ومنه فالتّداولية والبلاغة وجهان لعملة واحدة، فالبلاغة هي الوجه الثاني للتّداولية ولظهورها، فهي تعتبر الإرهاصات الأولى لهذا العلم الجديد.

3- علاقة التّداولية باللّسانيات (Linguistique):

إنّ جوهر ما تدرسه التّداولية هو الكلام، وهو الجانب الّذي استبعده اللّساني السويسري "فرديناند دوسوسير" "Ferdinand de Saussure" من مجال دراسته وذلك أثناء وضعه لثنائيته الشهيرة (لغة/كلام)، حيث درس اللّغة دراسة محايثة بعيدة عن كلّ ماله علاقة بالخارج فهي حسبه «شيء محدّد تحديدا واضحا، تختلف فيه عن الكلام في أنّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة»[2].

ومعنى هذا أنّ اللّسانيات تهتم أساسا بدراسة نظام اللّغة دون الاعتداد بنوايا المتكلّم ولا بسياق الكلام ولكن لا يمكن عزل اللّغة عن الكلام إلاّ افتراضا وذلك أنّ اللّغة لا يمكن أن تتحقق إلاّ في مستوى الكلام، فكلّ واحد منهما في حاجة إلى الآخر فهما يختلفان فقط في منهج الدراسة.

فموضوع التّداولية مثل اللّسانيات هو اللّغة، وهذا مجال الاشتراك. أمّا ما يختلفان فيه فهو أنّ اللّسانيات تعالج اللّغة بمعزل عن كلّ ما هو خارج اللّغة دراسة نسقية، أمّا التّداولية فتقوم بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال والتركيز على المقصدية والتبليغ في العملية التّواصلية.

---

[1] نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص 170.

[2] فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام تر: بوئيل يوسف عزيز، مر: مالك يوسف المطلبي، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، الأعظمية بغداد، دط، 1985، ص 33.

4- علاقة التّداولية بتحليل الخطاب (L'analyse du Discours):

اختلف علمّاء اللّغة حول مصطلحي التّداولية وتحليل الخطاب، فهناك من يقول أنّهما مصطلحين مترادفين أو مختلفين لمفهوم واتجاه واحد وهناك من يقول أنّ التّداولية هي نوع من تحليل الخطاب، وهذا الأخير على حق إذ أنّها بالفعل نوع من تحليل الخطاب، يركز على أفعال اللّغة وما يرتبط بها من تضمين، وافتراض وكياسة وقواعد تعاونية ومقاصد[1].

ومن هذا نلاحظ أنّ هذين المصطلحين ذوي علاقة قوية ووثيقة ومتلازمة. فهناك تداخل بينهما لأنّ كلاهما يهتم بدراسة النصوص وتحليلها والاهتمام بعناصر الخطاب والغاية المقصدية من وراء ذلك الخطاب، فقد «عرّفت التّداولية على أنّها "دراسة الاتصال اللّغوي في السياق" وهذا التّعريف هو ما يسمح بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب»[2].

5- علاقة التّداولية بعلم الاجتماع اللّغوي (Socio Linguistiques):

التّداولية من منظور اجتماعي «هي أقوال تتحوّل إلى أفعال ذات امتداد اجتماعي بمجرد التلفظ بها»[3] أي أنّها تهتم بالعلاقة بين المتخاطبين وما يتولد عنها من مقاصد وآثار، «فتتأسس الاستدلالات التّداولية على أعراف اجتماعية، ولذلك قد تكون نسبية فمثلا في الملفوظين الآتيين:

-" هل تريد فنجانا من القهوة؟ "

-" إنها تحول بيني وبين النوم ".

كيف عرف السائل أنّ محــاوره يرفض القهوة ؟ وكيف عرف المجيب أنّ القهوة تحول بينه وبين النوم ؟ وكيف تم

[1] ينظر بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص 86.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص 22.
[3] عمر بلخير: مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، دط، 2013، ص 76.

الاتفاق والتواطؤ –بينهما من جهة وبين أفراد المجتمع من جهة أخرى– على ذلك؟

تتمّ هذه المعالجة من خلال المعطيـــات المستقاة من الواقع الخارجي وبتواضع من أفراد المجموعـــات اللّغوية المتواطئة على ذلك»[1]، لم يرد المتلقي إحراج السائل بنفيه لطلبه فأجابه بطريقة غير مباشرة تجنبا لإحراجه وهذا ما يسمى بالمقصدية والإحالة.

6– علاقة التّداولية بعلم النفس اللّغوي (Psycholinguistique):

أدرك علمّاء النفس أنّ الظواهر اللّغوية تكشف عن حقائق نفسية تتعلق بحياة الأفراد والشّعوب، وهي المرآة الّتي ينعكس عليها تاريخهم النفسي فهما مرتبطان ارتباطا كبيرا، فدراسة علم النفس تحتاج إلى دراسة الظواهر اللّغوية، والأخرى تحتاج إليها أيضا، فكلّ دراسة لهذين العلمين دون ملاحظة للأخرى تكون بدون جدوى[2].

فالتّداولية لا تهتم فقط بقصدية المتكلّم بل بالجانب التّأثيري لدى السامع أيضا إذ «لا يتعلّق استيعاب النص بفهم النّصوص والاحتفاظ بها وتذكّرها فحسب، بل بعمليات إدراكية أخرى أيضا»[3].

كما تهتمّ أيضا بـ «دراسة الآليات المعرفية (المركزية) الّتي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، حيث تقيم روابط وشيجة بين اللّغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي»[4]، فلغة الشخص وكلامه وطريقة تلفّظه تكشف الحالة النفسية له.

[1] مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 29– 30.

[2] عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلاوي دار الكتب شبرا، مصر، ط2، 1986، ص111.

[3] تون أ، فان دايك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1 2001، ص 259.

[4] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 28.

وفي الأخير سنحاول تلخيص كل ما سبق في المخطط الآتي:

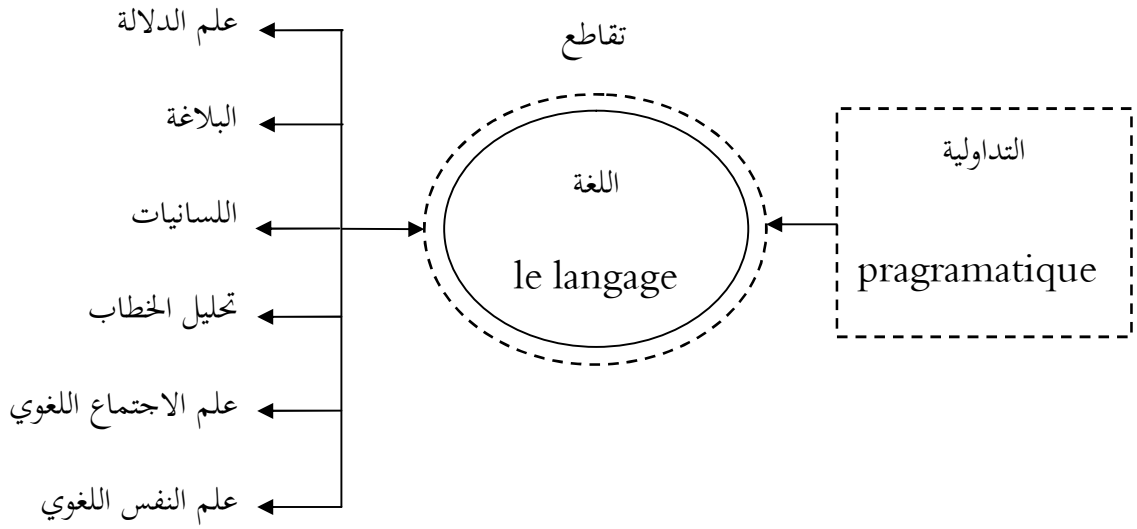

رسم توضيحي يمثل التّداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

المبحث الخامس: الخطاب والخطاب القرآني

المطلب الأول: مفهوم الخطاب

الخطاب من المصطلحات الحداثية، وقد حُظي باهتمام كبير من قبل الدارسين الّذين يتفقون على ريادة اللّساني "زليغ هاريس" "Zelling Harris" في هذا المجال، حيث يعتبر هذا الأخير أوّل من حاول توسيع حدود البحث اللّساني الّذي يدرس الجملة كأعلى وحدة دالة قابلة للدراسة، ما جعله يتعدى حدود الجملة إلى الخطاب.

1-لغة:

الخطاب من زاوية دلالته المعجمية متعدّد المعاني ، فقد جاء في لسان العرب: «خطب: الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ ونقول هذا خطب جليل وخطب يسير، والخطب: الأمر الّذي تقع فيه المخاطبة، والشّأن والحال، ومنه قولهم: جلّ الخطب أي عظم الأمر والشأن (...) والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان»[1].

وفي أساس البلاغة نجد: «خطب فلان: أحسن الخطاب، والخطاب هو المواجهة بالكلام، واختطب القوم فلانا: إذا توجّهوا إليه بخطاب يخثونه فيه على تزوج صاحبتهم ونقول له: أنت الأخطب: البيّن الخطبية»[2].

كما جاء في المعجم الوسيط: «خطب الناس وفيهم وعليهم خطابة وخطبة: ألقى عليهم خطبة، وخطب فلانة خطبا وخطبة: طلبها للزواج، ويقال: خطبها إلى أهلها طلبها منهم للزواج، وخطب كذا: طلبه منه، ويقال خطب ودّه فهو خاطب(ج) خطاب»[3].

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مج2، ج14، 1419هـ-1999م، ص1194.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر، 1992، ص 167- 168.

[3] شوقي ضييف: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، دط، 2004، ص 242- 243.

نستنتج ممّا سبق أنّ مفهوم الخطاب يحيل إلى دلالات لغوية عديدة منها: الخطب: الأمر والشأن، صغر أو عظم، وخطب المرأة خطبة: طلب يدها للزواج، والمخاطبة مراجعة الكلام...

2-اصطلاحا:

2-1- عند العرب:

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية في عدّة مواضع:

- في القرآن الكريم: تردّدت مادة (خ.ط.ب) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة (12 مرة) وقد جاءت بـ :

*لفظ الخطب: خمس مرات (5 مرات) في قوله تعالى:

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1].

- ﴿قَال مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾[2].

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾[3].

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾[4].

- ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[5].

* لفظ "الخطاب" ثلاث مرات في قوله تعالى:

[1] سورة الحجر، الآية 57.

[2] سورة يوسف، الآية 51.

[3] سورة طه، الآية 95.

[4] سورة الداريات، الآية 31.

[5] سورة القصص، الآية23

- ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾[1].

- ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾[2].

ـ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧﴾[3].

* صيغة الفعل ثلاث مرات (3 مرات) أيضا في قوله تعالى:

- ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ﴾[4].

ـ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾[5].

- ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾[6].

* لفظ "الخطبة" مرة واحدة (1 مرة) في قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾[7].

– عند النحاة: ورد اسم المفعول "المخاطب" عند النّحاة للدّلالة على طرف الخطاب الآخر، الّذي يوجه المرسل كلامه إليه، وذلك عند حديثهم عن المضمرات. يقول "ابن يعيش" في شرحه: «والمضمرات لا لبس فيها فاستغنت عن الصفات، لأنّ الأحوال المقترنة بها: حضور المتكلّم والمخاطب، والمشاهدة لهما، وتقدّم ذكر الغائب

[1] سورة ص، الآية 20.
[2] سورة ص، الآية 23.
[3] سورة النبأ، الآية 37.
[4] سورة هود، الآية 37.
[5] سورة المؤمنون ، الآية 27.
[6] سورة الفرقان، الآية 63.
[7] سورة البقرة، الآية 235.

الّذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم، فأعرف المضمرات المتكلّم لأنّه لا يوهمك غيره، ثمّ المخاطب، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة»[1].

فمفهوم الخطاب عند النّحاة «ينحصر في ناحيته الشّكلية بدلالة الاهتمام بتصنيف الأداة اللّغوية المستعملة الّتي تشير إلى طرفه الآخر، ويؤكّد هذا الحكم ما يذهب إليه النّحاة عند تصنيف الضّمائر المتصلة والمنفصلة بحديثهم عن الكاف الّتي تلحق اسم الإشارة (ذا) مثل :ذلك- ذلكم- ذلكن، إذ تختلف حركات هذه الكاف ليكون ذلك أمارة على اختلاف أحوال المخاطب من التذكير والتأنيث، وتلحقه علامات تدلّ على عدد من المخاطبين»[2] .

– **عند الأصوليين**: ورد لفظ الخطاب أيضا عند الأصوليين حيث يعتبر الأرضية الّتي استقامت عليها أعمالهم، ومحور بحثهم، فقد ترددت الكثير من اشتقاقات مادة "خطب" في مواضع متعدّدة عندهم ومن بينها إيرادهم لاسم الفاعل (مخاطب) ولاسم المفعول (مخاطب) بوصفهما طرفي الخطاب[3].

وقد عرّف "الآمدي" الخطاب بأنّه «اللّفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه»[4].

أمّا "الجويني" فقد عرّفه بقوله: «إنّ الكلام والخطاب والتكلم، والتخاطب، والنطق، واحد في حقيقة اللّغة وهو ما به يصير الحيّ متكلمّا»[5].

– **عند المحدثين**: أمّا عند النّقاد العرب المحدثين فنجد "أحمد المتوكل" يعرّفه بأنّه «كلّ ملفوظ مكتوب، يشكّل

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 35- 36.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 36.

[4] المرجع نفسه، ص 36.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وحدة تواصلية قائمة الذات»[1]، ويفاد من هذا التعريف ثلاث أمور:

- تحييد الثنائية التّقابلية الجملة والخطاب، حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة.

- اعتماد التّواصلية معيارا للخطابية .

- إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب، حيث أصبح من الممكن أن يعد النص خطابا كاملا أو جملة.

أمّا "عبد الله إبراهيم" فإنّه يعرّف الخطاب بأنّه «وحدة لغوية أشمل من الجملة، فالخطاب تركيب من الجمل المنظومة طبقا لنسق مخصوص من التّأليف»[2] .

كما يرى أنّ الخطاب «نظام من الملفوظات وهذا يؤدي إلى الاهتمام الضمني ببعض مكوّنات نظرية الاتصال كالمرسل والمتلقي وكلّ هذا يحيل على اتّساع مفهوم الخطاب»[3].

أمّا "عبد الملك مرتاض" فيعرّفه بأنّه «نسيج من الألفاظ، والنسيج مظهر من النظام الكلامي، الّذي يتّخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواه»[4].

أمّا "نعمان بوقرة" فيعرّف الخطاب في كتابه (المصطلحات الأساسية) بأنّه «وحدة تواصلية تبليغية ناتجة من مخاطب معين، موجهة إلى مخاطب معيّن، في سياق معين، يدرس ضمن ما يسمّى بلسانيات الخطاب»[5].

[1] أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص24.

[2] مها محمود إبراهيم العاتوم: تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، إشراف سمير قطامي، مذكرة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص72.

[4] سارة قطاف: الخطاب السردي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع (مقاربة تداولية)، إشراف الجودي مرداسي، مذكرة ماجستير 2012- 2013 ص13.

[5] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية، مرجع سابق، ص 14- 15.

2-2- عند الغرب:

هناك اختلاف شديد فيما يتعلّق بمفهوم الخطاب نظرا لتعدّد الموضوعات والحقول المعرفية الّتي يدرسها غير أنّ الدّارسين للخطاب وتحاليله يجمعون أنّ "هاريس" "Harris" هو من كان له السبق في هذا المجال عندما نادى في بحثه الّذي نشره سنة 1958 إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة إلى الخطاب وعرّفه بقوله «الخطاب ملفوظ طويل أو عبارة عن متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا في مجال لساني محض»[1].

أمّا "بنفنست" "Beuneniste" فيعرّف الخطاب من زاوية تختلف عن الزاوية الّتي في نظر منها "هاريس" "Harris" فهو حسبه «الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل»[2]. كما يعرفه بأنّه «كلّ تلفظ يفترض متحدثا وسامعا تكون للأوّل نيّة التّأثير في الطّرف الثّاني بشكل من الأشكال»[3].

وبالتّالي يكون هذا المفهوم أعطى مجالا أوسع للخطاب يتجاوز حدود مفهوم "هاريس" "Harris" حيث يعطي البعد الشفوي للخطاب.

ومن جهة أخرى هناك باحثون آخرين ينظرون إلى الخطاب من زاوية تداولية، محددين إياه بوصفه حوارا أو مونولوجا شفويا أو كتابيا، ومن بينهم "فان ديك" van duck الّذي يعرّفه بأنّه «في آن واحد فعل الإنتاج اللّفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية»[4].

[1] سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ،ط2، 2001، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص 20.

[3] محمد الباردي: إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص 8.

[4] سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص السياق، مرجع سابق، ص16.

أمّا "ميشال فوكو" "M Foucault" فينظر إلى الخطاب من زاوية مختلفة عن سابقيه حيث يربطه بالسلطة فالخطاب عنده «كلام مقموع، فالمتكلم لا يقول ما يريد، بل يقول ما يجب أن يقال»[1]، وهو موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة، فهو ليس فقط انعكاس للصراعات السياسية بل هو المسرح الّذي تتم فيه استثمار الرغبة .

كما يقرّر في محاضراته "نظام الخطاب" أنّ «الخطاب شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية الّتي تبرز فيها الكيفية الّتي ينتج فيها الكلام كخطاب»[2]، فهو لا يعتبره مجرد مجموعة من الإشارات بل هو ممارسات تصيغ الأشياء الّتي تتحدث عنها بطريقة منتظمة، كما أنّه اعتبر الخطاب سلطة، وهي منتشرة عبر العلاقات الاجتماعية وتنتج بعض أنماط السلوك[3].

من جهته "تودوروف" "Todorov"يعرف الخطاب بأنّه «عبارة عن جسم له ذاته وحركته وزمنه، فهو مختلف عن كلّ ما عداه ، يخضع لانتظام داخلي لكنّه يتحرك بحرية مستقلة ومن ثم فهو لون يختلف عن النص»[4].

المطلب الثاني: الخطاب القرآني

1 ـ تعريفـه:

إنّ القرآن الكريم باعتباره رسالة لغوية ناجحة وملائمة للسياق الّذي نزل فيه، هو نص متكامل يملك قدرات تواصلية عالية امتدت آثارها في النفوس قديما وحديثا، فهو «خطاب رباني صادر من الله الخالق، وهو منزّه

[1] مختار الفجاري: مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد3، 2014 ص 16.

[2] ميشل فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1984، ص 5.

[3] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية، مرجع سابق، ص 13.

[4] ينظر سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، دط، 2004، ص 13- 15.

عن المشابهة، إذ خطابه لا يشبه أي خطاب بشري، فكان معجزا لا يجاريه أرباب اللّغة والبيان قديما وحديثا من فحول الشعراء أو الخطباء العرب»[1].

إنّه كلام موجه بصفة خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم وبصفة عامة لسائر الناس قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾[2]، فالحقيقة أن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم هي: الإيجاز والبلاغة والبيان والفصاحة، والوصف والنظم، وحسن التّأليف، فبوجود كل هذه الأوصاف لم يستطع العرب الّذين هم فرسان الكلام أن ينافسوه أو يأتوا بمثله.[3]

2 ـ خصائص الخطاب القرآني:

* بنية الخطاب القرآني بنية قصصية لاعتمادها على اللّغة الإنشائية التّوصيفيّة.

* اشتمال الخطاب على بنيتين بنية كبرى وبنية صغرى، والتركيز على الكبرى لأنّها ذات طبيعة دلالية تنتمي إلى مجال الفهم والتفسير.

* بنية الخطاب في القرآن الكريم تعتمد على ثلاث معطيات:

- خصائص المخاطب (المتكلم) وهو (الله) في القرآن الكريم.

- طبيعة الموضوعات الواردة في القرآن الكريم.

- التّجربة التاريخية في فهم خطابات القرآن والتّعامل معها.

[1] عصام العبد زهو: مفهوم الخطاب القرآني للمؤمنين في ضوء سورة النور، الجامعة الإسلامية، غزة، ص6.

[2] سورة الأنبياء، الآية 10.

[3] ينظر كامل موسى، علي دحروح: التبيان في علوم القرآن، دار بيروت المحروسة، بيروت، دط، 1991، ص 234- 235.

* الخطاب القرآني خطاب دينامي، فهو في حركة دائمة، يتماشى مع كلّ زمان ومكان، وهو يناقض الجمود والسّكون[1].

* إنّ قدسية الخطاب القرآني ترجع إلى مصدر الخطاب نفسه، إذ أنّ الله تعالى لا يحتاج إلى دليل لإثبات قدسيته أمّا بالنسبة للأنبياء فتحتاج إلى دليل.

* إنّ القرآن الكريم خطاب يحث على احترام الرأي الآخر، والامتناع عن السبّ والإهانة والهمز واللمز وغيرها. وهو منهج عام في التعامل مع الآخر مهما كان هذا الشخص وأينما كان[2].

* مراعاة أحوال المخاطبين وتأييد الرسل بالمعجزات تتناسب مع حال أقوامهم.

* إعجاز القرآن الكريم من حيث بيانه ونظمه واشتماله على مواضيع مختلفة تحت مسمى واحد.

* الخطاب القرآني مرّ بمرحلتين من حيث فهم معانيه وألفاظه، المرحلة الأولى مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إذ كان من السّهل الوقوف على معان الألفاظ ودلالتها، والمرحلة الثانية مع غيابه، إذ اختلفوا في وجهة تقصيد الخطاب، فتباينت عباراتهم بين مقولة اللفظ ومقولة المعنى[3]، ويبقى القرآن الكريم أسمى وأرقى الخطابات لاشتماله على مميزات وفضائل لا توجد في الخطابات الأخرى.

[1] ينظر محمد مصطفوي: أساسيات المنهج والخطاب في الدرس القرآني وتفسيره، مر: فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2009، ط2، 2017، ص 271- 284.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 271- 284

[3] ينظر أمينة رابح: مقاصد السور القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية، أطروحة دكتوراه، إشراف لخضاري لخضر، جامعة وهران، 2012-2013، ص13-25.

الفصل الثاني: الأبعاد التداولية

- **المبحث الأول: الإشاريات:**
  - ✓ **المطلب الأول: تعريفها.**
  - ✓ **المطلب الثاني: أنواعها.**
- **المبحث الثاني: أفعال الكلام:**
  - ✓ **المطلب الأول: مفهوم أفعال الكلام.**
  - ✓ **المطلب الثاني: أفعال الكلام عند أوستين "مرحلة التأسيس".**
  - ✓ **المطلب الثالث: أفعال الكلام عند سورل "مرحلة البناء".**
  - ✓ **المطلب الرابع: أفعال الكلام بعد أوستين وسورل.**
- **المبحث الثالث: الحجاج اللغوي:**
  - ✓ **المطلب الأول: مفهوم الحجاج.**
  - ✓ **المطلب الثاني: السلم الحجاجي وقوانينه.**
  - ✓ **المطلب الثالث: العوامل الحجاجية والروابط**
  - ✓ **المطلب الرابع: المبادئ الحجاجية والتوجيه الحجاجي.**
- **المبحث الرابع: الاستلزام الحواري:**
  - ✓ **المطلب الأول: مفهومه وأنواعه.**
  - ✓ **المطلب الثاني: خصائصه.**
  - ✓ **المطلب الثالث: مبدأ التعاون عند غرايس.**
  - ✓ **المطلب الرابع: المعاني المستلزمة عن الخبر والإنشاء عند العرب.**
- **المبحث الخامس: متضمنات القول:**
  - ✓ **المطلب الأول: الافتراض المسبق.**
  - ✓ **المطلب الثاني: الأقوال المضمرة.**

تمهيد

عرفت الدّراسات اللّسانية تطورا ملحوظا خلال القرن العشرين، وقدّمت أبحاثا لغوية رائدة في المستويات الصّوتية والتّركيبية والدلالية، ولكن هذا التّطور وهذا الاهتمام لم يواكبه انشغال متعمّق ببعض إشكالات الاستعمال اللّغوي، وظلّت النّظريات اللّسانية المختلفة تتحاشى هذا الجانب بحجّة أنّه عصيّ على الفهم.

ومع خمسينات هذا القرن وما عرفته من تحوّلات معرفيّة، أصبح من المتعذّر الاستمرار في تجاهل قضايا الاستعمال، حيث جاءت محاضرات "أوستين" "Austin" وأبحاث "سورل" "Searle"لتعلن عهدا جديدا للدّراسات اللّسانية وتؤرّخ لثورة على المناهج اللّسانية البنيوية هي ثورة التّداولية[1].

ويقوم البحث التّداولي على دراسة خمسة جوانب أساسيّة وهي: الإشاريات، أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، الحجاج، متضمّنات القول (الافتراض المسبق، الأقوال المضمرة).

[1] ينظر جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص75.

المبحث الأول: الإشاريات

تعدّ الإشاريات من أبرز مباحث التّداولية، لما لها من دور في تكوين الخطاب وربطه بالسّياق الّذي يتفاعل معه، وهي تتأسّس على علاقة عناصرها بمرجعياته اللّغوية والسّياقية.

ليست الإشاريات مبحثا مستجدا ولا مستحدثا في حقل الدّراسات اللّغوية، فقد تناوله النّحاة وانشغلوا بالتقعيد له وبيان خصائصه الصّرفية، التركيبية والدّلالية، كما اهتم بها الفلاسفة واللّسانيين وحاولوا كشف أبعادها المختلفة[1].

المطلب الأول: تعريفها

تعرّف الإشاريات بأنّها «ألفاظ دالة على عناصر غائبة حاضرة، حصرها "ولفنسون" "Wolfensohn" في إشاريات شخصية وإشاريات زمنية وإشاريات مكانية وإشاريات اجتماعية واشاريات خطابية»[2].

وهي عبارة عن «علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التّلفظ، وهو فعل يقتضي متلفّظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد، لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى»[3].

وهي موجودة في كلّ اللّغات، وتعتمد اعتمادا كلّيا على السّياق الّذي تستخدم فيه، كما يتعذر إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه[4].

تعرّف الإشاريات أيضا بأنّها: «الروابط الداخلية الّتي تربط وحدات النص وتحقق تماسكه وانسجامه والرّوابط

---

[1] ينظر جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 75-76.

[2] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسية معجمية، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن ط1، 2009، ص37.

[3] جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 76.

[4] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص15- 169.

الّتي تربطه بعالمه الخارجي، وهي الإحالة الّتي تحدد من خلال العنصر اللّغوي والسّياق الوجودي أو الخارجي، ومن ثمّ تمثل دراسة البعد الإشاري للعلامة اللّغوية جزء من مقاصد الخطاب، فالإشارة أنا، أنت، هنا تفهم في سياقها الخارجي ولا تتحقق إلاّ من خلال الاستعمال»[1].

فالإشاريات إذن من بين أهم المفاهيم التّداولية، وهي علامات لغوية لا يتحدّد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب التّداولي لأنّها خالية من أيّ معنى في ذاتها.

المطلب الثاني: أنواعها

لا يمكن حصول عملية التّلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية "الأنا – الهنا – الآن" والّتي تمثّل كلّ منها نوعا من الإشاريات[2].

وقد تباينت آراء الدّارسين في تقسيمها، فهناك من قسّمها إلى ثلاثة أقسام هي الإشاريات الشّخصية والإشارات المكانية والإشاريات الزّمانية، وهناك من قسّمها إلى خمسة أقسام مضيفا الإشاريات الإجتماعية وإشاريات الخطاب، وسنذكر فيما يلي هذه الأنواع الخمسة:

1- الإشاريات الشّخصية:

وهي بشكل عام «الإشاريات الدالة على المتكلّم أو المخاطب أو الغائب»[3]، وتتمثّل في ضمائر المتكلّم "أنا، نحن"، وضمائر المخاطب مفردا أو مثنى أو جمع، مذكرا أو مؤنثا "أنت، أنت، أنتما، أنتن أنتم"، أمّا ضمائر الغائب فتدخل في الإشاريات إذا كانت حرّة لا يعرف مرجعها من السّياق اللّغوي[4].

[1] محمود عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم النشأة والمبادئ، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2013، ص 84.
[2] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ط1، 2003، ص81.
[3] المرجع نفسه، ص 82.
[4] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 17 - 18.

2- الإشاريّات الزّمانيّة:

هي«كلمات دالة على الزّمان المحدّد بالسّياق قياسا إلى زمن التكلّم»[1]، وزمان التكلّم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، ففي غياب وعدم معرفة زمان التكلّم، يلتبس الأمر على السّامع، فمثلا قولنا "بعد غد" يختلف مرجعها إذا قلناها اليوم أو بعد أسبوع أو بعد شهر، ومن أمثلة الإشاريات الزمانية أمس، الآن الأسبوع الماضي، السنة المقبلة، منذ شهر...، فهذه الكلمات لا يتضح معناها إلاّ بالإشارة إلى زمان بعينه بالقياس إلى زمان التكلّم أو مركز الإشارة الزمانية[2].

3- الإشاريات المكانية:

وهي«عناصر إشـاريّة للمكان تحدد مراجعها بالنظر إلى مكان التّكلم»[3]، وتنقسم إلى قسمين: أسماء الإشارة "هذا، هذه هؤلاء، ذاك"، والظروف "هنا، هناك، يسار، يمين، خلف، أمام، قرب"[4].

فهذه الكلمات تعتمد على السّياق المادي المباشر الّذي قيلت فيه، ويستحيل استعمالها أو تفسيرها إلاّ بالوقوف على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة المكانية[5].

فاستخدام أسماء الإشارة مثلا يظلّ رهينا بمقاصد المتكلّم وسياق الكلام، وبذلك فهي لا تحيل بذاتها ولكنّها تعتمد اعتمادا كليا على غيرها للانتقال من حالة الإبهام إلى حالة التّحديد والتّعيين[6].

[1] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية، مرجع سابق، ص87 .

[2] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 19- 20.

[3] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية، مرجع سابق ، ص87.

[4] ينظر حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، 2012، ص 124- 125.

[5] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص21.

[6] ينظر جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 82.

4- إشاريّات الخطاب:

وهي «عناصر إشارية لا تحيل إلى ذات المرجع الّذي تحيل إليه الإحـالات الضّميرية فإذا روى شخص قصّة، تذكره بأخرى قال= لكن تلك قصة أخرى»[1].

وهي العبارات الّتي تذكر في النّص وتشير إلى موقف خاص بالمتكلّم، ومن أمثلتها أن يستدرك المتكلّم على كلام سابق أو يضرب عنه قائلا (لكن، بل) وقد يحتار في ترجيح رأي على آخر فيقول: "ومهما يكن من أمر" وعندما يضيف شيئا إلى ما قاله سابقا يستخدم "فضلا عن ذلك"، وقد أسقط بعض الباحثين هذا النوع من الإشاريات لكونها تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق[2].

5- الإشارات الاجتماعية:

وهي «ألفاظ تشير إلى علاقات اجتماعية بين المتكلّمين من حيث هي علاقة ألفة أو علاقة رسمية»[3].

ويدخل في إطار العلاقة الرسمية صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنًّا أو مقاما من المتكلّم، وكذلك الألقاب مثل فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، فضيلة الشيخ، كما تشمل أيـضا السيّد والسيّدة والآنسة وكذلك قولنـا حضرتك، وسيادتك، وسعادتك وجنابك[4].

كما نجد الإشاريّات الاجتماعية في استخدام بعض الألقاب للدّلالة على الطّبقة الاجتماعية مثل: استخدام عقيلة، قرينة، حرمة، زوجة، امرأة[5].

[1] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية، مرجع سابق، ص87 .
[2] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 24.
[3] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية، مرجع سابق، ص 87.
[4] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 25.
[5] ينظر المرجع نفسه، ص 26.

وتلعب الإشاريّات الاجتماعية دورا مهمًّا في الحياة اليوميّة، لكونها تعمل على توحيد العلاقات الاجتماعية، فنحن نستعملها يوميا في تواصلنا، بحسب مكانة من نُخاطبه ونوع العلاقة الاجتماعية الّتي تربطنا به.

المبحث الثّاني: أفعال الكلام

تعدّ نظرية أفعال الكلام نواة الدرس التداولي وأهمّ مراجعه «بل إنّ التّداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية»، حيث ارتبطت اللّغة باستعمالها الفعلي على أرض الواقع حتى صارت علمًا لسانيا حديثا.

المطلب الأول: مفهوم أفعال الكلام

يعدّ الفعل الكلامي من أهمّ المفاهيم الّتي ترتكز عليها التّداولية، ويرجع الفضل في ظهوره لـ"أوستين Austin" وفي تطوره لـ "سورل Searle" .

يمكن استعمال اللّغة في كلامنا للقيام بفعل ما للتّأثير على المتلقي، ومن هنا عرّفها "مسعود صحراوي" باعتبارها عمل اجتماعي ينجزه الإنسان بالكلام فـ «يُراد بالفعل الكلامي الإنجاز الّذي يؤديه المتكلّم بمجرد تلفّظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر والنّهي والوعد والتّعيين والإقالة والتعزية والتهنئة ... فهذه كلّها "أفعال كلامية»[1].

تجاوزت التّداولية دراستها النّسقيّة إلى الدّراسة السّياقية والانجازية للّغة، فأصبحت اللّغة في ظلّ هذا التّحول فضاء للإنجاز والممارسة والفعل، ومن هذا عرّفت "فرانسواز أرمينكو" "Francoise Armingaud" نظريّة أفعال الكلام بأنّها «دراسة نسقيّة للعلاقة بين العلامات ومؤوليها، ويتعلّق الأمر بمعرفة ما يقوم به مستعملو – التّأويل، وأيّ فعل ينجزون باستعمالهم لبعض العلامات»[2]؛ أمّا "فان ديك" "Van Dick" فيقرّ بأنّ الجملة

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 10.

[2] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص 60.

ليست مجرد أصوات نقوم بإخراجها إخراجا سليما، وإنّما هي عبارة عن وسيلة تواصليّة تقوم بإنجاز عملية تبليغية تأثيريّة، حيث قال «بأنّ الاستعمـــال اللّغوي ليس إبراز منطوق لغوي ما فقط، بل إنجاز حدث اجتمـــاعي معيّن أيضا في الوقت نفسه»[1].

استند كلّ من "أوستين" "Austin" و"سورل" "Searle" في تأسيس نظرية أفعال الكلام إلى الوظيفة اللغوية للعملية التخاطبية بين المتكلّم والمستمع بالنّظر إلى سياق الكلام، إضافة إلى مقولات "فيتغنشتاين" "Wittgenstein"، حيث يشير "أوستين" "Austin" إلى « أنّه لا ينبغي للوصف اللّغوي أن يقوم على أساس ظاهرة الجمل، بل يجب أن يُثبت أنّه بمنطوق كلّ جملة مفردة تنجز في الوقت ذاته أحداث جزئية مختلفة، أمّا "سيرل" "Searle" فقد طوّر هذه النظرية من خلال الفرضية القائلة أنّه مع كلّ منطوق ينجز أيضا فعل»[2]، فالأفعال اللّغوية حسبهما تقوم على الجانب العملي للغة.

المطلب الثّاني: أفعال الكلام عند "أوستين Austin"* (مرحلة التأسيس)

بدأت نظرية أفعال الكلام مع "أوستين " "Austin"حيث «أجمل آراءه في كتابه " Quand dire C'est faire" في فكرة استوحاها من المثل الّذي يردده الإنجليز (كيف نصنع الأشياء بالكلمات) فبواسطة القول ننجز فعل الكلام Acte Illocutionnaire»[3]، وقد انطلق من أنّ إنشاء جملة لسانية هو في حدّ ذاته فعل لغوي، فهو ينتقد كلّ الأقوال والنظريات السّابقة الّتي كانت تخضع الكلام لمعيار الصّدق والكذب حيث كان الفلاسفة وعلماء اللّغة لزمن طويل يستعملون اللّغة لوصف الواقع، ويخضعون الجمل

[1] فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، مرجع سابق، ص118.

[2] قولفجانج هاينه مان، ديتر فيهقمر: مدخل إلى علم النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004، ص 54-55.

*جون لانجشو أوستين (1911- 1960) هو فيلسوف لغوي وأستاذ جامعي بريطاني، درس وعمل في جامعة أكسفورد تأثر كثيرا بأرسطو، مؤسس نظرية أفعال الكلام وصاحب كتاب الشهير الذي هو عبارة عن مجموعة محاضرات بعنوان " كيف نفعل الأشياء بالكلام" ألقاها بجامعة هارفد.

[3] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012، ص65.

لمعيار الصّدق والكذب، فتكون«صادقة إذا طابقت الواقع، وكاذبة إذا خالفته» [1].

ونفس الفكرة قدّمها البلاغيون العرب في حديثهم عن الخبر والإنشاء، حيث أنّ الخبر عندهم هو ما احتمل الصّدق أو الكذب، وبيّن هذا "سيف الدين الآمدي" من خلال تقسيمه للخبر إلى ثلاثة أقسام:

- القسمة الأولى: الخبر الصّادق هو المطابق للواقع، والكاذب غير المطابق.
- القسمة الثانية: ما يعلم صدقه وما يعلم كذبه وما لا يعلم صدقه ولا كذبه.
- القسمة الثالثة: الخبر المتواتر وخبر الآحاد[2].

غير أنّ "أوستين" "Austin" يقرّ بأنّ هناك جملا لا يقصد بها أن تخبر عن أمر أو تتكلّم عن حدث واقع ولا تدلّ أيضا عن الصّدق أو الكذب، فمثلا: أسمي هذه البنت مروة، فهنا ننجز فعلا وهو فعل التّسمية ولا تدلّ على الصّدق أو الكذب، إذ أنّ هذا الشيء واضح وبديهي كما قال "أوستين" "Austin" «لا يدلّ شيء منه على التّصديق ولا على التّكذيب، بل إني أوجب الحكم على هذا الشيء لبداهته ووضوحه، ولا فائدة هنا في إيراد الحجة عليه»[3]، فالعبارة تأخذ دلالتها في سيّاقها الخاص.

«ولحصول الانجاز في الأفعال الكلاميّة وجب توفّر صنعة القصديّة والنّية المسبقة، مثلا: أنا راض بهذه المرأة زوجة لي، فإنه يفترض على المتلفظ بها أن يعقد نية مسبقة ويتوجه إلى المستمع بالقصد إلى القيام بفعل الزواج»[4].

من هذا نفهم أنّ المتكلّم ليس مجبرا على جعل جمله الخبرية في صيغة الخبر أو الأمرية في صيغة الأمر فقد تكون الجملة خبرية وتحمل صيغة الأمر مثل: دخول الأستاذ إلى القاعة وقوله "الجو بارد" فيقوم أحد التلاميذ

[1] جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 86.

[2] ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص135.

[3] أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، دط، 1991، ص17.

[4] الحسين أخدوش: نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستين، أسسها وحدودها الفلسفية، مجلة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية الرباط، أكدال، 21 أكتوبر 2016، ص 15- 16.

بغلق النافذة دون أن يطلب منه ذلك.

بناء على هذا ميز "أوستين" "Austin"بين نوعين من الأقوال: تقريرية(وصفية) وإنشائية

– الأقوال التّقريرية(الوصفية) (Constative Locutions):و تتمثل في تلك «الأقوال التي تصف حالا معينا لشيء أو لشخص، ويسميها الأفعال التقريرية و قد سمّاها العرب بالأساليب الخبرية» [1].

– الأقوال الإنجازية(الإنشائية) (Performative Locutions): فهي لا تصف و تخبر، ولا تمثّل ولا هي خاضعة لمعيار التصويب، إنّ ميزتها الأساسية تكمن في أنّ التلفّظ بها يساوي تحقيق الفعل في الواقع [2] .

ويجب أن تمتاز بما يلي:

– من الضّروري أن يكون الفعل المحوري للملفوظ إنجازيا (وعد، حذّر، التمس...) مبنيا للمعلوم.

– من الضّروري أن يسند الفعل المحوري لضمير المتكلّم.

– من الضّروري أن يرتبط العمل المحوري بالزمن الحاضر[3].

1– شروط الفعل الإنجازي:

حتّى يتم نجاح الفعل الإنجازي وضع "أوستين" "Austin"جملة من الشّروط، وجب الالتزام بها للوصول إلى الغايات المرجوّة، بحيث إذا اختلّ شرط من هذه الشروط يؤدي إلى الفشل وعدم التوفيق، وهي نوعين: شروط تكوينية (ملائمة) وشروط قياسية.

الشّروط التّكوينيّة (الملائمة): وهي ضرورية ويمكن تلخيصها فيما يلي:[4]

[1] ياسمينة عبد السلام: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أستين، مجلة المخبر، العدد10، 2014، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص108.

[3] ينظر جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 87.

[4] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 44.

- وجود إجراء عرفي (Conventional Procedure) مقبول، وله أثر عرفي معين كالزواج أو الطلاق.

- أن يتضمن الإجراء نطق كلمّات محدّدة، ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة.

- أن يكون الناس مؤهّلين لتنفيذ هذا الإجراء.

- أن يكون التّنفيذ صحيحا.

- أن يكون التّنفيذ كاملا.

- أن تكون الظروف مناسبة لتنفيذ الإجراء العرفي المحدد[1].

الشّروط القياسية: وهي غير ضرورية، ولكن وجودها يساعد على الحكم بنجاح الفعل أو فشله مثل:[2]

- أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره.

- أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في مشاعره.

- أن يكون المشارك صادقا في نواياه.

- أن يلتزم بما يلزم نفسه به.

ومن بين الأبحاث الّتي قام بها "أوستين" "Austin" أيضا أنّه «ميّز بين الأفعال الإنجازية والأفعال غير الإنجازية، فالأولى يتحقّق إنجازها بمجرد النّطق بها، والثانية لا يتحقّق إنجازها مثل: المشي لا يكفي، أقول أمشي ليتحقّق الفعل المناسب»[3].

2- أنواع الأقوال الإنشائيّة عند" أوستين" "Austin":

ميّز "أوستين" بين نوعين من الأقوال الإنشائيّة: الأقوال الإنشائيّة الصّريحة (الظّاهرة)، والأقوال الإنشائية الضّمنيّة (غير الظاهرة) :

[1] محمود عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، مرجع سابق، ص98 .

[2] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص45.

[3] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص66.

2-1- الأقوال الإنشائية الصّريحة (الظاهرة):

وتتحقق بإسناد« الفعل الدّال على الزّمن الحاضر إلى ضمير المتكلم المفرد »[1]،وهي تلك الملفوظات الّتي يصرّح فيها بالعمل المنجز، فتتحدّد في تلك الأفعال (Verbes) الّتي هي مفاتيح الإنشاء مثل:

أ- أراهن بألف درهم على أنّ العملية ستنجح.

ب- أعدك بأني سأزورك.

ج- أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية.

ت- أمنح ساعتي وأورثها لأخي.

تعتبر الأفعال (أراهن، أعدك، أقبل، أمنح) أفعالا إنشائية تصريحية [2]، حيث يجب أن يكون فعلها ظاهرا وعلى وزن المضارع، وتكون شخصيّة المتكلّم بارزة وواضحة.

2-2- الأقوال الإنشائيّة الضمنية (غير الظاهرة):

وهي الأقوال التي لا تدّل صيغتها على ما يدلّ عليه ظاهرها، وتحقيقها«يتوقف على عوامل معيّنة من السّياق اللّغوي»[3]، وبعبارة أخرى هي تلك الملفوظات الّتي لا يتمّ التّصريح فيها "بالفعل المنجز"، فتتحددّ في تلك العبارات المختزلة الّتي تضمر " أفعالا إنشائية " مثل:

أ- سأسافر (وعد وتأكيد)

ب- أعدك بأني سأسافر.

ج- أؤكد لك على أني سأسافر.

[1] ياسمينة عبد السلام: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أستين، مرجع سابق، ص108.

[2] ينظر العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2011 ، ص 79-80.

[3] ياسمينة عبد السلام: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أستين، المرجع السابق، ص108.

فهناك فرق كبير بين مجرد (الوعد) كما في"سأسافر" "، والوعد نفسه في "أعدك بأني سأسافر"[1].

3- تصنيف "أوستين" "Austin" لأفعال الكلام:

بعد هذه الأبحاث الّتي قام بها "أوستين" "Austin" حول الأفعال الإنجازية، اقترح مراجعة شاملة لنظرية أفعال الكلام، حيث قسّم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية:

3-1- فعل القول أو الفعل اللّغوي (Locutionary Act):

ويراد به«إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، ذات بناء نحوي سليم، وذات دلالة»[2]، حيث يقابل التّلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتّلفظ بالتّراكيب (فعل تركيبي)، واستعمال التّراكيب حسب دلالتها (فعل دلالي)[3]، أي أنّه يتكون من أصوات لغوية ذات قواعد نحوية منظّمة، ينتج عنها دلالات معينة، ولها مرجعية تستند إليها.

3-2- الفعل المتضمن في القول أو الفعل الانجازي (Illocutionnary Act):

وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، ويراد به «القصد الّذي يرمي إليه المتكلّم من فعل القول، كالوعد والأمر والاستفهام والتحذير»[4]، وبوجود سياقات عديدة في المجتمع يصعب عدّها، فإنّ الأفعال الكلامية كذلك يصعب عدّها أيضا، لذا اقترح "أوستين" "Austin" تصنيفا للأفعال الكلامية استنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية وهي خمسة أنواع:

- **الأفعال الحكمية أو الإقرارية (Verdictifs)**: وتقوم على الإعلان عن حكم،وتتعلّق بقيمة أو حدث مثل: وعد، وصف، حلّل، قدّر، صنّف، قوّم وطبع.

[1] ينظر العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، مرجع سابق، ص 80- 81.
[2] ياسمينة عبد السلام: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أستين، مرجع سابق، ص109.
[3] ينظر خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص96.
[4] جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص90.

– **الأفعال التّمرّسية أو الإنفاذيات (Exercitifs)**: وتقوم على إصدار قرار لصالح أو ضدّ سلسلة أفعال مثال: أمر، قاد، دافع عن، ترجّى، طلب، تأسّف، نصح، وكذلك: عيّن، أعلن عن بداية جلسة، أغلق، نبّه وطالب[1].

– **أفعال التّكليف أو الوعديات (Commissifs)**: وتشمل أفعالا يتعهّد فيها المتكلّم بفعل ما مثل: التزم،تعهّد، وعد، وافق، عزم، نوى، تعاقد...

– **الأفعال العرضيّة أو التعبيرية (Expositifs)**: وتشمل أفعالا يعرض فيها المتكلّم وجهة نظر ويقدم حجة مثل: استشهد، مثّل نصّ، افترض، شهد، دحض، أثبت...[2]

–**أفعال السلوكيّات أو الإخباريات (Comportementaux)**: ويتعلّق الأمر هنا برد فعل اتّجاه سلوك الآخرين واتجاه الأحداث المرتبطة بهم، إنّها تعابير مواقف اتجاه السلوك والمصير، مثل: الاعتذار، الشّكر، التّهنئة الترحيب والنّقد والتّعزية والمباركة واللّعنة ... وكذلك الاحتجاج[3].

3-3- الفعل النّاتج عن القول (Perlocutionary Act):

وهو الأثر الّذي يتركه الفعل الإنجازي في السّامع «وكذا ردّ فعل المتلقي، كقبول الدعوة وإجابة السؤال وامتثال الأمر أو توليد فعل آخر مواز للقول»[4].

ويمكن توضيح هذه الأعمال اللّغوية الثلاث في المثال التالي: «"نظّف أسنانك"؛ فالأب وهو يقول "نظّف أسنانك" ينجز عملين بصفة متزامنة، الأول النّطق بالجملة، والثاني هو الأمر، والابن وهو يجيب "لا أشعر بالنعـــاس" يقوم بثلاثة أعمال الأولى النطق بالجملة والثانية العمل المتضمن في القول وهو إخبـــاره بعدم الرّغبة في

[1] ينظر فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص 62 - 63.
[2] ينظر جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 90.
[3] ينظر فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، مرجع سابق، ص100.
[4] محمود عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، مرجع سابق، ص100.

النّوم وأخيرا عمل التّأثير المتمثّل في إقناع والده بإعطائه وقت بما أنّ النّعاس لم يداعب جفونه بعد»[1].

4- خصائص الفعل الكلامي:

يلاحظ " أوستين" "Austin" أنّه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل [2]:

- إنّه فعل دال.
- إنّه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- إنّه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معيّنة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

ويمكن توضيح بنية الفعل الكلامي في الخطاطة الآتية:

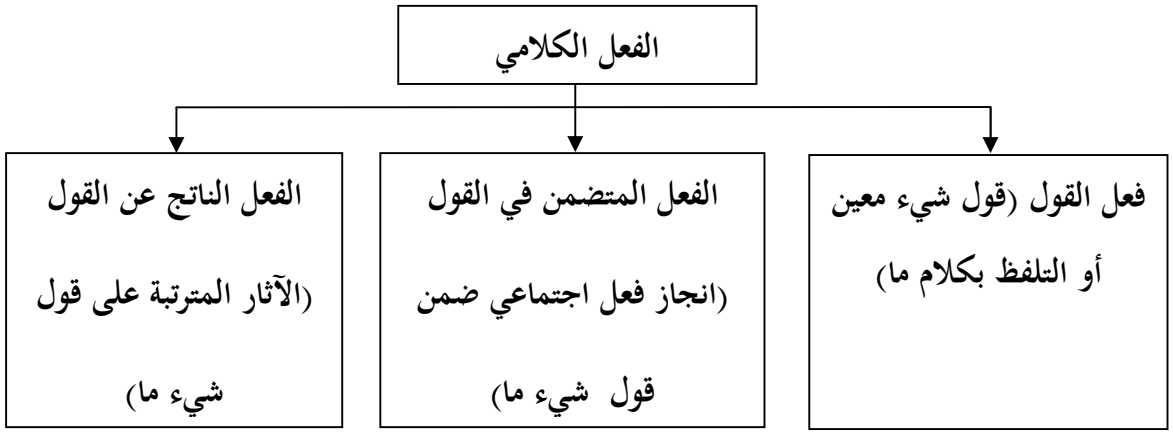

ورغم أنّ "أوستين" "Austin" هو من قام بوضع المبادئ والمفاهيم الأساسية لهذه النظرية إلاّ أنّ "سورل " "Searle"هو من قام بتطويرها وأعاد بناءها بصورة جديدة كما سنوضح في العنصر الموالي.

[1] ينظر آن رويول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق، ص32.
[2] ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 43- 44.

المطلب الثّاني: أفعال الكلام عند سورل "Searle"*(مرحلة البناء):

قام "سورل" "Searle" بإعادة بناء أفكار أستاذه "أوستين" "Austin" وتطويرها والكشف عن نقائصها ومعالجتها، ومن أهم ما جاء به "سورل" "Searle" ما يلي:

- نصّ "سورل" "Searle" على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى (Minimal Unit) للاتصال اللّغوي، وأنّ للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية (Illocutionary Force Dicator) يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الّذي يؤديه المتكلّم بنطقه للجملة، ويتمثل في اللّغة الإنجليزية في نظام الجملة -Word Order)، والنبر (Stress) والتّنغيم (Intonation)، وعلامات التّرقيم (Punctuations) في اللّغة المكتوبة، وصيغة الفعل (Mood)، وما يسمّى الأفعال الأدائية Performative [1].

- مفهوم الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يحدّد بقصد المتكلم بل هو مرتبط بالعرف اللّغوي والاجتماعي[2].

- وجّه "سورل" "Searle" عدة انتقادات لتصنيف "أوستين" "Austin" للأفعال الكلاميّة تمثّلت فيما يلي:[3]

- هناك ارتباط مستمر بين الأفعال (Verbes) والأقوال (Acts).

- ليست كل الأفعال (Verbes) أفعالا غرضية.

- يوجد تداخل كبير أكثر ممّا ينبغي بين فئة الأفعال.

- كثير من الأفعال المدرجة في فئات لا تفي بشروط التعريف المعطى للفئة.

---

* جون روجرز سورل (J.R. Searle) هو فيلسوف لغوي أمريكي من مواليد 31 يوليو 1932، وهو من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون لتيار الفلسفة التحليلية التي طورها "أوستين"، درس الفلسفة في جامعة كاليفورنيا، من أبرز أعماله: أفعال الكلام، التعبير والمعنى القصدية، العقول والأدمغة والعلم، العقل واللغة والمجتمع_ ينظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع- الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، ناشرون الجزائر العاصمة الجزائر، ط1، 2006- 1427، ص5.

[1] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص47.

[2] محمد عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية(التداولية)، مرجع سابق، ص104.

[3] جميلة روقاب: نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية، أوستين وسورل نموذجا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية العدد 159، 2016، ص11-12.

لا يوجد مبدأ متين يقوم على أساسه التصنيف، إذ بين التّسمية والتوظيف لا توجد الدقة.

1- تصنيف "سورل" "Searle" لأفعال الكلام:

أعاد "سورل" "Searle" النّظر في تقسيم "أوستين" "Austin" للأفعال الكلامية وذلك بإضافة الفعل القضوي وهي كما يلي:

- فعل التّلفظ (الصّوتي والتّركيبي).
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي).
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل "أوستين" "Austin").
- الفعل التّأثيري (على نحو ما فعل "أوستين" "Austin")[1].

فقد قام "سورل" "Searle" بدمج الفعل الصوتي والتركيبي في القسم الأول تحث تسمية "فعل التلفظ" أمّا الفعل الدّلالي فأدرجه في قسم آخر اسمه الفعل القضوي، وهنا اختلف عن "أوستين" "Austin" الّذي شمل قسمه الأول الأفعال الثلاثة معا (الصوتي، التركيبي، الدلالي)، أمّا القسم الثالث والرابع فلم يختلف عن "أوستين" "Austin" فيما قدّمه حول الفعل الإنجازي والفعل التّأثيري.

1-1- الفعل التّلفظي (Acte D'enonciation):

هو التلفظ بجملة لسانية ذات قواعد صوتية وتركيبية صحيحة.

1-2- الفعل القضوي (Acte Propositionnel):

وهو معـادل للفعل الدلالي عند "أوستين" "Austin"، على اعتبـار أنّ مـا كان يعرف بالفعل الدلالي

[1] ينظر خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص99.

وكان يشمل عنصري المعنى والإحالة أصبح عند "سورل" "Searle" يشكل فعلا مستقلا ، يسمّى الفعل القضوي ويتضمّن فعلي "الإحالة" و"الحمل"[1] .

1-3- الفعل الانجازي (Acte Illocutionnaire):

كالاستفهام والأمر والنهي والوعد .....الخ

وقد حدّد "سورل" "Searle"سبعة شروط متحكمة في الفعل الإنجازي نوجزها في ما يلي :

- الشّروط الأوليّة (Preliminary Condition): وهي شروط تبين ضرورة اشتراك المتخاطبين في جملة من المعارف القبلية والّتي تمثل خلفية background للتّواصل بينهما، كأن يكون المخاطب قادرا على تنفيذ الأمر الموجّه إليه .

- الشّروط التّحضيرية (Préparatory-Condition): هي شروط متّصلة بسياق الكلام الّذي يؤطر حديث المتخاطبين مثال ذلك: "سأعيرك سيّارتي" فملفوظ من هذا القبيل يفترض أنّ المتكلّم يملك سيّارة.

- شروط الغاية (Parpose Condition): يجب على المتكلّم أن تكون له غاية يرمي إليها،كالإخبار والتّعبير والالتزام والتقرير ....

- شروط المواضعة (Onvention Conditions): وهي التعابير اللّسانية الّتي يلجأ إليها المتكلّم لإنجاز فعل ما، مثلا: إذا أراد الالتزام بفعل ما قال: أعد، ألتزم، أتعهد ونفس الشيء بالنسبة للتحذير يقول:أحذّر، أتوعّد، أنذر.....

- شروط القصد (Intention Condition): وهي النوايا الّتي يعبر عنها المتكلّم كالإخبار والاستفهام والأمر .....

[1] العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، مرجع سابق، ص98.

– **شروط المحتوى القضوي (Propositionnal Content Conditions)**: وتتشكل من القواعد التركيبية والدلالية الّتي توجه القوة الإنجازية لملفوظ ما، فالمحتوى القضوي للوعد مثلا يستلزم أنّ المتكلّم سينجز فعلا ما مستقبلا[1].

– **شروط الوفاء/ الإخلاص (Sincerity Conditions)**: وهي تحدّد الحالة النفسية للمتكلّم، حيث يجب أن يكون صادق في تلفّظه بالفعل والتزامه به[2].

فكلّ شرط من هذه الشروط تتحكّم فيه جملة من الأفعال وجب توفرها في سياق محدد من متكلّم محدد لتحقّق غاية ومقصديّة محددة .

يعتبر كل من الفعل القضوي والفعل الإنجازي فعلان متداخلان ومكملان لبعضهما البعض، مثلا أقول لك "أعدك بالزيارة عما قريب"، يتضمن محتوى قضوي هو "سأزورك عمّا قريب"، وقوة إنجازية في أعدك[3].

1–4– الفعل التّأثيري (Acte Perlocutionnaire):

وهو ذلك الأثر الّذي يتركه المتكلّم في متلقيه، وتكون درجة الإقناع بقدر ما يقدمه المتكلّم من أدلّة وحجج.

2– أنواع الفعل الكلامي عند" سورل" "Searle":

قدّم "سورل Searle" تصنيفا بديلا لما قدّمه "اوستين" "Austin" للأفعال الكلامية يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي:

– الغرض الإنجازي Illocutionary Point.

[1] ينظر جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص 92– 93.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص 93.
[3] ينظر المرجع نفسه، ص92.

- اتجاه المطابقة Direction of Fit.

- شرط الإخلاص Sincerity Condition.

وقد جعلها خمسة أصناف أيضا:

2-1- الإخباريّات Assertives: تبلّغ خبراً، وهي تمثيل للواقع.

- الغرض الإنجازي: وصف المتكلّم واقعة معينة ذات أفعال تحتمل الصّدق والكذب.

- اتجاه المطابقة: من الكلمات إلى العالم.

- شرط الإخلاص: الأمانة في النّقل والصّدق.

2-2- التّوجيهيات Directives: وهي تحمل المخاطب على فعل معيّن.

- الغرض الإنجازي: محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين .

- اتجاه المطابقة: من العالم إلى الكلمات.

- شرط الإخلاص: الرغبة الصّادقة في نصح وتشجيع وأمر.

2-3- الإلتزاميات Commissives: فيها يلتزم المتكلّم بفعل شيء معين.

- الغرض الإنجازي: التزام المتكلّم بفعل شيء في المستقبل.

- اتجاه المطابقة: من العالم إلى الكلمات.

- شرط الإخلاص: القصد ويدخل فيها الوعد والوصيّة[1].

[1] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 49- 50.

2-4- التّعبيريّات أو التصريحيّات (Expressives): وهي تعبّر عن حالة مع شروط صدقها.

- الغرض الانجازي: التّعبير عن الموقف النّفسي بإخلاص.

- اتجاه المطابقة: غير موجود لأنّ المتكلّم لا يحاول أن يجعل الكلمّات مطابقة للواقع ولا العكس .

- شرط الإخلاص: الشّكر والتّهنئة، الاعتذار والمواساة.

2-5-الإعلانيّات أو الإدلاءات(Déclarations): وتكون حين التّلفّظ ذاته.

- الغرض الإنجازي: تتميّز بالأداء الناجح لمطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي.

- اتجاه المطابقة: من الكلمات إلى العالم.

- شرط الإخلاص: غير موجود هي لا تحتاج إليه[1].

3- أنواع الأقوال الإنشائية عند "سورل" "Searle" :

من بين الأبحاث الّتي قام بها "سورل" "Searle" أيضا أنّه قسّم الأفعال الإنجازية إلى نوعين:

3-1- الأفعال الإنجازية المباشرة (Direct):

هي الّتي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلّم، فيطابق ما يعنيه[2]، أي أن يكون ما يقوله المتكلّم هو ما يعنيه.

3-2- الأفعال الإنجازية غير المباشرة (Indirect):

وهي الّتي «تخالف قوتها مراد المتكلّم»[3]، أي أنّ ما يقوله المتكلّم هو عكس ما يخفيه، مثل: يسألك أحدهم

[1] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 50.
[2] ينظر محمد عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، مرجع سابق، ص 108.
[3] المرجع نفسه، ص 100.

"هل عندك ساعة" فهذا السؤال لا يدلّ على الساعة كمادة وإنّما هو فعل إنجازي غير مباشر، فقوته الإنجازية توحي إلى استفهام يحتاج إلى الجواب، ولكن هذا ليس هو الغاية من السؤال، إنّما هو سلوك محترم يدل على فعل إنجازي مباشر يقصد به "هل أنت متفرّغ لي".

4- معايير أفعال الكلام عند "سورل" "Searle" :

اقترح "سورل Searle" في كتابه "المعنى والعبارة" اثنا عشر مقياساً لنجاح الفعل

.الإنجازي، وهي معايير صريحة وخارجة عن العلامات اللّغوية تساعد في وضع تصنيفية مقبولة للأعمال اللّغوية:[1]

- الغاية من الفعل مثل :"الحصول على قيام س بشيء ما ".

- اتّجاه المطابقة بين العلامات اللّغوية والعالم الواقعي: وهو يرى أنّ بعض الأعمال اللّغوية مثل الإخبار ينحو نحو جعل القول مطابقا للكون الخارجي، بينما تنحو بعض الأعمال اللّغوية الأخرى مثل الوعد نحو جعل الكون مطابقا للقول .

- الحال النّفسية المعبّر عنها، مثل اليقين، الرّغبة، الحسرة، و يعمل هذا المعيار حتى عند انعدام الصّدق.

- كثافة الاستثمار في تقديم اللاّقول، فـ "أقترح" أقل قوة من "آمر".

- وضعية المتخاطبين من جهة كون ذلك يؤثر في القوة القولية، كما هو الحال بالنسبة إلى منزلتها التراتبية الاجتماعية، فقد يكون الملفوظ نفسه أمرا إذا كان من الأعلى إلى الأسفل والتماسا إذا كان من الأسفل إلى الأعلى.

[1] ينظر فيليب بلانشية: التداولية من "أوستين" إلى "غوفمان"، مرجع سابق، ص 64- 65.

– الطريقة الّتي يرتبط بها القول بالمصالح الشّخصية للمتخاطبين مثل التّبجّح (ويتعلق بالمتكلّم) والتعزية (وتتعلّق بالمخاطب)، بشكل ظاهر على كل حال.....

– العلاقة ببقية الخطاب، مثل "أردّ، أستنتج، أفترض ومع ذلك، إذن.....".

– المحتوى القضوي المحدّد بوسم صريح للقوة اللاقولية والاختلاف بين عرض وتوقع يقوم على أساس وسمات تحدّد الماضي والمستقبل، على سبيل المثال.

– إمكانية أو عدم إمكانية إنجاز العمل، بطريقة أخرى سوى اللّغة.

– الحاجة أو عدم الحاجة إلى مؤسسة خارجة عن اللّغة لإنجاز عمل لغوي.

– وجود أو عدم وجود استعمال إنشائي للفعل اللاقولي.

– أسلوب إنجاز العمل اللّغوي (إذ "أذاع" و"باح" لا يختلفان لا في الهدف ولا في المحتوى، بل في طريقة إنجاز العمل.

ميّز "سورل"searle أيضا بين الدّلالة المقامية والدّلالة المقالية، فالأولى ثابتة و الثانية متغيرة بتغير المقام[1].

المطلب الرابع: أفعال الكلام بعد "أوستين" "Austin"و"سورل" "Searle" :

اهتمّ العديد من اللّسانيين بأفعال الكلام بعد "أوسين" "Austin" و"سورل" "Searle" وركّزوا في أبحاثهم على الفعل الإنجازي وشروطه، ومن بينهم "أوزوالد ديكرو" "Oswald Ducrot"، و"ديتر ويندريليشDieter Wunderlich"و"ريكانتي" "Recanati ".

[1] ينظر حكيمة بوقرومة: نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سيرل" ودورها في البحث التداولي، قسم اللّغة والأدب العربي، جامعة مسيلة، 15-10-2013، ص14، مقال من الأنترنت، www.asjp.cerist.dz

1- "أوزوالد ديكرو Oswald Ducrot" :

لساني فرنسي من مواليد 1930، وأحد أبرز المساهمين في الدراسات المتعلقة بالتّداوليات والتّلفظ ونظرية الحجاج، «ذكر شروط الإنجـازية، بقوله: "تكون جملة ما إنجــازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك ويكون فعل ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازية»[1].

وقام بتحديد نوع الأفعال وذلك في كتابه "القول واللاقول" وسمّاها "أفعال الرأي"، وهي ما يتعلّق بالمتكلّم ويعلم به السّامع يقينيا، مثل فكّر، علم، تيّقن، أعتق، تخيل، شك، جهل، تعلم...، وهي مجموع أفعال الشّك والرجحان واليقين في العربية، لكنه يجعل استعمالها مشروطا بأمرين: الأول أن تسند إلى ضمير المتكلم في المضارع، والثاني أن ترتبط بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها وعدمه.

ثّم يميّز أفعال الرأي هذه، عن قسم آخر من الأفعال يسمّى أفعال الحجاج «الّتي تختلف عنها في أنها لا تمثل رأيا لشخص، ولكن تعني الإفتراضات المسبقة للرأي، نحو برهن، بيّن، فنّد»[2].

2-"ديتر ويندريليشDieter Wunderlich" و" فرانسوا ريكاناتي François Recanati":

وهما من الّذين قاموا بنقد كل من "أوستين" "Austin" و"سورل" "Searle"في تصنيفهما لأفعال الكلام، فقد اقترح "ويندرليش" "wunderlich " أربعة مقاييس رئيسية لتصنيف أفعال اللّغة وهي:[3]

- إمكانية تصنيف أفعال اللّغة، من خلال علاماتها النّحوية في لغة ما.

- إمكانية تصنيف أفعال اللّغة كالتّالي: * نمط المضمون القضوي.

* نمط النتيجة الإنجازية.

[1] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 100-101.

[2] المرجع نفسه، ص 101.

[3] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص69.

- إمكانية التصنيف بحسب الوظيفة ورد الفعل .

- تصنيف أفعال اللّغة بحسب أصولها.

أمّا "فرانسواز ريكاناتي" "François Recanati" فيمكن تلخيص اقتراحاته في هذا الجدول الإجمالي للأنماط الكبرى لأفعال الإنجاز كالتالي:[1]

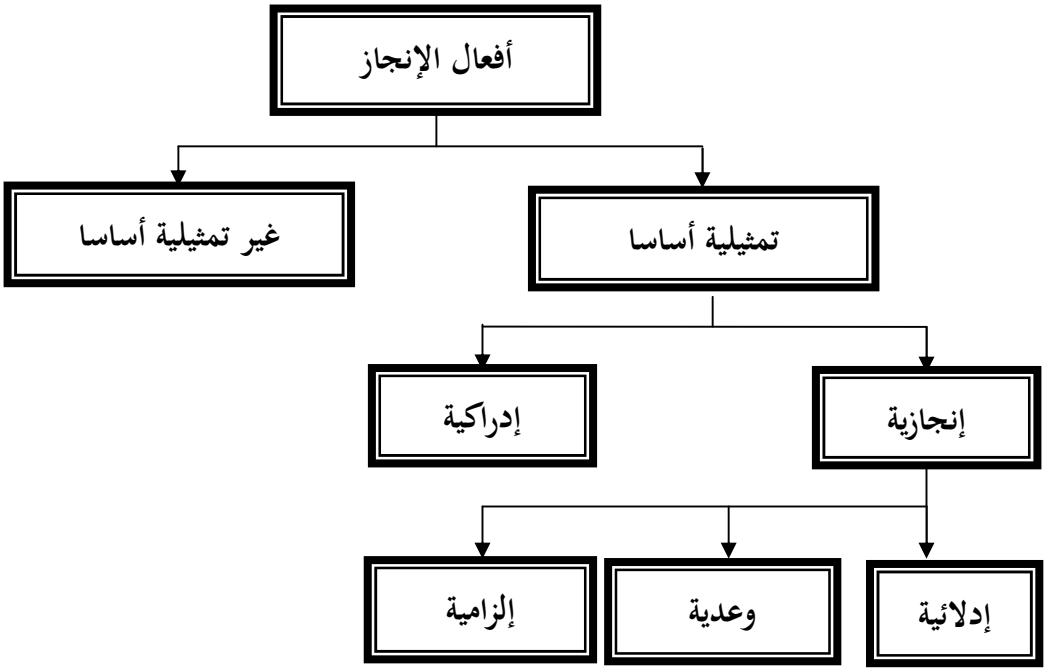

من خلال المرحلتين اللّتين مرّت بهما نظرية أفعال الكلام لكلّ من "أوستين" "Austin" و"سورل" "Searle" نخلص إلى ما يلي:

- تعد نظرية أفعال الكلام العمود الأساسي الّذي قام عليه الدرس التداولي.

- ظهرت مع "أوستين" "Austin" وتطوّرت على يد" سورل" "Searle".

- قام "أوستين" "Austin" بتوسيع مجال اللّغة، فبعدما كانت مجرد أداة للوصف صارت وسيلة للتّأثير في العالم.

- "سورل" "Searle" «بيّن القيمة الفلسفية والتّداولية للنظرية، ولاسيما تحليله للمكونات والأسس التصنيفية

[1] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص71.

لعناصر القوى المتضمنة في القول»[1]، وعلى الرّغم من ذلك يعتبر "أوستين" "Austin" القاعدة الأساسية الّتي طور من خلالها "سورل" "Searle" نظرية أفعال الكلام.

المبحث الثالث: الحجاج اللّغوي

الحجاج مفهوم متشعّب وملتبس على الدّارسين نظرا لتعدد مشاربه ومجالاته واستعمالاته، وهو توجه ينحدر من أصلين معرفيين، أحدهما تمثله النزعة التّداولية في اللّغويات المعاصرة، والثاني تمثله أعمال البلاغة الجديدة الّتي تأسّست على يد رجل القانون التشيكي "وشايم بيرلمان" "Chaim Perlman" واللّسانية البلجكية "أولبرخت تيتيكا " "Olbrechts Tyteca"[2].

وقد انبثقت نظريّة الحجاج في اللّغة من داخل نظرية الأفعال اللّغوية الّتي وضع أسسها "أوستين وسورل" " Austin" و"Searle"[3]، حيث أرسى دعائمها اللّساني الفرنسي "أوزفالد ديكرو" "Oswald Ducrot" ساعيا من خلالها إلى إثبات فكرة مهمة مفادها أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وأنّ الحجاج متجذّر في اللّغة ولصيق بها، فاللّغة تحمل في جوهرها مؤشرات ذاتية تدلّ على طبيعتها الحجاجية، وبذلك أزاح الفكرة الشائعة الّتي تقرّ بأنّ الوظيفة الأساسية للّغة هي الوظيفة التّواصلية الإخبارية، وأقام

مكانها فكرة جديدة تجعل الوظيفة الحجاجية وظيفة أساسية للّغة[4].

[1] حكيمة بوقرومة: نظرية الأفعال الكلامية، مرجع سابق، ص14.

[2] ينظر جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، الألوكة، ط1، 2015، ص 31.

[3] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 15.

[4] ينظر جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند "اوزفالد ديكرو" و"أنسكومبر"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد 3، 2018 ص194.

المطلب الأول: مفهوم الحجاج

1- تعريف الحجاج:

يعرّف الحجاج بأنّه «تقديم الحجج والأدلّة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثّل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج الّتي تستنتج منها»[1].

2- مفهوم الحجاج عند" ديكرو" "Ducrot"و"انسكومبر" "Anscomber" :

تحدّث" ديكرو" "Ducrot" عن الحجاج في كتابه المشترك مع زميله "أنسكومبر" "Anscomber" واللّذين سعيا من خلاله إلى إثبات الحجاج في اللّغة، وتغلغله فيها، فالخطاب حسبهما وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التّأثير على الغير وهو ما يسمّى بالحجاج، معتبران «أنّ كلّ قول مهما كانت الغاية منه والدّافع إليه قولا حجاجيا»[2]، وهو «قائم في جوهر اللّغة ذاتها بصرف النظر عن استخدامها»[3].

«إنّ مفهوم الحجاج عند "ديكرو" "Ducrot" و"انسكومبر"" Anscomber" يتمثّل في العلاقة القائمة بين سلسلة من الأقوال الّتي يخدم بعضها بعضا حجاجيا، فالأقوال اللّغوية في نظر "ديكرو" "Ducrot" تحمل في جوهرها مؤشّرات لسانية ذاتية تدلّ على طابعها الحجاجي دون أن يكون ذلك متعلّقا بالسّياق التّداولي الخارجي»[4]. فالحجاج موجود في الخطاب نفسه.

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص16.

[2] عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية، جامعة منوبة تونس، ط1 2001، ص40.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند "أوزفالد ديكرو" و"أنسكومبر"، مرجع سابق، ص197.

وقد عرّف "ديكرو" "Ducrot" الحجاج اللّساني بقوله: «حين نصف خطابًا ما بأنّه خطاب حجاجي فذلك معناه أنّ هذا الخـطاب يحتوي على ملفوظين اثنين على الأقل (م1) و(م 2)، حث يقوم أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر ويسمّى الأوّل حجّة والثّاني نتيجة»[1].

المطلب الثّاني: السّلم الحجاجي وقوانينه

1- تعريف السّلم الحجاجي:

يعرّف السّلم الحجاجي بأنّه : «عبارة عن مجموعة غير فـــارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية»[2].

وهو بعبارة أخرى «علاقة ترتيبيّة للحجج»[3] يمكن أن يرمز لها كما يلي :

ن: نتيجة.

ب- ج - د: حجج تؤدي وتخدم النتيجة ن.

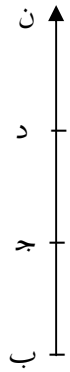

فعندما تكون هناك علاقة ترتيبيّة معيّنة بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، فإنّ هذه الحجج تنتمي إلى نفس السّلّم الحجاجي الّذي هو فئة حجاجية موجهة[4].

ويتميّز السّلم الحجاجي بالسّمتين الآتيتين:[5]

[1] كمال بخوش: الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، مجلة تعليميات، العدد9، 2016،ص344.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 50.

[3] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 20.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 20- 21.

[5] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص105.

- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

- كلّ قول في السّلم كان دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى.

فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

- حصل محمد على شهادة اللّيسانس.

- حصل محمّد على شهادة الماستر.

- حصل محمد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الحجج تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية ونفس السّلم الحجاجي، فكلّها تؤدّي إلى نتيجة مضمرة تتمثّل في "المكانة العلمية" أو "الكفاءة" وكلّها أدلّة وحجج تؤدّي إلى هذه النّتيجة، وكلّ قول يكون القول الّذي يعلوه أقوى منه ليكون بذلك القول الأخير والّذي ورد في أعلى السّلم "حصول محمد على الدكتوراه" أقوى دليل على كفاءة محمد ومكانته العلميّة.

ويمكن تمثيل هذا السّلم كما يلي :

2- قوانين السّلم الحجاجي :

يقوم السّلم الحجاجي على ثلاثة قوانين وهي: قانون النّفي، قانون القلب، وقانون الخفض.

2-1- قانون النّفي:

ومضمون هذا القانون أنّه «إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلّم ما ليخدم نتيجة معينة، فإنّ نفيه (أي~أ) سيكون حجّة لصالح النتيجة المضادّة، وبعبارة أخرى فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجيّة المحدّدة بواسطة "ن" فإنّ (~أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجيّة المحددة بواسطة (لا-ن) »[1].

ويمكن تمثيل هذا القانون بالمثالين التّاليين :

- محمد مجتهد لقد نجح في الامتحان.

- محمد ليس مجتهدا، لم ينجح في الامتحان.

فقبول الحجاج الوارد في المثال الأول يوجب تقبّل الحجاج الوارد في المثال الثّاني.

2-2- قانون القلب:

ومضمون هذا القانون أنّه «إذا كان أحد القوانين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معين، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأوّل في التّدليل على نقيض المدلول»[2].

ويرتبط هذا القانون بالنّفي أيضا، ومفاده أنّ السّلم الحجاجي للأقوال المنفية، هو عكس سلّم الأقوال الإثباتية أي في وجود حجتين إحداهما أقوى من الأخرى في التّدليل على نتيجة معينة، فإنّ نقيضها أقوى في التّدليل على

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 22.

[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص106.

النتيجة المضادة[1]، ويمكن تمثيل هذا القانون بالمثالين:

- حصل أمين على الماجستير وحتّى الدكتوراه.

- لم يحصل أمين على الدكتوراه بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول أمين على الدكتوراه، أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، أمّا عدم حصوله على الماجستير فهو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

2-3- قانون الخفض:

ومضمون هذا القانون أنّه «إذا صدق القول في مراتب معينة من السّلم فإنّ نقيضه يصدق في المراتب الّتي تقع تحتها»، و«ينتج هذا القانون عن طريق "النّفي أو ما يسمى بالنقيض»[2].

ويمكن تمثيل هذا القانون بالمثالين:

- الجو ليس حارا.

- لم يحضر كثير من المدعوين العرس.

ففي المثال الأول نحن نستبعد التّأويلات الّتي ترى أنّ الجو شديد الحرارة.

أمّا في المثال الثّاني فنحن نستبعد التّأويلات الّتي ترى أنّ كلّ المدعوين حضروا العرس.

وبذلك يكون تأويل القول الأول: إذا لم يكن الجو حارا فهو دافئ أو بارد. أمّا تأويل المثال الثاني فهو لم يحضر إلاّ القليل من المدعوين إلى العرس.

[1] ينظر أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 22.

[2] جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند" أوزفالد ديكرو" و"أنسكومبر"، مرجع سابق، ص201.

المطلب الثالث: الرّوابط والعوامل الحجاجية

هناك صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية، الرّوابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، وهما: «مفهومان لا يمكن الاستغناء عنهما، وذلك نظرا لمركزيتهما التّوجيهية للخطاب وفق مقاصد المتكلّمين»[1].

وقد اشتملت اللّغة العربية على هذه المؤشرات كغيرها من اللّغات، فهي تحتوي على عدد كبير من العوامل والرّوابط الحجاجية والّتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأنّ، بما أنّ مع ذلك ، ربّما، تقريبا، إنّما، ما، إلّا.....[2]

1- العوامل الحجاجية:

1-1- تعريفها:

هي عبارة عن «مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحوّل وتوجّه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ»[3]، وهي لا تربط بين المتغيّرات الحجاجية أي بين حجّة وحجّة أو بين مجموعة من الحجج وإنّما تقوم بحصر الإمكانات الحجاجية الّتي تكون لقول ما ومن أمثلها: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلّا، وجل أدوات القصر[4].

1-2- وظائفها:

عندما يدخل العامل الحجاجي على الملفوظ يكسبه ثلاث مظاهر حجاجيّة أو ثلاث وظائف حجاجية:[5]

- القضاء على تعدّد الإستلزامات والنّتائج: وهو ما ينقل المتلقّي من التّعدد والغموض إلى وحدة النّتيجة وذلك بحصر المسالك التّأويلية والّتي تتمّ بنقل الملفوظ من البعد الإبلاغي إلى البعد الحجاجي.

[1] جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند" أوزفالد ديكرو" و"أنسكومبر"، مرجع سابق، ص 198.
[2] ينظر أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 26.
[3] جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند" أوزفالد ديكرو" و"أنسكومبر"، مرجع سابق، ص 198.
[4] ينظر أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 27.
[5] ينظر كمال بخوش : الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، مرجع سابق، ص348.

– **تنشيط المواضع**: فالمواضع هي العمدة في ارتباط المعطى(ق) الّذي يمكن أن يمثل حجّة للنّتيجة (ن) وعلاوة على الوظيفة التّعاقدية بين الحجّة والنّتيجة، فإنّه يعتبر كذلك ضامنا من ضمانات تسلسل الخطاب، وعنصرا من عناصر تناسق الخطاب.

– **تقوية التّوجه نحو النّتيجة (ن)**: وهذا على صعيد ما يسمّى بالسّلالم الحجاجيّة الّتي يمكن اعتبارها آلية من آليات البرهنة على مقولة التّوجه الحجاجي بل وحجاجية اللّغة.

2– الرّوابط الحجاجية:

2–1– تعريفها:

يعرّف الرابط الحجاجي بأنّه: «مورفيم من صنف الروابط (حروف العطف والرّوابط)».[1]

فالرّوابط الحجاجية «تربط بين قولين أو بين حجّتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكلّ قول دورا محدّدا داخل الإستراتجية الحجاجية العامة، ويمكن التّمثيل للرّوابط بالأدوات التّالية: بل، لكن، حتى، لاسيّما، إذن، لأنّ بما أنّ، إذ.....الخ».

– فقولنا مثلا: محمد مجتهد إذن سينجح في الامتحان، هذا القول يشمل على حجة (محمد مجتهد) ونتيجة (سينجح) والرّابط "إذن".

2–2– أنماطها:

هناك أنماط عديدة من الرّوابط الحجاجية نذكر منها:[2]

[1] جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند" أوزفالد ديكرو" و"أنسكومبر"، مرجع سابق، ص 199.
[2] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 30.

– الرّوابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، معذلك، لأنّ.....) والرّوابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا وبالتالي...).

– الرّوابط الّتي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما....) والرّوابط الّتي تدرج حججا ضعيفة.

– روابط التّعارض الحجاجي (بل، لكنّ، مع ذلك....) وروابط التّساوق الحجاجي (حتى، لاسيما....).

2–3– وظائفها: للرّوابط الحجاجيّة وظيفتان رئيسيتان هما:[1]

– تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر.

– تخدم دورا حجاجيا للوحدات الدّلالية الّتي تربط بينها فهي تربط بين قولين أو حجتين أو أكثر، وتسند لكلّ قول دورا محدّدا، داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة.

المطلب الرابع: المبادئ الحجاجيّة والتّوجيه الحجاجي

1– المبادئ الحجاجيّة:

1–1– تعريفها:

«هي مجموعة من المسلّمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة والكلّ يسلّم بصدقها وصحتها»[2].

فوجود الرّوابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية وقيام العلاقة الحجاجيّة فلابدّ من وجود ضامن يضمن الرّبط بين الحجة والنتائج. وهو ما يعرف بالمبادئ الحجاجيّة وهي قواعد عامّة تجعل حجاجا ما ممكنا، فالكلّ يعلم أنّ العمل يؤدي إلى النّجاح والتّعب يستدعي الرّاحة، والأخلاق من القيم النّبيلة

[1] ينظر جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند "أوزفالد ديكرو" و" أنسكومبر"، مرجع سابق، ص 199 .
[2] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 33.

كما أنّ الكلّ يقبل أنّ انخفاض درجة الحرارة يجعل المطر ممكنا. فبعض هذه المبادئ يرتبط بالقيم والأخلاق والآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم[1].

2-1- خصائصها:

تتميّز المبادئ الحجاجيّة بجملة من الخصائص يمكن إيجازها فيما يلي:[2]

- إنّها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

- **العموميّة:** فهي تصلح لعدد كبير من السّياقات المختلفة والمتنوعة.

- **التّدرجيّة:** أنّها تقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سّلمين حجاجيين (العمل، النّجاح مثلا).

- **النّسبية:** فإلى جانب السّياقات الّتي يتمّ فيها تشغيل حجاجي ما، فهناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسّياق المقصود أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له، فالعمل يؤدّي إلى النّجاح، لكن قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحدّ المطلوب، وإذا نظر إليه على أنّه تعب وإرهاق وإهدار للطّاقة.

2- التّوجيه الحجاجي "الوجهة الحجاجيّة":

2-1- تعريفه:

ترتبط كلّ حجة بنتيجة واحدة على الأقل أي أنّها تسلك مسلكا يقودها نحو هذه النّتيجة أو تلك وهو ما يطلق عليه بالتّوجيه الحجاجي، جاء في القــاموس الموسوعي للتّداولية: «إنّ الوجهة الحجاجية هي الاتّجاه الّذي

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج،مرجع سابق، ص 33.
[2] المرجع نفسه، ص31- 32.

يعين للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره، إنّ الوجهة الحجاجية هي خاصيّة من خصائص الجملة موضوع أداء القول»[1].

كما جاء في معجم تحليل الخطاب لـ"باتريك شارودو" "Patrick Charaudeau"و"دومينيك مانغنو" "Dominic Mangno" بأنّه: «يمكن أن يحدّد التوجيه الحجاجي أو القيمة الحجاجية لملفوظ (مل1) بأنّه اختيار يحدثه هذا الملفوظ من الملفوظات (مل2) الّتي من شأنها أن تأتي بعده في خطاب محكم الصياغة نحويا، أي مجموع الإمكانات أو الاستحالات لاستمرار الخطاب الّتي يحددها استعماله»[2].

وحسب "ديكرو" "Ducrot": «لكي يقدّم (ق1) كحجة تفضي وتقود إلى التّسليم بـ (ق2) لا يكفي بذلك أن يكون (ق1) من الحجج الّتي تضمن الإذعان بـ (ق2)، وإنّما البنية اللّغوية لـ (ق1) يجب أن تنهض بشروط من شأنها أن تؤهّله لكي يكون حجة تقود إلى (ق2)»[3].

وفي هذه الحالة يكون الانتقال من وضع أوّل (معلوم) إلى وضع ثان (مستهدف)، قد يكون معلوما (صريحا) أو غير معلوم (ضمني)، وهي النتيجة الّتي يريد المتكلم استهداف المتلقي بها، فإذا كانت اللّغة حجاج محض فإن الحجاج توجيه صرف[4].

2-2- أنواعه:

يقسّم التّوجيه الحجاجي إلى ثلاثة أنواع هي:[5]

- التّوجيه الحجاجي الأحادي: هو توجه حجة واحدة نحو نتيجة واحدة.

[1] كمال بخوش: الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، مرجع سابق، ص9.
[2] باتريك شارودو، دومنيك مانغنو: معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص399.
[3] كمال بخوش: الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، مرجع سابق، ص9.
[4] ينظر المرجع نفسه، ص9-10.
[5] المرجع نفسه، ص10.

– **التّوجيه الحجاجي الثنائي:** هو توجه حجة واحدة نحو نتيجتين.

– **التّوجيه الحجاجي المتعدّد:** هو توجّه حجة إلى أكثر من نتيجتين.

2–3– الحجج المساندة والحجج المتعاندة:

إذا كان الملفوظ يتألّف من أكثر من حجة، فإنّها تتسق فيما بينها اتّساقا حجاجيا، وهي في اتّساقها هذا أمّا أن تشترك بتوجهها متساندة أو متعاندة في نفس النتيجة.

– **الحجج المتساندة:** يمكن أن تؤيّد النتيجة الواحدة بعدّة حجج "كان المطر يتهاطل وكنت بعيدا عن محطة الحافلات فاكتريت طاكسي" فنكون أمام جمع من الحجج السّائرة نحو الالتقاء (تكتل) والّتي لا تكون لازمة ولا كافية إذا ما نظر إليها منفصلة، وعندما ينظر إليها كمجموعة فإنّ بعضها يدعم بعضا ويمكن أن تفوز بموافقة المخاطب (دليلان أفضل من دليل واحد) مثال: لقد تقادم حاسوبي، وأعلنوا عن تخفيضات للنّوع المفضل عندي وقد تلقّيت مكافئة، سأشتري[1].

– **الحجج المتعاندة:** نقول عن ملفوظين أنّهما متعاندان إذا تمّ سوقهما لمساندة نتيجتين متعارضتين، أي أنّ كلّ حجّة تساند نتيجة هي نقيض النتيجة الّتي تساندها الحجة الأولى[2].

مثال:

ح1 ⇐ ن1

(ح2) تعارض (ح1) ⇐ (ن2)

ح2 ⇐ ن2

[1] ينظر باتريك شارودو، دومنيك مانغنو: معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص72.

[2] ينظر كمال بخوش: الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، مرجع سابق، ص11.

المبحث الرابع: الاستلزام الحواري Canvarsational implicaturé

المطلب الأول: مفهومه وأنواعه

1- مفهومه:

يعتبر الإستلزام الحواري من أهمّ المفاهيم الّتي تقوم عليها التّداولية و«ترجع نشأته إلى الفيلسوف "بول جرايس H.p. Grice" في محاضراته الّتي ألقاها بجامعة هارفارد عام 1967م في إطار "المنطق والحوار" الّذي حاول فيه التّفريق بين ما يقال وما يقصد في الخطابات المختلفة»[1]، حيث جعل جلّ اهتمامه على أنّ للجملة معنيين، معنى صريح ومعنى غير مصرح به، فيسمّى «الانتقال من المعنى الصّريح إلى المعنى غير المصرّح به بمعنى مستلزم حواريا»[2]، أي أنّ العملية الحواريّة بين المتكلّم والمخاطب تقوم في تأويلها على نوعين من الدّلالة هما الدّلالة الطّبيعيّة الوضعيّة، والدّلالة غير الطّبيعيّة ، «فالأولى تشير إلى الدّلالة المصرّح بها، دون الحاجة إلى تأويل الملفوظ مثل "الدّخان علامة على وجود النّار"، أمّا الثّانية فنلاحظ أنّ تأويل الملفوظات لا يتوقّف عند حدود الدّلالة اللّغوية التّواضعية للكلمات، بل يعتمد أساسا على قصد المتكلّم ونواياه وفهم المخاطب لهذه النوايا وعلى سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن ثمّ فإنّ فهم الملفوظ لا يمكن أن يكتمل دون محاولة المخاطب بناء استدلال منطقي مقبول»[3].

2- أنواعه:

ميّز "جرايس Grice" بين نوعين من الاستلزام: الاستلزام العرفي Conventional Implicature والاستلزام الحواري Conversational Implicature «فأمّا الاستلزام العرفي فقائم على ما تعارف عليه

[1] محمد عكاشة: التداولية اللسانية-النشأة، المفاهيم، المبادئ، مرجع سابق، ص86.

[2] العياشي ادراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، مرجع سابق، ص18.

[3] ينظر جواد ختام: التداولية،أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق ،ص99-100.

أصحاب اللّغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفكُّ عنها مهما اختلفت بها السّياقات وتغيّرت التّراكيب، ومن ذلك مثلا في الانجليزية "But" ونظيرتها في اللّغة العربية "لكن" فهي تستلزم دائما أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقّعه السّامع مثل: My friend is poor, But honest، ومثل زيد غني لكنّه بخيل وأمّا الاستلزام الحواري فهو متغيّر دائما بتغيّر السّياقات الّتي يرد فيها»[1]، ويمكن تلخيص هذه الأنواع في المخطط الآتي:

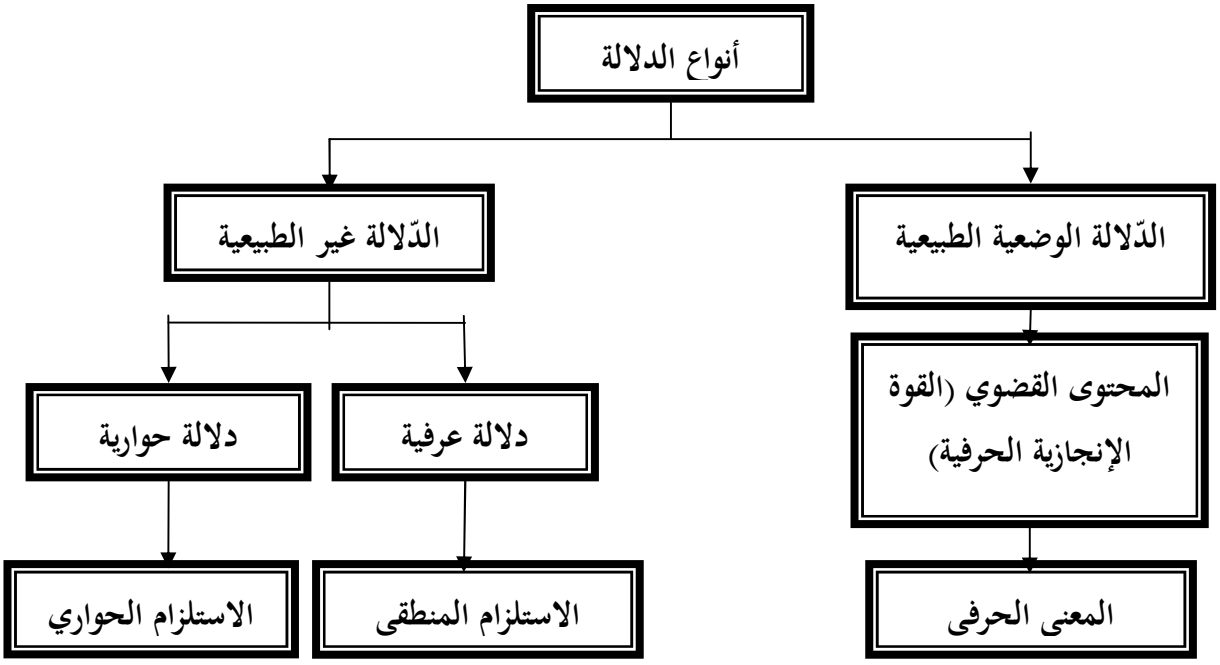

رسم توضيحي يوضح أنواع الدّلالة في الاستلزام.[2]

المطلب الثّاني: خصائصه

وضع "جرايس" "Grice"خصائص لتمييز الاستلزام الحواري عن باقي الأنواع الأخرى من الاستلزام وهي:[3]

[1] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص33.

[2] ينظر جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص100.

[3] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص38، 39.

– **الاستلزام ممكن إلغاؤه Defeasible**: ويكون ذلك إذا عمد المتكلّم إلى إضافة قول يسدّ الطريق أمام المخاطب وهو يمهد للدخول في عملية التأويل للوصول إلى معاني خفية في العبارة مثلا: إذا قالت قارئة لكاتب "أنا لم أقرأ كل كتبك"، فقد يستلزم هذا الكلام أنّها قرأت بعضها، لكن إذا قالت "الحق أنّي لم أقرأ أي كتاب منها" فيكون ردّها هنا إلغاء للاستلزام.

– **الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدّلالي Non–Detachable**: أي أنّ الاستلزام الحواري مرتبط بالمعنى الدّلالي لا بالصّيغة اللّغوية الّتي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبـارات بأخرى ترادفها

مثال حوار بين أختين:

أ– لا أريدك أن تتسلّلي إلى غرفتي على هذا النحو.

ب– أنا لا أتسلّل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغير الصياغة في القول (ب) فإنّ ما يستلزمه القول من عدم الرضا عن هذا السّلوك لا يزال قائما.

– **الاستلزام متغيّر**: والمقصود بالتغير أنّ التعبير الواحد يمكن أن يؤدّي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة

مثلا السؤال عن العمر يحمل عدّة دلالات:

أ– طلب العلم.

ب– التّوبيخ والإرشاد.

ج– الحثّ على تحمّل مسؤولية القرار المتّخذ والعواقب الناجمة عنه.

فالاستلزام في (أ): طلب للعلم إذا كان الطفل صغيرا.

والاستلزام في (ب): توبيخا ونصحا إذا كان الولد عمره 15 سنة.

والاستلزام في (ج): إذا كان الشخص ناضجا نحثّه على تحمل المسؤولية واتّخاذ القرار.

– **الاستلزام يمكن تقديره Calculability**: ويقصد به أنّ المخاطب يقوم بخطوات محسوبة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام.

المطلب الثالث: مبدأ التّعاون عند "غرايس" "Grice"

وضع "غرايس" "Grice" مبدأ عاما سماه "مبدأ التعاون"، والّذي يقضي بأن يتعاون المتخاطبون في تحقيق الهدف من حواراتهم، وصيغته "ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الّذي يقتضيه الإتّجــاه المرسوم للحوار الّذي اشتركت فيه"[1]، ويتفرع عن هذا المبدأ أربع قواعد هي:[2]

– **قاعدة الكم Maxim of Quantity**: ترتبط بكمية المعلومات اللازم توفرها، تتفرع بدورها إلى مقولتين هما:

– لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته، لاتجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب.

– **قاعدة الكيف Maxim of Quality**: القصد منها منع ادعاء الكذب، وترتبط بقاعدة أساسية هي:

- اجعل مساهمتك صادقة[3]، وتتفرع إلى:
- لا تقل ما تعلم خطأه.
- لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

– **قاعدة الملائمة Maxim of Relevance أو العلاقة Relation**: وخلاصتها (ليناسب مقالك مقامك)، أي أن يجعل المتكلّم كلامه ذا علاقة بالموضوع:

[1] عيسى تومي: الإستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة)، المركز الجامعي لتمنراست الجزائر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 8، العدد1، 2019 ،ص44.

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3] ينظر جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص101.

- اجعل مساهمتك ملائمة Be relevant.

– قاعدة الجهة Maxim of Manner: وترتبط بما يراد قوله وهي تختلف عن القواعد السّابقة في كونها لا تعنى بما قيل، وإنّما بكيفية التّعبير عمّا ننوي التّعبير عنه ،وترتبط بقاعدة جوهرية هي:

-كن واضحا Be perspicuous، وتتفرّع إلى:

- ليكن تدخّلك واضحا.
- ليكن تدخّلك موجزا.
- اجتنب الغموض.
- اجتنب الالتباس[1].

فكلّ هذه القواعد ضرورية لضمان نجاح العملية التّخاطبية، وإذا اختلّت قاعدة منها أدّى ذلك إلى فشل العملية.

المطلب الرابع: المعاني المستلزمة عن الخبر والإنشاء عند العرب

ليست البحوث الغربية فقط من أعطت لهذا الجانب التّداولي حيّزا للدّراسة، فقد تمّ «الانتباه في الفكر اللّغوي العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، ليس من حيث كونها مفهوما وإنّما باعتبارها إشكالا دلاليا، يُبرز من حين لآخر أثناء الخطاب، وقاموا بوضع مصطلحات ومفاهيم تختلف باختلاف العلوم المعنية بالدّراسة كالأغراض الّتي تؤديها الأساليب و"دلالة المفهوم" و"المعنى المقامي"، و"المعنى الفرعي"، وهذا يدلّ على وعيهم بهذه الظاهرة»[2].

فقد قسّم العرب الكلام إلى خبري وإنشائي، كَوْن أي عملية تخاطبية تقوم على الحوار الّذي يعتمد على أسلوبين: – الأسلوب الخبري. – الأسلوب الإنشائي.

[1] جواد ختام: التداولية، أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص102.

[2] ينظر العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، مرجع سابق، ص25.

فالحوار العام وإن كان ظاهرا وصريحا يحمل أيضا في طيّاته معان مضمرة وخفيّة لا تعرف إلاّ من خلال السّياق.

1- المعاني المستلزمة عن الأسلوب الخبري:

1-1- تعريف الخبر:

إنّ الخبر في تعريفه المتداول هو «كلّ كلام يصحّ وصفه بالصّدق أو الكذب لذاته»[1]، ونتأكّد من مصداقيته من خلال مطابقته للواقع فمثلا إذا قلنا "الثلج ينزل" وكان هو كذلك في الواقع فإنّ الكلام يكون صادقا، وإن لم يكن ينزل فإنّ الكلام كاذب، بالإضافة إلى مصداقية الخبر بإرجاعه إلى الواقع فإنّ هناك من يرى بأنّ تلك المصداقية تعود إلى قائل الخبر وليس مرجعيته فالخبر يكون صادقا بشرط مطابقته لاعتقاد المخبر أو عدم مطابقته، مثلا يقول قائل: البحر ماؤه عذب- معتقدا ذلك- صدق، ويكون قوله: البحر ماؤه ملح- غير معتقد ذلك-كذب[2].

وهناك من يرجع مصداقية الخبر إلى مفهوم الكلام الخبري ذاته دون النّظر إلى المخبر أو الواقع، إذ أنّ هناك من الأخبار مقطوع بصدقه لا يحتمل الكذب، وما هو مقطوع بكذبه لا يحتمل الصّدق، فمن الأخبار الصّادقة كليّا ولا تحتمل الكذب: كلام الله ورسله ومن الأخبار الكاذبة كليّا ولا تحتمل الصّدق هي الأخبار المناقضة للبديهيات مثل: الجزء أكبر من الكلّ، أيام الأسبوع خمسة، وكذلك الأخبار الّتي تتضمّن حقائق معكوسة مثل: الأمانة رذيلة والخيانة فضيلة[3].

[1] السيّد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 17.
[2] ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص42-43.
[3] ينظر المرجع نفسه، ص47.

1-2- أقسامه:

ينقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام: ابتدائي، طلبي، إنكاري.

- **الخبر الابتدائي:** هو«الخبر الّذي يكون خاليا من المؤكّدات لخلو دهن المخاطب من الحكم، وعدم تردّده فيه»[1].

- **الخبر الطّلبي:** وهو «الخبر الّذي يلقى لمن يتردّد فيه، ولا يعرف مدى صحّته، مع طلبه الوقوف على حقيقة الأمر، وفي هذا الحال يحسن التّوكيد، ليتمكن من نفسه، وذلك بإحدى أدوات التّوكيد، محوا لهذا التّردّد وتمكينا للحكم في نفسه»[2].

الخبر الإنكاري: وهو «الخبر الّذي يلقى للمخاطب الّذي ينكره ويعتقد خلافه، فيحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكّد»[3].

1-3- أغراضه: إنّ الأصل في الخبر أن يكون لغرضين هما:[4]

- **فائدة الخبر:** إفادة المخاطب الحكم الّذي تضمنته الجملة أو العبارة ويسمى ذلك الحكم "فائدة الخبر" مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[5].

- **لازم الفائدة:** إفادة المخاطب أنّ المتكلّم أيضا عالم بالحكم، أي بمضمون الخبر، ويسمى ذلك "لازم الفائدة"[6].

[1] السيد جعفر باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص21.
[2] المرجع نفسه، ص22.
[3] المرجع نفسه، ص24.
[4] أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، (البيان و المعاني و البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3،1993، ص 46.
[5] سورة النور، الآية 35.
[6] ينظر السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص31.

وقد يخرج الخبر عن هذين الغرضين ليحقق أغراضا أخرى لا تفهم إلاّ من خلال السّياق وأهمّها:[1]

– **إظهار الضعف**: هو الّذي يتضمّن إظهار ضعف المخبر عنه، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[2].

– **الأمر**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[3].

– **التذكير بما بين المراتب من التفاوت**: ومنه قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4].

– **إظهار التّحسر**: نحو قوله تعالى على لسان أم مريم:﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾[5].

– **الوعظ والإرشاد**: نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾[6].

هذه بعض الأغراض الّتي يكثر تداولها في الكلام، لأنّ المعاني الّتي يحتملها الخبر ويدلّ عليها لا حصر لها.

2– المعاني المستلزمة عن الأسلوب الإنشائي:

2–1– تعريف الإنشاء:

إذا كان الخبر يحتمل الصّدق والكذب فإنّ الإنشاء هو الكلام الّذي لا يحتمل الصّدق والكذب، وذلك لخروج أساليبه إلى معان أخرى يحدث من خلالها خرق وتجاوز لأحد القواعد الخاصّة بـ "جرايس" "Grice"

[1] ينظر السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص32– 35.
[2] سورة مريم، الآية 4.
[3] سورة البقرة، الآية 228.
[4] سورة الزمر، الآية 9.
[5] سورة آل عمران، الآية 36.
[6] سورة الرحمان، الآية 26.

فيتولّد عن ذلك الانتقال من معان صريحة إلى معان مستلزمة، فالمعاني الصّريحة تدلّ عليها العبارات بلفظها، أمّا المعاني المستلزمة فتدلّ عليها العبارات باستعمال موقف تواصلي معين.

فهو «الكلام الّذي يحصل مضمونه بمجرّد التلفظ به، وهو لا يحتملّ الصّدق والكذب لذاته، ولم يكن لنسبته خارج قصد حكايته»[1]، فبينما لصيغة الخبر نسبة تعرف من الخارج، يقصد المتكلّم بالكلام حكايتها والإخبار عنها، ويكون الخبر صادقا بمطابقتها، وكاذبا بمخالفتها، فإنّ الإنشاء لا يقصد به الحكاية عن نسبة متحقّقة في الخارج، بل المقصود إحداث مدلوله[2].

2-2- أقسامه:

قسّم البلاغيون والعلمّاء العرب الإنشاء إلى قسمين: الإنشاء الطّلبي، والإنشاء غير الطّلبي.

• **الإنشاء غير الطلبي**: وهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب[3]، وله أساليب وصيغ كثيرة منها:[4]

أ- صيغ المدح والذم: مثل نِعم وبِئس، حَبَّذَا، ولا حَبَّذَا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾[5].

ب- التّعجب: وهو تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف من الأوصاف، ويأتي بصيغتين هما: "ما أفعله" و"أفعل به"، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا ﴾[6].

[1] السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 49.
[2] ينظر المرجع نفسه، صفحة نفسها .
[3] ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، مرجع سابق، ص71.
[4] المرجع نفسه، ص 71- 73.
[5] سورة الحجرات، الآية 11.
[6] سورة مريم، الآية 38.

ج– القسم: ويكون بأحرف ثلاثة تجرّما بعدها هي: الباء، الواو، التاء، أو بالفعل "أقسم"، أو ما في معناه مثل "أحلف"، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾[1].

د– الرّجاء: ويكون بحرف واحد وهو "لعلّ"، وثلاثة أفعال هي عسى، حرى، اخلولق، نحو قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾[2].

هـ–صيغ العقود: مثل قولك: بِعت، اشتريت، وهبت.

وباعتبار أنّ الإنشاء غير الطّلبي هو عبارة عن أخبار نقلت عن الإنشاء فإنّ علماء اللّغة والبلاغة لا يبحثون عنها، وإنّما المبحوث عنه هو "الإنشاء الطّلبي" لما يمتاز من لطائف بلاغية[3].

• **الإنشاء الطّلبي:** هو «ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب»[4]، وقد عـرّفه "القزويني" بقوله «الإنشاء إن كان طلبا استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب»[5]، وهو خمسة أنواع هي: الأمر، الإستفهام النّهي والتّمني، النّداء .

– أسلوب الأمر:

الأمر هو طلب الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، من الأعلى إلى الأدنى حقيقة أو ادعاء، أي سواء أكان الطالب أعلى في الواقع أم كان مدعيا ذلك[6]، وله أربع صيغ هي:[7]

[1] سورة الأنبياء، الآية 57.
[2] سورة المائدة، الآية 52.
[3] ينظر أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، دط، 2017، ص80.
[4] عبد العزيز عتيق: علم المعاني، مرجع سابق، ص70.
[5] القزويني الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904، ص151.
[6] ينظر عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001، ص14.
[7] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

- فعل الأمر: قال الله تعالى: ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾[1].

- الفعل المضارع المقرون بلام الطلب: قال الله تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾[2] .

- اسم فعل الأمر: قال الله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[3].

- المصدر النائب عن فعل الأمر: قال الله تعالى: ﴿ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾[4].

قد يخرج الأمر عن أصله ليحقق معان أخرى، لا تفهم إلاّ من خلال السّياق والّتي سنذكر البعض منها على سبيل التّمثيل لا الحصر:[5]

أ- الدّعاء: وهو الطّلب على سبيل التّضرع أي التّدلل والخضوع، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾[6].

ب- التّهديد: ويكون حينما يريد المتكلّم إظهار عدم رضاه عن أمر ما، نظرا لما يترتّب عنه من عقاب شديد كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤٠﴾﴾[7] .

ج- التّعجيز: وهو تحدّي المخاطب بعمل لا يستطيع عمله، وذلك إظهار لضعفه وعجزه عن الإتيان به، كقوله

---

[1] سورة المائدة، الآية 6.
[2] سورة الحج، الآية 15.
[3] سورة المائدة، الآية 105.
[4] سورة محمد، الآية 4.
[5] السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص53 – 54 – 55.
[6] سورة الأحقاف، الآية 15.
[7] سورة فصلت، الآية 40.

تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[1].

د- الإرشاد والنّصح: وهو الطّلب طلبا غير جازم، بل للإرشاد والنّصيحة، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾[2].

هـ- التّسوية: في صورة توهم المخاطب رجحان أحد الأمرين على الآخر، مع أنّهما متساويان مثل قوله تعالى: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾[3].

و- التّسخير: وهو الذلّة والامتهان والانتقال من حال حسنة إلى حال ممتهنة، كقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥﴾[4].

- أسلوب النّهي:

النّهي هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون "بلا" النّاهية[5]، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[6].

ومن المعاني الّتي تحملها صيغة النّهي وتُستفاد من السّياق وقرائن الأحوال ما يلي:[7]

[1] سورة البقرة، الآية 23.
[2] سورة البقرة، الآية 282.
[3] سورة الطور، الآية 16.
[4] سورة البقرة، الآية 65.
[5] ينظر السيّد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص108.
[6] سورة الإسراء، الآية 32.
[7] ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، مرجع سابق، ص 84 – 88.

أ- الدّعاء: ويكون صادرا من الأدنى إلى الأعلى منزلة وشأنا، نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ [1] .

ب- الالتماس: ويكون صادرا من شخص إلى أخر يساويه قدرا ومنزلة، مثل قوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓ﴾ [2].

ج- النّصح والإرشاد: قال الشاعر شوقي:

لا تسمعوا للمرجفين وجهلهم فمصيبة الإسلام من جهّاله

د- التّوبيخ: عندما يكون المنهيّ عنه أمر لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه، كقول الله تعالى: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [3].

هـ- التّيئيس: وهو كأن تقول لشخص يحاول أن يكتب قصيدة وهو لا يملك الملكة الشعرية: "لا تحاول نظم الشّعر"، قال الله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [4].

و- التّهديد: وذلك عندما يقصد المتكلّم تخويف من هو أقلّ منه منزلة وقدرا نتيجة قيامه بفعل لا يرضاه مثل قولك لمن هو دونك: "لا تقلع عن عنادك ".

[1] سورة البقرة، الآية 286.
[2] سورة طه، الآية 94 .
[3] سورة الحجرات، الآية 11.
[4] سورة التّوبة، الآية 66.

– أسلوب الاستفهام:

الاستفهام هو «طلب الفهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، بواسطة أداة من أدواته وهي: الهمزة، هل، من، ما، متى، أين، أيّان، أنى، كيف، كم، أيّ»[1].

قد يخرج الاستفهام أيضا إلى معان مجازية تفهم من خلال السّياق، نذكر منها:[2]

أ– الإنكار: نحو قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾[3].

ب– التّقرير: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾[4].

ج– التّعظيم: نحو قول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضـــــاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر؟

د– التّحقير: مثل قول الشاعر:

دع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير؟

هـ– التّسويق: كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾[5].

– أسلوب النّداء:

وهو «طلب إقبال المدعو على الدّاعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كلّ حرف منها منـاب الفعل

[1] عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مرجع سابق، ص18.
[2] مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1985، ص26-27.
[3] سورة الصّافات، الآية 95.
[4] سورة الشرح، الآية 1.
[5] سورة الصف، الآية 10.

"أدعو"، وأحرف النّداء أو أدواته ثمانٍ: الهمزة، أي، يا، أيا هيا، آ، آي، وا »[1].

وقد يخرج النّداء عن معناه الأصلي ليحقّق معان أخرى، تفهم من خلال السّياق بمعونة القرائن، ومن أهمها:[2]

أ– الإغراء والتّحذير: نحو قولك للجندي المتردّد في الدّفاع: "يا شجاع تقدّم" ولمن أقبل يتظلّم: "يا مظلوم".

ب– النّدبة:: وهي نداء الهالك، أو هو منادى على وجه التّفجّع، نحو قول المتنبّي.

وا حرّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

ج– الاستغاثة: وهي في أصل اللّغة طلب الإغاثة، كقولنا "ياللّه للمسلمين" و"يا للعرب لفلسطين".

د– التعجب: وهو تعظيم الأمر في نفوس السّامعين ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾[3].

هـ– التحسر والتوجع: كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾[4].

و– الزّجر والملامة: ومثله قول الشّاعر:

يا قلب ويحك ما سمعت لناصح لما ارعويت ولا اتّقيت ملاما .

– أسلوب التّمني:

وهو «طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع، والأصل فيه يكون بلفظ "ليت" وقد يأتي بـ: لو، هل لعلّ، هلّا، لولا، لوما»[5].

[1] عبد العزيز عتيق: علم المعاني، مرجع سابق، ص114، 115.
[2] السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص128- 131.
[3] سورة يس، الآية 30 .
[4] سورة النّبأ، الآية 40.
[5] عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مرجع سابق، ص17.

قد يتمّ خروج التّمني عن دلالته الأصليّة إلى دلالات أخرى نوجزها فيما يلي:[1]

أ- التّحضيض: الأصل في التّمني أن يكون المتمنّى غير متوقع كأن يكون مستحيلا أو ممكنا بعيدا، فإذا كان متوقّعا نحو: ليتك تفعل كذا لقريب منتظر تحوّل الأسلوب للدّلالة على التّحضيض.

ب- النّدم أو التحسّر أو التلهّف: إنّ التّمني متعلّق بالمستقبل، فإذا تخلّف هذا العنصر تحوّل المعنى إلى دلالة النّدم، إذا كان الفعل متّصلا بالمتكلم، والتنديم إذا كان متّصلا بالمخاطب، ومن المواضع الّتي جاء فيها التّمنّي بمعنى النّدم قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾ [2].

[1] كادة ليلى: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، مرجع سابق، ص295.

[2] سورة الفرقان، الآية 27.

المبحث الخامس: متضمّنات القول Les implicites

تعدّ متضمّنات القول بفرعيها (الافتراض المسبق والأقوال المضمرة) من المفاهيم الأساسيّة الّتي يقوم عليها الدّرس التّداولي، فهي تشغل حيّزا مهما فيه، وتهتمّ بالجوانب الخفيّة والضّمنيّة في الخطاب، ذلك أنّ المتلفّظ بالخطاب يلجأ إلى عدم التّصريح بكلامه نتيجة ظروف معيّنة أي أنّه يقصد أكثر ممّا يقول، فكلامه يحمل معان خفيّة أكثر ممّا تكون صريحة يتفرع عن هذا المفهوم التّداولي نمطين هما: الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة.

المطلب الأول: الافتراض المسبق Présupposition

يعتبر الافتراض المسبق أحد المباحث الأساسية للتّداولية وهو «شيء يفترضه المتكلّم يسبق التّفوّه بالكلام أي أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلّمين وليس في الجمل»[1]، فالمتكلّم أو مستعمل اللّغة يملك معلومات سابقة مخزنة في ذهنه وليس في الجمل الّتي يتلفظ بها.

توضّحه الباحثة الفرنسيّة " أوريكيوني""Orcchioni" بقولها «نصنّف في خانة الافتراضات كل المعلومات الّتي وإن لم تكن مقرّرة جهرا (أي تلك الّتي لا تشكّل مبدئيا موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي الواجب نقله)، إلاّ أنّها تنتج تلقائيا من صياغة القول الّذي تكون مدوّنة فيه بشكل جوهري بغض النّظر عن خصوصيّة النّطاق التعبيري الأدائي»[2].

وهناك من الباحثين المعاصرين (ومنهم طه عد الرحمن) من يطلق على "الافتراضات المسبقة" مصطلح "الإضمارات التّداولية" حيث يكون الأصل فيها مقامات الكلام وسياقاته، وقد وضع جملة من الشروط يجب توفرها في الكلام المضمر بين المتخاطبين:

- أنّ المتكلّم يخاطب المستمع في حضوره.

[1] جورج يول: التّداولية، ترجمة :قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص51 .
[2] كاترين كيربرات أوريكيوني: المضمر، تر: ريثا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص48.

- أنّ هناك علاقة تعارف تجمع بينهما.
- أنّ هناك طرقا في التّعامل بينهما.[1]

فالمخاطب يقوم بتوجيه خطاب إلى المخاطب على أساس أنّ هذا الأخير يكون على دراية بجوانب هذا الخطاب، إذ أنّ «في كلّ تواصل لساني ينطلق الشّركاء من معطيات وافتراضات معترف ومتّـفق عليها بينهم»[2].

ولتوضيح هذا المفهوم نقدّم المثال الآتي:

- دار حوار بين شخصين (أ – ب)

أ- هل نجحت في امتحان شهادة البكالوريا؟

فالافتراض المسبق هنا هو أنّ الشخص (ب) يدرس السّنة الثّالثة من التعليم الثانوي والشخص (أ) يعرف الشّخص (ب) وعلى دراية بأنّه مقبل على امتحانات نهاية السنة، وبهذا يجيب الشّخص (ب).

ب- نعم لقد نجحت، شكرا على سؤالك.

لكن لنفترض أنّ الشخصين (أ – ب) لا يعرفان بعضهما، وأن الشخص (ب) لم يجتز الامتحان وأنّه لم يكمل دراسته وتوقف في المتوسط، فإنّ إجابته ستكون إحدى العبارات التالية:

- من أخبرك أنّي اجتزت الامتحان؟

- أنا لم أتابع دراستي ولم أصل إلى ذلك المستوى حتّى، والأهم أنا لا أعرف من تكون؟

مثال آخر:[3]

[1] ينظر طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص113.
[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص30.
[3] المرجع نفسه، ص31.

- أغلق النافذة.

- لا تغلق النافذة.

في الملفوظين كلاهما خلفية افتراض مسبق أنّ "النافذة مفتوحة"

فالافتراض المسبق له أهمية في كلّ تواصل لساني لاعتماده على افتراضات ومعطيات مشتركة بين الطّرفين فهو «الخلفية التّواصلية الضّرورية لتحقيق النّجاح في عملية التّواصل، وهي محتواة ضمن السّياقات، والبنى التّركيبية العامة»[1].

هناك من الباحثين من قام بالتّمييز بين نوعين من الافتراض المسبق:

- الدّلالي والتّداولي: «فالأول مشروط بالصّدق بين قضيتين، فإذا كانت (أ) صادقة كان اللازم أن تكون (ب) صادقة مثلا إذا قلنا: إنّ المرأة الّتي تزّوجها زيد كانت أرملة، وكان هذا القول صادقا أي مطابقا للواقع لزم أن يكون القول: زيد تزوج أرملة صادق أيضا، وأمّا الافتراض التّداولي فلا دَخْلَ له بالصّدق أو الكذب، فمثلا إذا قلت: سيّارتي جديدة ثمّ قلت: سيّارتي ليست جديدة، فعلى الرغم من التناقض في القولين فإنّ الافتراض السابق وهو أنّ السيّارة موجودة».[2]

وقد تمّ الاعتراف منذ زمن طويل على أنّه «لا يمكن تعليم الطّفل معلومة جديدة إلاّ بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه»[3]، فلإعطاء التّلميذ معلومة جديدة يجب توفر مرجعيات سابقة وذلك لنجاح عملية التّواصل والتّبليغ، لذا فالافتراضات المسبقة ضرورية في ميدان التّعليم.

[1] زينب عادل محمود الشّمريّ: قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للقراء (ت207هـ) (دراسة تداولية)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 32، نيسان 2017، ص431.

[2] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص28-29.

[3] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص32.

المطلب الثاني: الأقوال المضمرة les sous-entendus

الأقوال المضمرة عبارة عن معاني خفية في الكلام تُفسّر عن طريق السّياق «فهي ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الّذي يحدّد على أساس معطيات لغوية، فالقول المضمر هو كتلة المعلومات الّتي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث».[1]

وهناك أهداف لاستعمال هذه الصّيغ المضمرة يقول" كانتيليان""Quintilien": «إنّنا نستعملها لهدف ثلاثي: أوّلا، حين تساورنا الشكوك حول وجوب التعبير بصراحة أم لا، ثمّ ثانيا، حين تحول أصول اللّياقة دون الكلام المباشر، وأخيرا بقصد بلوغ هدف الأناقة فحسب، ولأنّ للحداثة والتّنوّع سحراً يفوق سحر علاقة الوقائع المباشرة»[2] وللتّوضيح أكثر نقدّم المثال التّالي:

«إنّ السّماء ممطرة، فالسّامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أنّ القائل أراد أن يدعوه إلى:

- المكوث في بيته.

- أو الإسراع إلى عمله حتّى لا يفوته الموعد.

- أو الانتظار والتّريّث حتّى يتوقّف المطر.

- أو عدم نسيان مظّلته عند الخروج.

وقائمة التّأويلات مفتوحة مع تعدّد السّياقات والطبقات المقاميّة الّتي يُنجز ضمنها الخطاب، والفرق بينه وبين الافتراض المسبق أنّ الأوّل وليد السّياق الكلامي، والثّاني وليد ملابسات الخطاب».[3]

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص32.
[2] كاثرين كيربرت، أوريكيوني: المضمر، مرجع سابق، ص 497.
[3] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص32.

فالقول المضمر هو عبارة عن استنتاج يصل إليه المخاطَب عن طريق وضع جملة من التأويلات لفهم ذلك الخطاب، و«يتميز القول المضمر بميزتين: الأولى أنّه غير مستقّر أي يصعب تحديده، والثّانية قدرة المتكلّم على التخفّي وراء المعنى الحقيقي الّذي يريده؟ هُروباً من ردّة فعل المتلقّي، إذا كان قد انزعج إلى معنى آخر»[1]، وذلك من خلال التّأويلات المفتوحة أمام المتكلّم والمتلقّي أيضا.

[1] منى فهمي محمد غيطاس: الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي، مجلة الدراية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، القاهرة، العدد 15، 2015، ص165.

الفصل الثالث: الأبعاد التداولية في سورة مريم

- المبحث الأول: وصف المدونة
  - ✓ المطلب الأول: التعريف بالسورة.
  - ✓ المطلب الثاني: خصائص سورة مريم.
  - ✓ المطلب الثالث: القصص الواردة في السورةّ.
- المبحث الثاني: الإشاريات في سورة مريم
  - ✓ المطلب الأول: الإشاريات الشخصية.
  - ✓ المطلب الثاني: الإشاريات الزمانية.
  - ✓ المطلب الثالث: الإشاريات المكانية.
  - ✓ المطلب الرابع: الإشاريات الخطابية.
  - ✓ المطلب الخامس: الإشاريات الاجتماعية.
- المبحث الثالث: الأفعال الكلامية في سورة مريم حسب تصنيف " سورل"
  - ✓ المطلب الأول: الأفعال التوجهية "الأمرية".
  - ✓ المطلب الثاني: الأفعال الإلتزامية "الوعدية".
  - ✓ المطلب الثالث: الأفعال الإخبارية "التقريرية".
  - ✓ المطلب الرابع: الأفعال التعبيرية "التوجيه".
  - ✓ المطلب الخامس: الأفعال الإعلانية "الإيقاعية".
- المبحث الرابع: الحجاج اللغوي في سورة مريم
  - ✓ المطلب الأول: الروابط الحجاجية.
  - ✓ المطلب الثاني: العوامل الحجاجية.
- المبحث الخامس: الاستلزام الحواري في سورة مريم
  - ✓ المطلب الأول: المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبرية.
  - ✓ المطلب الثاني: المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائية الطلبية.

المبحث الأول: وصف المدونة

المطلب الأول: في رحاب السّورة

سورة مريم هي سورة مكيّة، ماعدا الآيتين 58 و71 فمدنيتان، عدد آياتها ثمان وتسعون، وهي السورة التّاسعة عشر في ترتيب المصحف الشّريف، وقد «نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه، وهي السّورة الثالثّة والأربعون في ترتيب النّزول، وموضعها في ترتيب القرآن بعد سورة الكهف وقبل سورة طه»[1].

وهي تعنى «بالمقاصد الأساسية للعقيدة الإسلامية: الوحدانية والنّبوّة والبعث والجزاء، ويدور محورها العام حول التّوحيد، والإيمان بوجود الله ووحدانيته، وبيان منهج المؤمنين الصّالحين، والنّعيم الّذي يحظون به، والكشف عن منهج الطّالحين، والشّقاء المقيم الّذي ينزل بهم. وصوّرت السورة أيضا بعض مظاهر يوم القيامة، أمّا محورها الخاص، فيدور حول بيان مظاهر رحمة الله تعالى بأوليائه: كهبة الولد الصّالح، وتنزيهه عزّ وجلّ عمّا لا يليق به ردا على المفترين»[2].

وقد سمّيت بهذا الاسم تخليدا لتلك المرأة الّتي اصطفاها الله وطهّرها على نساء العالمين، وهي السّورة الوحيدة الّتي سمّيت باسم أنثى تكريما وتشريفا لها، ورفعا من منزلتها، وتعظيما لقدرها في الإسلام.

تبدأ السّورة بحروف مقطّعة: كهيعص، وتوجد بها سجدة في الآية 58 في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[3]، وقد اشتملت على أعاجيب القصص

[1] أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة، قراءة تدبرية في سورة مريم، شركة ألفا للنّشر والإنتاج الفني، الهرم، ط 1، 2008، ص13.

[2] عبد الرّحيم حمدان حمدان: تجليات أسلوب النّداء في سورة مريم عليها السّلام، مجلّة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية، العدد 45، 2018 ص 135.

[3] سورة مريم، الآية 58.

كقصّة ولادة يحي، وقصّة ولادة عيسى[1]، وهي «السّورة الوحيدة الّتي بدأت بالحديث عن القصّة القرآنيّة مباشرة دون مقدّمات»[2].

وقد كان القصص هو مادة السّورة الأساسيّة، إذ تنتمي إلى مجموعة من السّور المكيّة الّتي يهيمن على بنائها الفنّي الطّابع القصصي.

المطلب الثّاني: خلاصة لمّا تضمّنته السّورة الكريمة من الأغراض والمقاصد

احتوت سورة مريم على العديد من المقاصد والأغراض يمكن إجمالها فيما يلي:[3]

- دعاء زكريّا ربّه بأن يهب له ولدا سريّا، مع ذكر الأسباب الّتي دعته إلى ذلك.

- استجابة الله تعالى لدعائه، وتبشيره بيحيى الّذي لم يسمّ أحد من قبله بمثل اسمه.

- تعجّب زكريّا من خلق ذلك الولد (أب شيخ هرم وأم عاقر).

- طلب زكريّا العلامة على أنّ امرأته حامل.

- إيتاء زكريّا النبوّة والحكم صبيّا.

- ما حدث لمريم من اعتزالها لأهلها، وتمثّل جبريل لها بشرا، ولجوئها إلى اللّه أن يدفع عنها شرّ هذا الرّجل وإخباره لها أنّه ملك لا بشر .

- حمل مريم بعيسى عليه السّلام، وانتبادها مكانا قصيّا حتّى لا يراها النّاس وهي على تلك الحال.

- نداء عيسى عليه السّلام لها حين الولادة، وأمرها بهزّ النّخلة حتّى تساقط عليها رطبا جنيّا.

[1] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج16، ط 1، 1946، ص32.
[2] عقيل عكموش عبد: الدّلالة النفسيّة في سورة مريم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التّربوية، العددان(3-4)، المجلد6، 2007، ص76.
[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 91 –93 .

– مجيئها بعيسى ومقابلتها لقومها، وقد انهال عليها اللّوم والتّعنيف، وأنّها فعلت ما لم يفعله أحد من تلك الأسرة الشّريفة المعروفة بالصّلاح والتّقوى.

–كلام عيسى وهو في المهد، تبرئة لأمّه، ووصف نفسه بصفات الكمال من النبوّة والبركة والبرّ بوالدته، وأنّه لم يكن جبّارا متكبّرا على خالقه.

– اختلاف النّصارى في شأن عيسى عليه السلام.

– قصّة إبراهيم عليه السّلام مع أبيه آزر ووصفه له بالجهل وعدم التّأمل، ثم تحذيره، وردّ أبيه عليه مهدّدا متوعّدا.

– هبة الله له إسحاق ويعقوب، وإيتاؤهما الحكم والنبوّة.

– قصّة موسى، ومناجاته ربّه في الطّور، والامتنان عليه بجعل أخيه هارون وزيرا ونبيّا.

– قصّة إسماعيل ووصف الله له بصدق الوعد وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة.

– قصّة إدريس عليه السّلام ووصفه بأنّه صدّيق رفيع القدر عظيم المنزلة عند ربّه.

– مجيء خلف من بعد هؤلاء الأنبياء أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشّهوات.

– وعد الله من تاب وآمن وعمل صالحا بجنّات لا لغو فيها ولا تأثيم.

– إنّ جبريل لا ينزل إلى الأنبياء إلاّ بإذن ربّه.

– إنكار المشركين للبعث استبعادا له، وردّ الله عليهم بأنّه خلقهم من قبل ولم يكونوا شيئا.

– الإخبار بأنّ الله يحشر الكافرين يوم القيامة مع قرنائهم من الشّياطين، ثمّ يحضرهم حول جهنّم، ثمّ بدئه بمن هم أشدّ جرما.

– الإخبار بأنّ جميع الخلق ترد على النّار، ثمّ ينجّي الله الّذين اتّقوا ويذر الظّالمين.

- بيان أنّ المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن، فخروا على المؤمنين بأنّهم أحسن منهم.

- تهديد المشركين بأنّ الله أهلك كثيرا ممن كانوا مثلهم من الأمم السّابقة.

بيان أنّ الله يمهل الظّالم، ليجترح من السّيّئات، ثمّ يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

- النّعي على المشركين باتخاذ الشّركاء، وأنّهم يوم القيامة سيكونون لهم أعداء.

- نهي النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن تعجيل طلب هلاك المشركين.

- التّفرقة بين حشر المتّقين إلى دار الكرامة، وسوق المجرمين إلى دار الخزي والهوان.

- النّعي الشّديد على من ادّعى أنّ لله ولدا.

- بيان أنّ الله قد أنزل كتابه بلسان عربيّ مبين ليبشّر به المؤمنين وينذر به الكافرين.

المطلب الثّالث: القصص الواردة في السّورة

ذُكِرت قصص عدّة في هذه السّورة الكريمة وهي: قصّة زكريا ويحي (من الآية 02 إلى الآية 15)، قصّة مريم وعيسى (من الآية 16 إلى الآية 34)، قصّة إبراهيم وآزر (من الآية 41 إلى الآية 48).

بالإضافة إلى ذلك «ذكر فيها ثلاثة عشر نبيّا هم: زكريّا، ويحيى، وعيسى، وإبراهيم، وإسحاق، وإسرائيل (يعقوب)، وموسى، وهارون، وإسماعيل، وإدريس، وآدم، ونوح عليهم جميعا السّلام، وهي بكاملها خطاب لخاتم الأنبياء محمّد صلّى الله عليه وسلّم»[1]، حيث تبرز السّورة صلتهم الوثيقة بالله تعالى من طاعة وحب، وامتثال وولاء.

[1] أكرم رضا: بالقرآن نجدّد الحياة، مرجع سابق، ص23.

المبحث الثاني: الإشاريات في سورة مريم

تندرج الإشاريات ضمن الحقل التّداولي وهي «عبارة عن روابط إحاليّة لا تتحدّد مراجعها إلّا بوجود طرفي الخطاب (مرسل، مستقبل) ضمن سياق كلامي معين، فالسّياق له دور بارز في فهم هذه العناصر الإشارية وتأويلها تأويلًا مناسبًا للتعرف على مقاصد المتكلّم»[1].

وسنحاول في هذه الصفحات تحديد أهمّ الإشاريات الّتي اشتملت عليها سورة مريم.

المطلب الأول: الإشاريات الشّخصية

وهي «مؤشرات لسانيّة تبرز على مستوى البنية السّطحية أو العميقة للخطاب، وتشمل جميع أنواع الضّمائر المتّصلة والمنفصلة والمستترة وجوبا أو جوازا»[2].

وإذا تفحّصنا المدونة وجدنا أنّها تشتمل على العديد من الإشاريات الشّخصية والّتي سنوردها فيما يلي:

1- الضّمائر المنفصلة:

1-1- ضمائر المتكلّم: وردت ضمائر المتكلّم مرّتين في المدوّنة المرة الأولى في الآية (19) في قوله تعالى: قَالَ ﴿إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾[3]، وهنا العنصر الإشاري المتمثّل في ضمير المتكلّم "أنا" يحيل إلى الملَك جبريل عليه السّلام الّذي يردّ على مريم ويزيل ما حصل عندها من خوف، بأنّه رسول من الله بعثه ليهب لها غلاما زكيّا.

[1] ليندة قياس: تداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي، مجلة أبوليوس، العدد9، جوان 2018، ص47.
[2] المرجع نفسه، ص48.
[3] سورة مريم، الآية19.

أمّا العنصر الإشاري الثاني والمتمثّل في ضمير المتكلّم "نحن" فقد ورد في الآية (40) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾[1]، وفي هذه الآية يحيل العنصر الإشاري "نحن" على الله سبحانه وتعالى، حيث يسلّي الرسول صلّى الله عليه وسلّم ويتوعّد المشركين، أي لا يحزنك تكذيب المشركين نحن نرث الأرض ومن عليها من النّاس بعد فنائهم[2]، كما ورد الضّمير"نحن" أيضا في الآية(70) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾[3] والّذي يحيل أيضا على الله سبحانه وتعالى، بأنّه أعلم بمن هم أولى دخولا واحتراقا في جهنم[4].

1-2- ضمائر المخاطب: ورد ضمير واحد في الآية (46) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[5]، ويحيل العنصر الإشاري "أنت" في هذه الآية إلى إبراهيم (عليه السّلام)، الّذي دعا أباه إلى التّوحيد وذكر له الدّلائل على فساد عبادة الأوثان، واعظا أباه بلطف ليقابله الأب بالعنف والتّهديد بالضّرب بالحجارة[6].

1-3- ضمائر الغائب: وردت ضمائر الغائب سبع مرّات في المدوّنة ممثّلة بالضّمير "هو" "هم".

[1] سورة مريم، الآية40.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ، 1946م، ص55.
[3] سورة مريم، الآية 70.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 75
[5] سورة مريم، الآية46.
[6] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص57.

فقد ورد الضّمير "هو" في الآية (9) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾[1]، والّذي يحيل على "خلق الولد" من زكريا رغم كبره وزوجته رغم أنّها عاقر، إنّه أمر هَيِّنٌ على الله سبحانه وتعالى.

كما ورد الضّمير "هو" في الآيتين (21) و(75) في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾[2] وقوله: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥﴾[3].

ففي الآية (21) يحيل العنصر الإشاري إلى "إيجاد الولد" من مريم وهي دون زوج.

أمّا في الآية (75) فيحيل العنصر الإشاري "هو" على " أحد الفريقين" أو من هو شرّ من الفريقين مكانا مشيرا إلى المشركين بأنّهم شرّ مكانا وأضعف جندا وأقلّ ناصرا عكس ما كانوا يقدّرون[4].

أمّا الضّمير "هم" فقد ورد في الآية (39) مرتين والآية (70) والآية(74).

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾[5]، وقال أيضا: ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠﴾[6].

[1] سورة مريم، الآية9.
[2] سورة مريم، الآية 21.
[3] سورة مريم، الآية 75.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 78.
[5] سورة مريم، الآية 39.
[6] سورة مريم، الآية 70.

كما قال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾[1] .

حيث يحيل العنصر الإشاري في الآية (39) إلى المكذّبين من الأمم السّـابقة الّذين أهلكهم الله لكفرهم، بالرّغم من أنّهم كانوا أحسن أموالا وأثاثا فالنّعمة في الدّنيا لا تدلّ على الكرامة عند الله.

أمّا في الآية (70) فيحيل الضّمير "هم" على الكفار الظّالمين، الغافلين عن يوم القيامة وحسراته وأهواله والّذين لا يصدّقون بالقيامة والبعث ومجازاة الله لهم على السّيئ من أعمالهم[2].

وأمّا في الآية (74) فيحيل العنصر الإشاري (هم) على أشدّ الكفّار كفرا وتمرّدا، فهم جميعا يستحقّون العذاب ولكن هناك منهم من هو أولى بجهنّم دخولا واحتراقا[3].

والجدول الآتي يوضح الضّمائر المنفصلة والآيات الّتي وردت فيها:

الضمير	الآيات الّتي ورد فيها	المراجع الّتي تحيل إليها
• ضمير المتكلم"أنا"	• الآية (19)	• الملك جبريل عليه السلام
• ضمير المتكلّم "نحن"	• الآية (40)-(70)	• الله سبحانه وتعالى
• ضمير المخاطب "أنت"	• الآية (9)	• إبراهيم عليه السلام
• ضمير الغائب "هو"	• الآية (9)	• خلق الولد من زكريا
	• الآية (21)	• ايجاد الولد من مريم
	• الآية (75)	• شرّ الفريقين
• ضمير الغائب "هم"	• الآية(39)	• الكفار الظالمين

[1] سورة مريم، الآية 74.

[2] ينظر:أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 53.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 75.

	• الآية(70) • الآية(74)	• أشدّ الكفار كفرا • المكذّبين من الأمم السابقة

2- الضّمائر المتّصلة والضّمائر المستترة:

2-1- الضّمائر المتّصلة:

هناك حضور قويّ للضمائر المتّصلة على اختلافها (النّون، الكاف، الواو، الهاء، الياء)، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾[1] فالعنصر الإشاري في هذه الآية يتمثّل في الضّمير المتّصل "الهاء" في "ربّه" ويحيل على زكريا عليه السّلام.

كما نجد "الكاف" (ربّك) و(لك) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩﴾[2]، ويحيل إلى (مريم) الّتي تملّكها الخوف عندما رأت جبريل وقد تمثّل لها على هيئة بشر فقال لها جبريل مجيبا ومزيلا ما حصل عندها من خوف بأنّه ليس ممّن تظن، ولا يقع منه ما تتوهّم لأنّه رسول من ربّ العالمين بعثه إليها ليهب لها غلاما طاهرا[3].

نجد أيضا الضّمير "نا " في (جعلنا) (وهبنا) (رحمتنا) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾[4].

[1] سورة مريم، الآية3.
[2] سورة مريم، الآية 19.
[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 42.
[4] سورة مريم، الآيتين 49 – 50.

فالعنصر الإشاري المتمثّل في الضّمير المتّصل "نا" يشير إلى الله سبحانه وتعالى، الّذي أبدل إبراهيم بعد أن اعتزل أباه وقومه بنين وحفدة هم آبـــاء الأنبياء من بني إسرائيل ولهم الشّأن العظيم، والنّسل الطّــاهر، واللّطف في القضاء والبركة في المال والأولاد[1].

أمّا في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾[2] فالواو في الفعل "اتّخذوا" تعود على المشركين، عبدة الأصنام الّذين اتّخذوا أصنامهم آلهة ليعتزّوا بهم يوم القيامة عند ربّهم، أمّا "الواو" في الفعل "يكونوا" فتحيل على الأصنام.

2-2- الضّمائر المستترة:

كانت حاضرة بقوّة أيضا في المدوّنة ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[3]، فالعنصر الإشاري في هذه الآية هو الضّمير المستتر المقدّر بـ "أنت" والّذي يحيل إلى الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

كما نجد الضّمير المستتر في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾[4]، والّذي يحيل إلى إبراهيم عليه السّلام، الّذي قابل عنف أبيه وتهديده وقسوته قائلا: "سلاما عليك" «وفيه توديع ومتاركة ومقابلة للسّيئة بالحسنة»[5].

[1] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 59.
[2] سورة مريم، الآية 81.
[3] سورة مريم، الآية 54.
[4] سورة مريم، الآية 47.
[5] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 57.

المطلب الثاني: الإشاريات الزمانية

الإشاريات الزّمانية هي«كلمّات تدلّ على زمان يحدّده السّياق بالقياس إلى زمان التّكلّم فزمان التّكلّم هو مركز الإشارة الزّمانية في الكلام»[1].

وردت الإشاريات الزّمانية بشكل متفاوت في خطاب السّورة وسنورد بعضها في الجدول الآتي:

الرقم	العنصر الإشاري	الآيات الّتي ورد فيها
1	إذ	الآيات(3) (16) (39) (42)
2	قبل	الآيات (7) (9) (23) (67) (74) (98)
3	ثلاث ليال	الآية (10)
4	بكرة	الآية (11)
5	عشيًّا	الآية (11)
6	اليوم	الآيات (15) (26) (33) (38)
7	يوم عظيم	الآية (37)
8	يوم الحسرة	الآية(39)
9	إذا	الآيات (35) (58) (66) (73) (75)

نجد العنصر الإشاري المتمثّل في الظّرف "إذ" في قوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾[2] أي حين دعا ربّه دعاءً خفيا مستورا عن أعين النّاس، كما نجد العنصر الإشاري المتمثّل في الظّرف "قبل" الّذي ورد في

[1] محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق ص 19.

[2] سورة مريم، الآية 3.

عدّة آيات منها الآية (67) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[1]

أي أنّ الإنسان لا يتفكّر أنّ الله خلقه قبل مماته فأنشأه من غير شيء وهنا مركز الإشارة الزّمانية هو "لحظة الممات".

نجد أيضا العنصر الإشاري المتمثّل في الظّرف "يوم" ورد في عدّة آيات و الّتي نذكر منهـا ما جـاء في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[2]، فقد تكرّر العنصر الإشاري في هذه الآية ثلاث مرّات ليحيل إلى اليوم الّذي رأى فيه عيسى عليه السّلام الدّنيا واليوم الّذي يرى فيه أمر الآخرة، وأول يوم يرى فيه الجنّة[3] والنّار.

ونجد أيضا في الآية (38) في قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾[4]، وحيث يحيل العنصر الإشاري "يوم" الّذي ورد مرّتين في هذه الآية الى يوم القيامة، وهو اليوم الّذي يودّ فيه الكفّار لو يعودوا إلى الدّنيا ليتداركوا ما فاتهم من صالح الأعمال، ويومئذ يكون الأوان قد فات.

كما نجد أيضا في الآيات (35) (58) (66) (73) (75) عنصر إشاري زماني آخر يتمثّل في الظّرف "إذا" ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن

[1] سورة مريم، الآية 67.
[2] سورة مريم، الآية 15.
[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 40.
[4] سورة مريم، الآية 38.

فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾[1]، والّذي يشير إلى الله سبحانه وتعالى وأنّه إذا أراد شيئًا فإنّما يأمر به فيصير كما يشاء، ومن كان هذا شأنه فكيف يتّخذ ولدًا له لأنّ ذلك من أمارات النّقص والاحتياج[2].

المطلب الثالث: الإشاريات المكانية

وهي «عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلّم وقت التّكلّم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السّامع، ويكون لتحديد مكـان أثره في اختيار العناصر الّتي تشير إليه قربًا أو بعدًا أو وجهة»[3].

وقد كان أيضا لهذا النّوع من العناصر الإشارية حضور متفاوت في سورة مريم والّذي سنوضّحه من خلال الجدول الآتي:

الرقم	العنصر الإشاري	الآيات الّتي ورد فيها
1	- "كذلك " اسم إشارة	- (9) (21)
2	- "ذلك " اسم إشارة	- (34) (64)
3	- "هذا " اسم إشارة	- (23) (36)
4	- "أولئك " اسم إشارة	- (58)
5	- "تلك " اسم إشارة	- (63)
6	- "ورائي" ظرف مكان	- (3)
7	- "تحت" ظرف مكان	- (24) (2)

[1] سورة مريم، الآية 35.

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 51.

[3]- محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص21.

8	- "بين" ظرف مكان	- (64) (65)
9	- "خلفنا" ظرف مكان	- (64)
10	- "جانب" ظرف مكان	- (52)
11	- "مكانا شرقيا"اسم مكان	- (16)
12	- "مكانا قصيا" اسم مكان	- (22)
13	- "جذع النخلة" اسم مكان	- (23) (25)
14	- "مكانا عليا" اسم مكان	- (57)
15	- "المحراب" اسم مكان	- (11)
16	- "المهد" اسم مكان	- (29)
17	- "الأرض" اسم مكان	- (40) (65) (90) (93)
18	- "الجنة "اسم مكان	- (60) (61) (63)
19	- "السّموات" اسم مكان	- (65) (90) (93)
20	- "جهنم" اسم مكان	- (68) (86)
21	- "مقامًا" اسم مكان	- (73)
22	- "مكانا" اسم مكان	- (79)
23	-"الجبال" اسم مكان	- (90)

تعتبر أسماء الإشارة من العناصر الإشارية الدّالة على المكان وقد وردت في عدّة مواضع من سورة مريم.قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[1].

[1] سورة مريم، الآية 64.

فاسم الإشارة في هذه الآية "ذلك" لا يمكن معرفة المرجع الّذي يحيل إليه إلاّ من خلال السّياق الّذي ورد فيه.

كما نجد العنصر الإشاري "هذا" في الآية (36) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[1]، ففي هذه الآية يحيل العنصر الإشاري "هذا" والّذي يحيل إلى الصّراط المستقيم الّذي أوصانا الله به وأنّه من سلكه نجى ومن اتّبعه اهتدى.

كما نجد في الآية (63)عنصر اشاري آخر يتمثل في اسم الإشارة "تلك" والّذي يحيل إلى الجنّة، الّتي يورثها الله عباده المتقين الّذين يطيعونه في السّر والعلن[2].

وبالإضافة إلى أسماء الإشارة وردت أيضا الظّروف الدّالة على المكان، والّتي نخصّ منها ما جاء في الآية (24) في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾[3]، فقد تكرّر ظرف المكان "تحت" مرّتين وهو من العناصر الإشارية الدّالة على المكان، حيث نادى عيسى عليه السّلام أمّه وقد أنطقه الله حين وضعته تطييبا لقلبها بألّا تحزن لأنّ الله المحسن جعل "تحتك" إشارة إلى المكان غلاما رفيع الشّأن[4].

نجد أيضا عنصر إشاري آخر في الآية (52) والّذي يتمثّل في ظرف المكان "جانب" في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾[5]، وهذا إشارة إلى المكان الّذي كلّم الله فيه موسى حين أقبل من مدين متوجّها إلى مصر.

---

[1] سورة مريم، الآية 36.

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 69.

[3] سورة مريم، الآية 24.

[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 45.

[5] سورة مريم، الآية 52.

وردت أيضا في المدونة العديد من أسماء الأماكن والّتي تعتبر من الإشاريات المكانية الّتي يعتمد استعمالها وتفسيرها على السّياق الّذي وردت فيه ومن بينها ما جاء في الآية (16) في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾[1] وقوله أيضا في الآية (22): ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢﴾[2]، وهذا إشارة إلى المكان الّذي لجأت إليه مريم، واعتّزلت أهلها وانفردت عنهم لتتفرّغ للعبادة، وهو مكان شرق بيت المقدس، كما أنّه بعيد ومنعزل عن أعين النّاس.

كما نجد أيضا في الآيتين (23) و(25) في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾[3] وقوله أيضا: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾[4]، عنصر إشاري آخر هو اسم المكان "جذع النّخلة"، ويشير إلى المكان الّذي جاء فيه وجع الولادة وألم الطّلق لمريم، وأتى فيه عيسى عليه السّلام إلى الدّنيا وكلّم أمّه تطيّبا لخاطرها[5].

المطلب الرابع: الإشاريات الخطابية

تشير إشاريات الخطاب إلى العبارات الّتي تذكر في النّص مشيرة إلى موقف المتكلّم وقد تلتبس الإحالة إلى سابق أو لاحق ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات[6].

[1] سورة مريم، الآية 16.
[2] سورة مريم، الآية 22.
[3] سورة مريم، الآية 23
[4] سورة مريم، الآية 25.
[5] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 45.
[6] محمود أحمد نحلة : آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 24.

وقد كانت قليلة الورود في المدوّنة ونذكر منها ما جاء في الآية (38) في قوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾[1].

ففي هذه الآية نجد حذف الاستدراك "لكن" والّذي يعتبر من العناصر الإشارية الخطابية حيث يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه يوم القيامة يكون الأوان قد فات على الكفار الّذين يودّون الرّجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من صالح العمل، بعدما جعلوا لله أندادا وزعموا أنّ له ولدا، وعموا في الدّنيا عن إبصار الحقّ والنّظر إلى حجج الله الّتي أودعها في الكون دلالة على وحدانية وعظم قدرته وبديع خلقه[2].

المطلب الخامس: الإشاريات الاجتماعية

وهي « ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلّمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسميّة أو علاقة ألفة ومودّة»[3].

وإذا ما تفحّصنا سورة مريم نجدها تشمل على عدد من الإشاريات الاجتماعية والّتي يوضّحها الجدول الآتي:

الرقم	العنصر الإشاري	الآيات الّتي ورد فيها
1	- امـرأتي	- (5) (6)
2	- وليّـا	- (5)
3	- قومـه	- (11)
4	- والـديه	- (14)
5	- أهلـها	- (16) (55)
6	- أخـت	- (28)

[1] سورة مريم، الآية 38.

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق ، ص52.

[3] محمود أحمد نحلة: آفاق البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 25.

7	- أبـوك	- (28)
8	- والــدتي	- (32)
9	- أبــتِ	- (42) (43) (44) (45)

تتوفّر المدوّنة على عناصر إشارية مختلفة تحيل إلى طبيعة العلاقة بين المتكلّمين والمخاطبين ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾[2]

والعنصر الإشاري في هــاتين الآيتين هو كلمة "امرأتي" والّذي يحيل إلى زوجة زكريّا عليه السّلام، وهي تشير إلى نوع من العلاقات الاجتماعية الّتي ترتبط بالمتكلّم.

نجد أيضا عنصرا إشاريا آخر من الإشاريات الاجتماعية والمتمثل في كلمة " أبتِ" في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ۝٤٥﴾[3]، ففي هذه الآيات دعوة من إبراهيم لأبيه إلى التّوحيد محبّةً له، وخوفًا عليه من عذاب الرّحمن على شركه وعصيانه، وقد كانت هذه الدّعوة بلطف ورفق من ابن إلى أبيه، مستعملا كلمة "أبت" الّتي تدلّ على حبّ إبراهيم لأبيه، وخوفه عليه، ليقابل الأب رفق ابنه بالعنف، فلم يقل يا بني كما قال إبراهيم "يا أبت" وقابل وعظه بالشّتم والتّهديد والضّرب بالحجارة "الرجم"[4].

[1] سورة مريم، الآية 5.
[2] سورة مريم، الآية 8.
[3] سورة مريم، الآيات 43-45.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص57.

نخلص في نهاية هذا الجزء إلى الكشف عن تضافر الإشاريات بشتّى أنواعها (شخصية، مكانية، زمانية خطابية، اجتماعية) في إضاءة جوانب نحويّة ودلالية وتداولية كثيرة في خطاب السّورة.

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية في سورة مريم حسب تصنيف "سورل"

المطلب الأوّل: الأفعال التّوجيهيّة (التّوجيهيّات أو الطّلبيّات أو الأمريّات)

هي نوع من الأفعال الكلاميّة الّتي يراد من خلالها حمل المخاطب على أداء عمل معيّن، واتّجاه المطابقة فيه يكون من العالم إلى الكلمّات، أي يطلب من العالم أن يطابق الكلمّات، والمسؤول عن إحداث هذه المطابقة هو المخاطب، وفيها يدخل الأمر والنّهي والاستفهام، والنّصح والاستعطاف وغير ذلك .

سنقوم فيما يلي بتحليل هذا الصّنف من الأفعال الكلامية الّذي ينبثق منه مجموعة من الأساليب الإنشائية (الاستفهام، الأمر، النهي، النداء.....الخ)، والّتي هيمنت على بنية خطاب السّورة، وذلك بذكر الآيات الّتي وجدت فيها واستخراجها من المدوّنة.

1- الأمر:

وهو «طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء سواء أكان عاليا في الواقع أو لا»[1]، وهو نوعان: الأمر الحقيقي وهو ما توفرت فيه صفتا الاستعلاء والالتزام، والأمر غير الحقيقي وهو ما لم تتوفر فيه صفتا الاستعلاء والالتزام.

1-1- الأمر الحقيقي:

وقد جاء في الآيات التّالية:

[1] السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 51.

قال الله تعالى ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾[1]، فقد ورد الأمر في هذه الآية من الأعلى إلى الأدنى، فالله تعالى يأمر يحي بأن «يأخذ التّوراة الّتي هي نعمة الله على بني إسرائيل بجدّ واجتهاد والحرص على العمل بها»[2]، وهو أمر صادر على وجه الإلزام.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾[3]، فالله أمر مريم بأن تهزّ بجذع النّخلة وذلك تكريما لها «ليكون إثمار الجدع اليابس رطبا ببركة تحريكها إيّاه»[4]، وهذا الأمر هو من الأعلى – الله– إلى الأدنى –مريم– على وجه التكريم .

ورد أيضا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾[5]، حيث نرى أنّ الأمر هنا تواجد في فعلي "أوصاني" و"برّا" ومنه فالله تعالى أمر عيسى – عليه السّلام– بالصّلاة والزّكاة «وهذا أمر خاص به كما أمر نبيّنا – صلّى الله عليه وسلّم– بقيام اللّيل»[6]، ومن بين ما أمر به أيضا البرّ بوالدته «لأنّ برّ الوالدين كان ضعيفا في بني إسرائيل وبخاصّة الوالدة لأنّها تستضعف»[7]، وهكذا فالأمر هنا صادر من الأعلى (الله) إلى الأدنى (عيسى).

[1] سورة مريم، الآية 12.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 39.
[3] سورة مريم، الآية 25.
[4] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 88.
[5] سورة مريم، الآية 31-32.
[6] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 99.
[7] المرجع نفسه، ص 100.

كما ورد أيضا في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾[1]، وهنا الله تعالى يأمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأن يقول لهؤلاء الكافرين «بأنّ ما هم فيه من نعمة الدّنيا إنّما هو إمهال من الله إيّاهم، لأنّ ملاذ الكافر استدراج»[2]، وهذا الأمر صادر من الأعلى (الله) إلى الأسفل (الرّسول).

جـــاء الأمر الحقيقي أيضـــا في قوله تعـالى: ﴿شَرۡقِيًّا وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ١٦﴾[3]، فالله تعالى يأمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم «أن يتلوا في كتاب الله الّذي أنزله إليه بالحق قصص مريم ابنة عمران حين اعتزلت من أهلها وانفردت عنهم إلى مكان شرقيّ بيت المقدس لتنفرد بالعبادة»[4] وهنا الأمر صادر من الأعلى (الله) إلى الأدنى (الرّسول).

نجده أيضا في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾[5]، حيث يأمر الله تعالى رسوله بأن يتلو قصص إبراهيم وأبيه لقومه الّذين يعبدون الأصنام وأنّه «كان من أهل الصّدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب»[6]، وهو طلب من الأعلى إلى الأدنى، وأمّا في الآيات التّالية:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ٥١﴾[7].

وفي قوله أيضا: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ٥٤﴾[8].

---

[1] سورة مريم، الآية 75.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 155.

[3] سورة مريم، الآية 16.

[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 41.

[5] سورة مريم، الآية 41.

[6] ينظر الطبري: تفسير الطبري (من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تح: دهام فارس الحرساني،جواد معروف، مؤسسة الرّسالة، مج 5، دط دت، ص 159.

[7] سورة مريم، الآية 51.

[8] سورة مريم ، الآية 54.

وقوله عزّ وجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾[1].

فإنّ الله تعالى يأمر نبيّه بأن يخبر قومه بما اتصّف به هؤلاء الأنبياء من مجموعة من الصّفات وهي:

- النّبي موسى: «أخلصه الله واصطفاه وأبعد منه الرّجس وطهّره من الذّنوب والآثام»[2].

- النّبي إسماعيل: «كان لا يكذب وعده ولا يخلف»[3].

- النّبي إدريس: «لا يقول الكذب»[4].

وهذا طلب من الخالق (الله) إلى المخلوق (الرّسول).

1-2- الأمر غير الحقيقي:

وقد ورد في العديد من الآيات، وتصدّر قائمة الأفعال التوجيهيه في الحضور، وخرج عن معناه الأصلي ليحقّق معان بلاغية أخرى نذكر منها:

أ- الدّعاء: لقد ورد الأمر بصيغة الدّعاء في قوله تعالى ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥﴾[5]، فالأمر هنا صادر من الأدنى إلى الأعلى، إذ أنّ زكريّا يخاطب الله تعالى أن يرزقه ولدا صالحا، فهو خائف من أن يموت دون وارث له[6]، وتابع زكريا دعاءه بقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ

[1] سورة مريم، الآية 56

[2] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 60.

[3] الطبري: تفسير الطبري، مرجع سابق، ص 163.

[4] المرجع نفسه، ص 164.

[5] سورة مريم، الآية 5.

[6] أحمد محمد الشقراوي: التفسير الموضوعي لسورة مريم، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، 2007، ص20.

يَعۡقُوبَ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾[1]، فالمراد هنا بالميراث هو ميراث العلم والنّبوة والملك، وحمل منهج الله إلى النّاس، وقوله ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ أي «مرضيّا عنه منك»[2]، فبعد استجابة الله دعاء زكريّا وتبشيره بولد ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾[3]، أي «علامة أتعرّف بها على أنّ بشارتك حدثت»[4] فجاءه الردّ من الله تعالى بقوله ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠﴾[5] أي عدم محادثة النّاس مع القدرة على التّسبيح والذّكر .

ب– الإرشاد والنّصح: وهو «الطلب طلبا غير جازم، بل للإرشاد والنّصيحة الخالصة لمصلحة دنيوية»[6]، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١﴾[7]، فسعادة زكريّا بما بُشّر به من الله عزّ وجلّ جعلته يخرج إلى قومه ويدعوهم إلى التّسبيح صباحا ومساءا وذلك «لأنّ هذه النّعمة لا تخصّه وحده بل هي عامّة لكلّ القوم»[8].

جاء أيضا في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾[9]، إذ بعد الخوف والهلع الّذي تملّك مريم من قومها أنزل الله السّكينة والطّمأنينة على قلبها، وذلك

[1] سورة مريم، الآية 6.
[2] محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، دط، دت، ص9030 – 9031.
[3] سورة مريم، الآية 10.
[4] أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة، مرجع سابق، ص 55.
[5] سورة مريم، الآية 10.
[6] أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة، مرجع سابق، ص 59.
[7] سورة مريم، الآية 11.
[8] محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 9042.
[9] سورة مريم، الآية 26.

بأن تبقى ساكتة ولا تكلّم أحدا من البشر «فلا يبرّر هذه المعجزات ولا يدافع عنها إلاّ صانعها تبارك وتعالى»[1] وأيضا «تلقّينا من الله لمريم وإرشادا لقطع المراجعة مع من يريد مجادلتها»[2].

ورد النّصح كذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾[3]، فقول عيسى لقومه ﴿فَٱعۡبُدُوه﴾ هو دعوة نصح وإرشاد إلى الطّريق الصّحيح حيث يقومون فيه بعبادة الله تعالى بأوامره ونواهيه أي «إنّي وأنتم أيّها القوم و جميعا لله عبيد، فإيّاه فاعبدوه دون غيره»[4].

جاء النّصح أيضا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾[5] فإبراهيم بقوله ﴿ٱتَّبِعۡنِي﴾ لأبيه يقصد به أن ينصحه ويرشده إلى عبادة الله عزّ وجلّ وطاعته بدل عبادة الأصنام الّتي لا تضرّ ولا تنفع بشيء.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[6]، وهنا طلب من الأعلى إلى الأدنى فالله تعالى ينصح الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – ويرشده إلى عبادته والصّبر عليها ذلك «لأنّ العبادة فيها مشقّة، فلابدّ لها من صبر، لأنّها تأمرك بأشياء يشقّ عليك أن تفعلها وتنهاك عن أشياء يشقّ عليك أن تتركها لأنّك ألفتها»[7].

---

[1] محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 9071.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 89-90.

[3] سورة مريم، الآية36.

[4] الطبري: تفسير الطبري من كتابة جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: وصام فارس الحرسكاتي، عواد معروف، مؤسسة الرسالة، مج5، ص157.

[5] سورة مريم، الآية 43.

[6] سورة مريم، الآية 65.

[7] محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 9147.

ج- الإكرام: وقد جاء الأمر في صيغة الإكرام في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾[1]، حيث يستعمل في سياق بيان الأهليّة والاستحقاق[2]، أي أنّ مريم قد أنعم الله عليها بالرّطب الجنيّ وماء الزّهر وطيبة النّفس، وهنا جاء الطّلب من الأعلى إلى الأدنى من خلال الأفعال الموكّلة إلى مريم (كلي، اشربي، قرّي) أي «كلي من الرّطب الّذي يتساقط عليك، واشربي من مـاء السّري الّذي جعله ربّك تحتك ولا تخشي جوعـا ولا عطشـا، و"قَرِّي عَيْنًا" يقول: وطيبي نفسا وافرحي بولادتك إيّاي ولا تحزني»[3].

د- التّكـوين: وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾[4]، فقوله "كُن" جاءت بصيغة التّكوين، إذ أنّ الله تعالى إذا أراد شيئا وحكم عليه وقدّره قال له كن فكان، وهو الأمر بالنّسبة لعيسى-عليه السلام- فوجوده من غير أب كان بكلمة "كن"، وجاءت هذه الآية ردا على النّصارى «إذ جعلوا تكوين إنسان من غير سبب معتاد دليلا على أنّ المكوّن ابن لله تعالى»[5]، فالله تعالى وحده لا شريك له ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾[6].

هـ- التّـهديد: نجد أيضا ورود الأمر في قوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾[7] بصيغة التّعجب، «فقوله ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ صيغتا تعجّب، وهو تعجّب على لسان

---

[1] سورة مريم، الآية 26.

[2] السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص61.

[3] الطبري: تفسير الطبري، مرجع سابق، ص 152.

[4] سورة مريم، الآية 35.

[5] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 103.

[6] سورة الإخلاص، الآية 3.

[7] سورة مريم، الآية 38.

الرّسول والمؤمنين أو هو مستعمل في التّعجيب، والمعنيان متقاربان، وهو مستعمل كناية أيضا عن تهديدهم»[1] ومنه فالفعلين "أسمع" و"أبصر" فعلا تعجب يحملان معنى التّهديد، وهو تهديد للكفّار الّذين «كانوا في الدّنيا يضعون أصابعهم في آذانهم فلا يسمعون، ويستغشون ثيابهم فلا يبصرون»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾[3]، جاء الأمر في أنذرهم بصيغة التّحذير والتّهديد أنّ الله تعالى أمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأن يحذر النّاس جميعا ويخوّفهم بما يقع يوم القيامة من الحسرة والنّدامة « على ما فرّطوا في جنب الله حين فرغ من الحساب، وذهب أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النّار إلى النّار »[4].

وأمّا في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾[5]، فقد أدّى الفعل "اهجرني" غرضا انجازيا متمثّلا في التّهديد، وذلك أنّ والد إبراهيم «هدّده بعقوبة آجلة إن لم ينقلع عن كفره بآلهتهم، وبعقوبة عاجلة وهي طرده من معاشرته وقطع مكالمته»[6].

2- الاستفهام:

وهو «طلب فهم شيء لم يتقدّم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته وهي: الهمزة، هل، من، متى، أيان أين، أنّى، كيف، كم وأيّ»[7]، وهو نوعان: استفهام ينتظر منه الإجابة (نعم/لا)، واستفهام لا ينتظر منه الإجابة

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 107.
[2] محمد متولي الشّعراوي: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 9086.
[3] سورة مريم، الآية 39.
[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 52 – 53.
[5] سورة مريم، الآية 46.
[6] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 120.
[7] أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص63.

والّذي يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى مجازيّة تُفهم من خلال السيّاق.

وفيما يلي سنقوم باستخراج الأفعال التّوجيهية الاستفهاميّة الّتي اشتملت عليها المدوّنة والّتي خرجت في معظمها أيضا إلى أغراض مجازيّة وهي كالتّالي:

أ- التّعجب: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾[1] فقد ورد الاستفهام في هذه الآية في صورة التّعجب، فكون زكريّا قد كبر وعتا وزوجته عاقرا، تعجّب من استجابة الله تعالى لسؤاله وتبشيره بولد «فسؤال زكريّا هنا هو سؤال إبراهيم ﴿وَإِذ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ وهي فطرة في بني آدم..الرّغبة في المعرفة، ويأتيه الرّد ليعيده إلى إيمانه ويقينه بقدره ربّه ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩﴾»[2].

وقد جاء أيضا في سؤال مريم: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ۝٢٠﴾[3]، فمريم هنا تساءلت باستغراب كيف يكون لي ولد وأنا لم أتزوّج من قبل وأيضا لم أعصِ الله ولم أقم بفاحشة أو زنى من قبل «فقد جعل المسّ عبارة النّكاح الحلال، لأنّه كناية عنه، كقوله تعالى ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وأيضا قوله: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾»[4]، حيث نلاحظ أنّ الأداة "أنى" لها معان متقاربة فقد تستعمل تارة بمعنى "كيف" كما جاء في سؤال مريم ويجب أن يليها فعل، وتارة تكون بمعنى "من أين" كما ورد سؤال زكريّا[5] .

---

[1] سورة مريم، الآية 8.

[2] أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة، مرجع سابق، ص 52.

[3] سورة مريم، الآية 20.

[4] الزمخشري: الكشّاف، مرجع سابق، ص 785.

[5] ينظر جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن، مرجع سابق، ص 75 .

كما جاء أيضا في قصّة الكافر الّذي ادّعى معرفة الغيب، وكفر بآيات الله وكذّب بها، وزعم أنّه سيرزق بأموال وبنين في الآخرة ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾[1].

ونجده أيضا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[2]، والخلاصة من هذا النّوع من الاستفهام هو «تعجيب رسوله صلّى الله عليه وسلّم ممّا حكته الآيات السّالفة عن هؤلاء الكفرة من تماديهم في الغي وانهماكهم في الضّلال وتصميمهم على الكفر بدون رادع ولا زاجر، ومدافعتهم عن الحقّ مع وضوحه، وتنبيهٍ له إلى أنّ ذلك إنّما كان بإضلال الشّياطين وإغوائهم لا لقصور في التّبليغ، وفي هذا تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وتهوين للأمر عن نفسه»[3].

ب- التّوبيخ : ورد الاستفهام أيضا في صورة التّوبيخ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[4]، حيث خصّ الله تعالى في هذه الآية ذلك الإنسان الّذي لا يؤمن بقضية البعث وينكرها وهذا «يعني أنّ الله خلق الإنسان ولم يك شيئا، أفلا يعيده وقد صار شيئا»[5].

ج- النّصح : جاء الاستفهام في صورة النّصح وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾[6]، فإبراهيم يريد أن يبعد أباه عن عبادة الأصنام الّتي لا تسمع ولا

[1] سورة مريم، الآيتان 77- 78.
[2] سورة مريم، الآية 83.
[3] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 83.
[4] سورة مريم، الآيتان 67.
[5] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 251.
[6] سورة مريم، الآية 42.

ترى ولا تدفع عنه ضرّا ولا تجلب له نفعا «إذ أنّ أسلوب الاستفهام (لم تعبد؟) هو الرّغبة في عدم إشعار أبيه بالجهل وأنّه يعلم أكثر منه»[1]، فالهدف من هذا الاستفهام هو بيان أنّه لا يوجد من يستحق العبادة من غير الله وحده لا شريك له .

د- الإنكار: جاء الاستفهام في صيغة الإنكار وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[2]، فبعد الاتّهام الّذي وجّه إلى مريم، لم تجد ما تفعله، فأشارت إلى الرّضيع فغضب قومها وأنكروا ردّة فعلها واستبعدوا أن يستطيع طفل رضيع الكلام.

وذكر أيضا في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[3]، فبعد طلب الرّشد والهداية الّذي قدّمه إبراهيم جاء الرّد من والده باستنكار ورفض هذا الطّلب حيث دفع الحسنة بالسّيئة حيث قال «إذا كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبّها وشتمها وعيبها، فإنّك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك»[4].

وورد كذلك في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[5]، فهنا استنكار لوحدانية الله عزّ وجلّ في العبودية، فهو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في

[1] أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة، مرجع سابق، ص 151.
[2] سورة مريم، الآية 29.
[3] سورة مريم، الآية 46 .
[4] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص 235.
[5] سورة مريم، الآية 65.

أسمائه وصفاته وأفعاله، أي «ليست له نظير ولا منافس فلماذا تتوجّه إلى سراب؟ فالله سبحانه وتعالى قال ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ وأيضا ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾[2]، وهنا إنكار للبعث «فكأنّهم قالوا أحقًّا سنخرج أحياء حيث يتمكّن فينا الموت والهلاك»[3]، فالإنسان يتعجّب ويستبعد فكرة إعادته بعد موته وهذا كما قال الله تعالى في سورة الرّعد «وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنّا ترابا أ إنّا لفي خلق جديد»[4].

هـ– التّقرير والتّأكيد: وأمّا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ۝٧٣﴾[5] فقد أدّى الاستفهام غرض التّقرير «بمعنى طلب الاعتراف – تجاهل العارف: لتمكين المدح، فلم يقل "أين خير؟ هل هو فينا نحن أم فيكم أنتم" إلزاما لخصمه بما يدّعيه عليه، واحترازا من تزكيّة نفسه، فعدل عنه إلى قوله ﴿أَى ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ﴾ يعني: فريق المشركين أم الموحدين»[6].

3– النّداء:

وهو طلب إقبال المدعو على الدّاعي بأحد حروف مخصوصة، ينوب كلّ منها مناب الفعل "أدعو" وأحرف النّداء وأدواته ثمانية: الهمزة، "أي"، "يا" "أيا"، "هيا"، "آ"، "آي" و"وا"، وهي في الاستعمال نوعان: الهمزة وأي

[1] ينظر أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة، مرجع سابق، ص 194.
[2] سورة مريم، الآية 66.
[3] الزمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ص 798.
[4] ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص 251.
[5] سورة مريم، الآية 73.
[6] ينظر السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 88.

لنداء القريب، والأدوات السّت الأخرى لنداء البعيد[1] .

ورد هذا النّوع من الأفعال التّوجيهيّة في عدّة مواضع من سورة مريم، والّتي خرجت في معظمها أيضا عن معانيها الأصليّة إلى أغراض أخرى، وهي كالتّالي:

أ- الدعاء والتّعبير عن الضّعف وعدم القدرة: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾[2]، فزكريّا في هذه الآية يدعو ربّه في قرب واتّصال دون واسطة، فالمخاطب في هذه الآية هو الله سبحانه وتعالى، وحرف النّداء "يا" محذوف، لشعور المنادي "زكريّا عليه السّلام بالقرب من المنادى تعظيما له ولقدرته، وأنّه غير غافل عنه.

وقد جاء هذا النّداء في صورة مناجاة أي الدّعاء بصوت غير مسموع بعيدا أسماع النّاس، ومضمونه ومحتواه هو الشّكوى إلى الله من ضعف الشّيخوخة والوهن وطلب الولد[3]، جاء هذا الفعل التّوجيهي (النّداء) بتوظيف التّركيب اللّغوي "ربّ" بعد حذف أداة النّداء "يا"، والأصل في التّركيب "يا ربي"، ثمّ حذفت "يا" المتكلّم وعوّضت بالكسرة لتصبح "ربّ" ليكون أقرب إلى ربّه وأسرع في النّداء[4]، وقد خرج النّداء في الآيات السّابقة عن دلالته الأصليّة إلى التّعبير عن حالة الشّيخوخة والضّعف وعدم القدرة.

[1] ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، مرجع سابق، ص 114- 115.

[2] سورة مريم، الآيات 4- 6.

[3] ينظر عبد الرحيم حمدان حمدان: تجليات أسلوب النداء في سورة مريم عليها السلام، مجلة جامعة القدس المفتوحة، للبحوث الإنسانية والاجتماعية العدد 45، 2018، ص136.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص137.

ب- الوعد والبشارة: قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى «سمع دعاء زكريّا وحيثيات طلبه، فأجابه بقوله "يا زكريّا" وتوجيه الكلام إلى زكريّا عليه السّلام هكذا مباشرة دليل على سرعة الاستجابة لدعائه، فجاءت الإجابة مباشرة دون مقدّمات»[2].

وقد ورد هذا النّداء الرّبّاني في سورة نداء مباشر باسم النّبي زكريّا عليه السّلام، وذلك تشريفا له وتكريما لمقامه عند الله، وهو يحمل وعدا وبشارة بتحقيق المراد.

ج- الإيجاب والإلزام: ورد النّداء أيضًا في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾[3]، وفي هذه الآية طويت فترة طويلة من حياة يحي عليه السّلام، فقد كان السّياق يتحدّث عنه وهو بشرى لوالده، وفجأة يخاطبه بأنّه أصبح أمرا واقعا، وبلغ مبلغ النّضج، وأصبح أهلا لحمل هذه الدّعوة[4]، فهذا النّداء جاء بعد حدوث فجوة في أحداث القصّة، وحذف الكثير من أحداثها وتقديرها: أنّه بعد أن كبر يحي وأصبح شابّا ناداه المولى عزّ وجلّ، وكلّفه بأعباء النّبوّة رغم صغر سنّه[5]، وهنا خرج النّداء عن معناه الحقيقي إلى الإلزام والإيجاب، والأخذ بتعاليم الكتاب وحفظه.

د- التّحسّر والتّوجّع والخوف: ورد النّداء أيضا في قصة مريم عليها السّلام في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣﴾[6]، فمريم عليها السّلام تمنّت الموت لأنّها عرفت أنّها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، لأنّ النّاس لن يصدّقوها، فبعد أن كانت عندهم عابدة

[1] سورة مريم، الآية 7.
[2] محمّد متولي الشّعراوي: تفسير الشّعراوي، مرجع سابق، ص9031.
[3] سورة مريم، الآية 12.
[4] ينظر محمّد متولي الشّعراوي: تفسير الشّعراوي، مرجع سابق، ص9042.
[5] عبد الرّحيم حمدان حمدان: تجليات لأسلوب النّداء في سورة مريم، مرجع سابق، ص 138- 139.
[6] سورة مريم، الآية 23.

ناسكة، أصبحت عاهرة زانية[1]، وقد ورد النّداء في صورة حوار داخلي ذاتي، فمريم عليها السّلام في هذه الآية تخاطب نفسها، ومضمونه هو تمنّي الموت بسبب الحمل ووجع الولادة، وكغيره من الأساليب السّابقة خرج عن أصله إلى معان جديدة هي: التّحسّر والتّوجّع والخوف.

هـ- التّصبّر والتّسلية: في موضع آخر من سورة مريم ورد أسلوب النّداء في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾[2]، فبعد ولادة عيسى عليه السّلام أنطقه الله، فنادى أمّه مباشرة، وقد صيغ هذا النّداء بطريقة غير مباشرة ولم يأت بالصّيغة المعهودة (حرف النّداء + منادى)، ومضمونه مطالبة السيّدة مريم عليها السّلام بعدم إبداء الحزن والأسى بسبب إنجابه، وأن تطيب نفسا به ولا تحزن وفي هذا تسلية لها وتطيّيبا لخاطرها وتصبيرا لها.

و- التّعجب والاستنكار: جـــاء النّداء أيضا في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾[3] فبعد ن سلّمت مريم بأمر الله واستسلمت لقضائه، أخذت ولدها وأتت به قومها، فلمّا رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه[4].

وقد ورد هذا النّداء بصيغته المعهودة (حرف النّداء + المنادى)، ومضمونه استنكار وتعظيم ما قامت به مريم، وهو يحمل دلالات التّعجب والتّوبيخ والسّخرية.

[1] ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص122.
[2] سورة مريم، الآية 24.
[3] سورة مريم، الآية 27.
[4] ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص124.

ز- التّعريض: نجد النّداء أيضا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾[1] وفي هذه الآية رد فعل قوم مريم على إنجابها وليدا بلا زوج لها، حيث واصلوا توجيه اللّوم والتّأنيب لمريم، قائلين "يا شبيهة هارون في الصّلاح والعبادة"، فقوم مريم نادوها بقولهم "يا أخت هارون" ولم ينادوها "يا ابنة عمران" وهارون هو أحد الصّالحين، وقيل أحد أقاربها، وفي هذه الجملة النّدائيّة لون من ألوان التّعريض، فقصد قوم مريم من وراء ذكرهم لصلاح أبيها وأمّها لم يكن مدحا، وإنّما جاء في سياق توجيه أقسى أنواع الذّم والطّعن في شرفها وعفّتها، وهو نداء ممزوج بالدّهشة والتّعجّب والاستغراب والاستنكار[2].

ورد النّداء أيضا في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾[3].

ورد النّداء في هاته الآيات بصيغة "يا أبت" أربع مرّات، وهو نداء تودّدي، مضمونه ومحتواه رغبة إبراهيم عليه السّلام في استمالة قلب أبيه ليصبح مؤمنا، وقد جرج عن معناه الأصلي إلى معان جديدة هي: التّحبب والتّحنّن، والاستعطاف.

[1] سورة مريم، الآية 28.

[2] عبد الرّحيم حمدان حمدان: تجليات أسلوب النّداء في سورة مريم عليها السّلام، مرجع سابق، ص140.

[3] سورة مريم، الآيات41- 45.

كما نجده في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[1]، فقد عدل آزر (أبو إبراهيم) عن مناداة ابنه بالمثل، ولم يقل له "يابنيّ" وفي هذا تهديد ووعيد لإبراهيم، وقد جاء بصيغته المعهودة.

جاء النّداء أيضا في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾[2]، فـ «لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وُنى عليه، عطف بذكر الكليم»[3] الّذي أخلصه الله واصطفـاه وأبعد عنه الرّجس وطهّره من الذّنوب والآثام، وأرسله إلى الخلق داعيـا ومبشّرا ونذيرا «وأنّ الله كلّمه وأنبأه بأنّه رسوله، وفي هذا تقريب وتشريف له»[4].

فالنّداء في هاتين الآيتين لم يأت في صورة نداء مباشر، وإنّما في أسلوب غير مباشر لم يستكمل عناصره الأساسيّة، ممّا جعل فهمه يتأتّى من خلال السّيـاق أو المقام الّذي ورد فيه وهو الجملة النّدائية القرآنيّة "وناديناه" وفي هذا تشويق للمتلقّي[5]، وتكريم وتشريف لموسى عليه السّلام.

4- النّهي:

وهو «طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ "لا" النّاهية الجازمة، كقوله تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾»[6]، وهو نوعان: نهي له معنى حقيقي

[1] سورة مريم، الآية 46.
[2] سورة مريم، الآيتان51 - 52.
[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص130.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص61.
[5] ينظر عبد الرحيم حمدان حمدان: تجليات النّداء في سورة مريم عليها السّلام، مرجع سابق، ص142.
[6] المرجع نفسه، ص 108.

ونهي له معنى مجازي لا يفهم إلاّ من خلال السّياق، وهو ما اشتملت عليه سورة مريم، الّتي خرجت فيها أساليب الّتي الأربعة الّتي تضمّنتها إلى معان أخرى نذكرها فيما يلي:

أ- الإرشاد: جاء النّهي في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾[1]، بصيغة الإرشاد، فزكريّا هنا طلب من الله عزّ وجلّ أن يجعل له علامة لكي يعلم زمن حمل امرأته بالولد ليحصل له السّرور، ولكي تتحقّق البشارة، فجاءه الردّ بالكفّ عن الكلام لثلاثة أيام وليال إلاّ بالإشارة، على الرّغم من سلامة النّطق، «وهذا كلّه حتّى تستقرّ نفسه ويطمئنّ قلبه بما وعده الله تعالى، كما قال الله عزّ وجلّ على لسان إبراهيم – عليه السّلام – ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾»[2]، فالنّهي في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ يراد به الانقطاع عن الحديث لمدة معلومة ويقضيها في الذّكر والدّعاء والتّسبيح.

ب- التّصبر والتّسلية: وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾[3]، فلمّا جاءها المخاض وحان وقت الولادة تمنّت مريم الموت على أن ترى تلك النّظرة السّيّئة من قومها «فأنطق الله تعالى عيسى –عليه السّلام– تسليّة لأمّه وتثبيتا لقلبها وإشارة لها أنّه كما نطق أمامها وحدها فسوف ينطق أمام قومها ببراءتها»[4].

---

[1] سورة مريم، الآية 10.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص 215.

[3] سورة مريم، الآية 24.

[4] أحمد محمد الشرقاوي: التفسير الموضوعي لسورة مريم، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، 2007، ص 42.

نجد أيضا هذا النّوع من النّهي في قوله تعالى ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾[1]، فالله تعالى يدعو الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– إلى الصّبر وتحمّل هؤلاء الكافرين فكلّ شيء ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾[2] وهنا أيضا «تسليّة للنّبي –صلّى الله عليه وسلّم – وللمؤمنين بيان أسباب صدود المشركين وإعراضهم، والدّافع وراء مقولاتهم الباطلة وأمانيهم الكاذبة، وتحذير للمشركين من هذا الانقياد الأعمى والانسياق المعين وراء الشّياطين»[3].

ج– النّصح والتّحذير: جاء النّهي بصفتي النّصح والتّحذير في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾[4]، فإبراهيم عليه السّلام ينصح أباه بالابتعاد عن عبادة الأصنام وإطاعة الشّيطان، ويحذّره من العذاب ومن «مرافقة الشّيطان إلى نار جهنّم كما رافقه في الدنيا»[5].

5–التّمنّي:

وهو توقّع أمر محبوب في المستقبل، وهو حسب البلاغيين نوعين: توقّع الأمر المحبوب الّذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا، والنّوع الثاني هو توقّع الأمر المحبوب الّذي لا يرجى حصوله، لكونه ممكنا من غير توقّع أو طمع في وقوعه[6].

وقد اشتملت المدوّنة على أسلوب تَمَنٍّ واحد في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[7]، فمريم تمنّت لو كانت ماتت قبل هذا الحدث بكثير

[1] سورة مريم، الآية 84.
[2] سورة البروج، الآية 22.
[3] أحمد محمد الشرقاوي: التفسير الموضوعي لسورة مريم، مرجع سابق، ص 110.
[4] سورة مريم، الآية 44.
[5] ينظر أحمد محمد الشرقاوي: التفسير الموضوعي لسورة مريم، مرجع سابق، ص 62.
[6] ينظر السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص116.
[7] سورة مريم، الآية 23.

وهذا بسبب اليأس الّذي سيطر عليها، حياء من النّاس وخوفا من لائمتهم، وهو يندرج ضمن النّوع الأوّل من التّمنّي الّذي سبق وأن تطرّقنا إليه.

6- التّرجّي:

وهو «طلب حصول أمر محبوب قريب»[1]، ويكون «بحرف واحد هو "لعلّ " وثلاثة أفعـال هي: حَرَى عسى، اخلولق»[2]، وقد ورد هذا النّوع من الأفعال التّوجيهيّة (الرّجاء) مرّة واحدة في سورة مريم في قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾[3]

فإبراهيم عزم أن يبتعد عن قومه، وما يعبدون من الأوثان والأصنام، يفرّ بدينه، وينشغل بعبادة ربّه، لعلّه لا يكون خائب المسعى مثل قومه الّذين لم تؤثّر فيهم نصائحه، فخابوا وشقوا بعبادة تلك الأوثان، الّتي لا تجيب دعاءهم ولا تنفعهم ولا تضرّهم[4]، وقد نفّد ما عزم عليه فحقّق الله رجاءه وأجاب دعاءه، ووهبه إسحاق ولدا ويعقوب حفيدا وكلاهما جعله الله نبيّا.

المطلب الثّاني: الأفعال الإلتزامية (الوعديّات)

ويتمثّل الغرض الإنجازي فيها التزام المتكلّم بفعل شيء في المستقبل، واتّجاه المطابقة من العالم إلى الكلمـات، وشرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلّم شيئا في المستقبل ومن أمثلتها: الوعد، والوصيّة[5].

وقد تمثّل هذا النّوع في سورة مريم في أفعال الوعد والوعيد الّتي سنقوم باستخراجها فيما يلي:

---

[1] السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص50.

[2] عبد العزيز عتيق: علم المعاني، مرجع سابق، ص72.

[3] سورة مريم، الآية 48.

[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص58.

[5] ينظر صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، مرجع سابق، ص 234.

1- الوعد:

نجده في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١﴾[1]، فمن يجمع بين التّوبة والإيمان والعمل الصّالح فإنّ له «الجنة الّتي وعد الرّحمن عباده إياها فآمنوا بها بالغيب قبل أن يروها ووعد الله واقع لا يضيع»[2].

كما ورد كذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾[3]، إذ أنّ كلّ من يعمل بإخلاص لله تعالى ستنشأ بينه وبين الآخرين مودّة «بدون قرابة، وبدون مصالح مشتركة أو صداقة، وهذه المودّة بين الّذين آمنوا، كأن ترى شخصا لأوّل مرة فتشعر نحوه بارتياح كأنّك تعرفه وتقول له إنّي أحبك في الله»[4].

2- الوعيد:

ذكر الوعيد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩﴾[5]، أي أنّه قد جاء بعد هؤلاء الأنبياء قوم سوء تركوا الصّلاة بأركانها وواجباتها وانغمسوا في الذّنوب المعاصي «وأعقب هذا بذكر ما ينالهم من النّكال والوبال في الآخرة»[6]، جزاء انشغالهم عن الصّلاة وغوصهم في

[1] سورة مريم، الآية 60-61.
[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، 2003، ص 2692.
[3] سورة مريم، الآية 96.
[4] محمد متولي الشّعرواي: تفسير الشعرواي، مرجع سابق، ص 9173.
[5] سورة مريم، الآية 59.
[6] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 67.

بحر الشّهوات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾[1]، وقد جاء هذا الردّ على المشركين الّذين يدّعون الغيب بأنّ الله سيحفظ ما يقول هؤلاء المشركين من كذب وافتراء عليه «فنّسجله عليه ليوم الحساب فلا ينسى ولا يقبل المغالطة، فالله تعالى لا تفوته صغيرة ولا كبيرة وبأنّه سيزيد له العذاب ويطيله عليه بدون أن يقطعه واستمر سياق التّهديد وبأنّه سيأخذ ما يخلفه من مال وولد كما يفعل الوارث بعد موت المورث ويأتي إليه وحيدا كما خلق أوّل مرة»[2].

وورد أيضا في قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[3]، فلمّا اختلفت الفرص بين أهل الكتاب فيما يخصّ أمر عيسى -عليه السّلام- فمنهم من قال هو الله والثّاني قال ابن الله والآخر قال ثالث ثلاثة جاءهم «تهديد ووعيد لكلّ من كذب على الله وافترى، وزعم أنّ له ولدا، ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حملها وثقة بقدرته عليهم؛ فإنّه الّذي لا يعجل على من عصاه»[4].

3- الإنذار:

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾[5]، نجد في هذه الآيات أنّ الله تعالى قد أقسم أنّه سيجمع هؤلاء المنكرين بالبعث يوم القيامة مع الشّياطين الّذين كانوا يقبلونهم

[1] سورة مريم، الآية 79-80.
[2] ينظر: سيد قطب في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 2698.
[3] سورة مريم، الآية 37.
[4] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص 232.
[5] سورة مريم، الآيات 68-70.

قاعدين على ركبهم وذلك «إنذار لهم بأنّ مصيرهم هو مصير الشّياطين، وهو محقّق عند كلّ النّاس»[1]، ثمّ يواصل الله عزّ وجلّ تهديده بأنّه سوف يحضرهم أوّلا حول جهنم، ثمّ يميّز بعضهم عن بعض، فمن كان أشدّهم تمرّدا في فره، خصّ بعذاب أعظم، فعذاب الضّال المضّل فوق عذاب من يضّل بالتّبع لغيره»[2]، فالله تعالى يعلم ما يستحقّه كلّ واحد منهم من العذاب.

4- الوعد والوعيد:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[3]، إنّ الله تعالى في هذه الآية يعد كل من يمتثل لأوامره ويتجنب معصيته بالنّجاة من النّار ويسقط فيها «الكفّار والعصاة على قدر ما اجترعوا من الآثام والذّنوب ويتركون جاثين على ركبهم كما جاءوا»[4].

5- العهد:

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾[5]، نجد في هاتين الآيتين أنّ الله تعالى أشار إلى رجل- يقال أنّه العاص بن وائل- ومن هو بمثله، إذ كفر بآيات الله وكذّب بها، وقال أنّه سيأخذ في الآخرة أموالا وأولادا كأنّ له «صحيفة مكتوب بها تعاهد وتعاقد بينه وبين الله موضوعة عند الله»[6].

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 147.
[2] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 75.
[3] سورة مريم، الآية 72.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 75.
[5] سورة مريم، الآيتان 77-78.
[6] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 160.

المطلب الثّالث: الأفعال الإخبارية (التّقريرية)

هي أن تطابق الأفعال الواقع، وأن يكون المتكّلم مقتنعا بها، وأن يكون الغرض الإنجازي فيها وصف واقعة معيّنة من خلال قضيّة (proposition)، لا تحتمل أفعالها الكذب، وأن يكون اتّجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم (words to world)[1]، فالخبر باعتباره صورة عن الواقع وتمثيل له، يحمل في طيّاته أسلوبين:

– **أسلوب مباشر**: وهو إيصال الخبر ووصفه كما هو في الواقع.

– **أسلوب غير مباشر**: وهو الّذي يحمل معاني غير مباشرة مثل المدح، الأمر، التّحذير والوعد.

وسنحاول فيما يلي استخراج ما تيسّر من هذه الأفعال من السّورة:

1– الأفعال الإخبارية المباشرة:

وهي الّتي تحقّق **الفائدة الخبرية**، وقد حقّق الخبر هذه الفائدة في الآيات التّالية:

قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾[2]، فالله تعالى أمر مريم بأن لا تتكلّم «وتنوي الصّوم لوقتها وتنذره لله على نفسها فلا يكون إخبارا بما لا حقيقة له»[3]، إذ أنّ الله أخبر مريم بأن لا تخاطب قومها لفائدة لها وهي عدم اتّهامها بالفاحشة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾[4]، بدأ عيسى عليه السّلام– كلامه ببيان

[1] محمد عكاشة: النظرية التداولية اللسانية، النشأة، المفاهيم والمبادئ، مرجع سابق، ص 106.

[2] سورة مريم، الآية 26.

[3] محمد الحسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 44.

[4] سورة مريم، الآية 30.

عبوديته لله تعالى «لأنّ الله علم بأنّ قوما ما سيقولون: إنّه ابن الله»[1]، فالخبر هنا حقق لازم الفائدة لانّ المتكلّم –الله– لم يستفد من المعلومة لأنّه يعرفها، وإنّما استفاد أن السّامع – قوم وأهل مريم– علم بها أيضا.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾[2]، بعد الردّ الّذي تلقّاه إبراهيم من والده، وقبل أن يعرف أنّه عدوّ لله ومشرك به سعى في الاستغفار له وقال له بأنّ الله «عالما لطيفا يجيبني إذا دعوته»[3]، فإبراهيم– عليه السّلام– أخبر أباه بأنّ الله دائم الاستجابة لدعواته فقد قصد – إبراهيم– أن يعرف السّامع– أباه– معلومات يجهلها ولم يكن يعرفها لذا فإلقاء الخبر يكون: "فائدة الخبر".

بالإضافة إلى ذلك هناك أنواع أخرى من الخبر المباشر الّذي يحقق فائدة خبرية نذكر منها:

أ–الذّكر: قال الله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾[4]، وتتعلّق لفظة «ذكر بالإخبار وهو بمعنى "اذكر" أي اذكر ذكرا»[5] "فاذكر" فعل أمر أي اقرأ عليهم ما أخبرك الله به، وورد أيضا هذا اللّفظ في الآيات التّالية: قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾[6].

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٤١﴾[7].

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾[8].

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 58.

[2] سورة مريم، الآية 47.

[3] أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ج13، ط1، 2006، ص 461.

[4] سورة مريم، الأية 2.

[5] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 61.

[6] سورة مريم، الآية 16.

[7] سورة مريم، الآية41.

[8] سورة مريم، الآية51.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾[2]. فالفعل "اذكر" يقصد به إخبار الناس تذكيرا، «إذ أن الذكر بمعنى الخبر على حسب الدامغاني وهذا ما دلت عليه الآيات الّتي ذكر فيها كل من مريم وموسى وإبراهيم وإسماعيل فكأنّه يقول أخبر يا محمد أهل مكّة أمر هؤلاء الأنبياء وقصصهم»[3].

ب- التّبشير: قال الله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾[4] إذ أنّ لفظة التّبشير هنا وردت بمعنى الخبر، «وعليه يكون هذا الإخبار سرّا من الله أودعه زكريّا فلا يظنّ أنّه قد يسمّي أحد اسم ابنه يحي فيما بين هذه البشارة وبين ازدياد الولد»[5]، ومنه فإنّ كلّ ما يبشّر به القرآن فهو إخبار.

جاءت أيضا هذه اللّفظة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾[6]، هنا كذلك يحمل لفظ التّبشير معنى الفرح والخير أي «أنّنا سهّلنا نزول القرآن بلغتك العربيّة لتقرأه على النّاس وتبشّر به من اتقّى عقاب الله، فأدّى فرائضه واجتنب نواهيه بأنّ له الجنّة»[7].

ج- الإنذار: قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾[8]، أي خوّفهم بما يقع يوم القيّـامة من الحسرة والنّدامة لأهل الشّرك والضّلال، وقد يقصد به هنا "الأمر" أي «أمر الله

[1] سورة مريم، الآية 54.
[2] سورة مريم، الآية 56.
[3] ينظر الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط4، 1983، ص 181-182.
[4] سورة مريم، الآية 7.
[5] محمد طاهر ابن عاشور: تفسير التّحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 69.
[6] سورة مريم، الآية 97.
[7] محمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 89.
[8] سورة مريم، الآية 39.

بمجيء يوم القيـامة أي إذا حشروا»[1]، ومنه فالإنذار يعتبر نوع من أنواع الخبـر يتخصّص بالتّخـويف من الشّيء للإحاطة به والحذر منه.

كما ورد الإنذار أيضا في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾[2]، أي تخوّف به المكذّبين من العذاب.

د– التّلاوة: قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[3].

وقال أيضا: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾[4]، حيث نجد في هذه الآيات أن لفظة "التّلاوة" مشتقّة من الفعل "تلا" و"تلا" الخبر: أخبر به فهو تال[5]، يرتبط الخبر أيضا بالنّبـأ، فهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدلّ على ذلك. ومنهـا قوله تعـالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾[6]، فالنّبأ هو نوع من الخبر يختصّ بقصّة النّبي وسيرته والتّلاوة وسيلة لإقناع النّاس « فحقّ الخبر الّذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب ومنه خبر الله

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 109.
[2] سورة مريم، الآية97.
[3] سورة مريم، الآية 58
[4] سورة مريم، الآية 73
[5] إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدّولية، ط4 2004، ص 87.
[6] سورة المائدة، الآية 27.

تعالى وخبر النّبي عليه الصّلاة والسّلام»[1]، وعليه فإنّ هذا الفعل في القرآن الكريم يدلّ على الأخبار الصّادقة سواء كانت أخبار دنيوية أو أخروية.

هـ- الوحي: قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾[2]

فلفظة "أوحى" بمعنى «أشار وأومأ»[3]، ولها معان عدّة في القرآن الكريم مثل «المعنى الإلهامي الغريزي والوسوسة والإلهام الإرادي، وما يهمّنا هو معنى الإشارة الظّاهرة الّتي تعطي معنى الأمر فزكريّا أشار إلى قومه ليس مجرد إشارة وإنّما للتّوجيه والتّعليم»[4].

فكلّ من الذّكر والتّبشير والإنذار والتّلاوة والوحي حقّقت فائدة خبرية لأنّ الغرض من الخبر هو إعلام المخاطب بخبر يجهله.

2- الأفعال الإخبارية غير المباشرة: وهي عبارة عن أغراض إنجازية مختلفة حلّت محلّ الفائدة الخبريّة المألوفة وتتمثّل فيما يلي:

أ-إظهار الضّعف والعجز: ونجده في قولــه تعـالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾[5]، حيث يخبر زكريّا ربّه عن ضعفه» فقدّم قوله "ربّ" للاسترحام في مفتتح الدّعاء، والوهن هو الضّعف ونقصان القوّة»[6]، فكل من الشّيب والوهن كناية عن الضّعف.

[1] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، دت، ص 622.
[2] سورة مريم، الآية 11.
[3] إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد:معجم الوسيط، مرجع سابق، ص 1018.
[4] ينظر محمد فاروق النبهان: المدخل إلى علوم القرآن، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 2005، ص 32-33.
[5] سورة مريم، الآية 4.
[6] محمد الحسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، شبكة الفكر، قدس سره، ج14، دط، دت، ص8.

وقوله أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾[1]، فزكريّا- عليه السلام- يخبر الله تعالى عن بلوغه الكبر على الرّغم من أنّه يعلم أنّ الله مطّلع على عجزه البشري إذ على الرّغم من ثقة زكريّا بالله ووعده له إلاّ أنّه «يريد أن يعرف كيف يتمّ تحقيق ذلك ليطمئنّ قلبه»[2].

ب- الاسترحام: وقد اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾[3]، إذ أنّ زكريّا لم يرد من أقاربه أن يتولّوا الخلافة من بعده وتسيير شؤون الدّعوة «لأنّه رأى من سلوكياتهم في الحياة عدم أهليّتهم لحمل هذه المهمّة»[4].

ج- الوعد المحقق: ويظهر من خلال قولــه تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[5]، فالله استجاب لدعاء زكريّا، «ولم تكن الإجابة فقط، بل عجّل الله له البشرى، فأرسل إليه الملائكة بالاستجابة»[6]، إذ أنّ الخبر هنا لم يحقّق أيّة فائدة بل جاء بغرض إنجازي وهو الوعد.

نجد الوعد أيضا في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧﴾[7] إذ بعد مقابلة الحسنة بالسّيّئة من قبل والد إبراهيم، «قابل إبراهيم عليه السّلام أباه فيما أساء إليه بالسّلام، ووعده

[1] سورة مريم، الآية 8.
[2] ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص2677.
[3] سورة مريم، الآية 5.
[4] محمد مقولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 9028-9029.
[5] سورة مريم، الآية 7.
[6] أكرم رضا: بالقرآن نجد الحياة، مرجع سابق، ص 51.
[7] سورة مريم، الآية 47.

أن يستغفر له ربّه»[1]، وهنا الخبر حقّق غرض إنجازي تمثّل في الوعد والاستلطاف «فاستعطفه عليه السّلام بوعد الاستغفار»[2]، فحرف "السّين" يدخل على الفعل المضارع ليدلّ على الوعد في الزّمن القريب.

كما ورد كذلك في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾﴾[3]، فنصيب أولئك المؤمنين أنّهم «يدخلون الجنّة وعدا من الله واقعا، وهذا تحقيق للبشارة»[4]، فهنا الخبر تمثّل في الوعد والبشارة.

د- المدح: قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٤١﴾﴾[5]، فبما أنّ إبراهيم هو أبو الأنبياء فقد خصّه الله تعالى بالمدح بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[6]، فقد أخبر الله تعالى الرسول صلّى الله عليه وسلّم بما منّ على إبراهيم من صفات «فحصل المدح بذكر اسمه الصّريح مع الصّفة، إلاّ أنّ المدح هنا كان لأجل التّذكير بخصال وصفات إبراهيم عليه السّلام لأجل الاعتبار والتّخلق بها»[7]، وقد جاءت "إنّ" لتؤكد هذا الخبر.

مدح الله تعالى موسى عليه السّلام في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾﴾[8]، فمن رحمة الله تعالى بنيّة موسى عليه السّلام أنّه «أخلصه واصطفاه وأبعد عنه الرّجس وطهّره

[1] محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 59-60.
[2] المرجع نفسه، ص 60.
[3] سورة مريم، الآية 61.
[4] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 137.
[5] سورة مريم، الآية 41.
[6] سورة النحل، الآية 120.
[7] ينظر معن توفيق دحام الحبالي: المدح والذم في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط ، دت، ص 79.
[8] سورة مريم، الآية 51.

من الذّنوب والآثام»[1]، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2]، بالإضافة إلى هذا أخبر الله تعالى عن صفات كلّ من إسماعيل وإدريس وتحلّيهما بالصّدق وعدم الكذب قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[3]. وقوله أيضا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾[4].

من بين المواضع الّتي ذكر فيها المدح أيضا «إبراز المكان لبيان أخصّ الصّفات في حياة الأنبياء والمرسلين وأعظمها وهي العبودية كذكر المحراب مع زكريّا في قوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ وهذا يدعو إلى إظهار صفة الاقتداء والإتباع»[5].

أيضا «قد يكون المدح في الملأ الأعلى كما في قوله تعالى ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾»[6].

هـ– التّحذير: قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[7]، في هذه الآية تخبر مريم الملك جبريل بأنّها تحتمي بالرحمن، فهي كانت خائفة من هذا الشّخص الّذي أتى إليها في خلوتها «فقالت له إن كنت تقيّا مؤمنا فاعلم حقّ الله وابتعد»[8]، والقصد من إخبارها هذا هو التّحذير، والخبر جاء مؤكدا بـ "إنّ".

---

[1] محمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 60.
[2] سورة ص، الآيتان 82- 83.
[3] سورة مريم، الآية 54.
[4] سورة مريم، الآية 56.
[5] معن توفيق دحام العيالي: المدح والذم في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 80.
[6] المرجع نفسه، ص 80.
[7] سورة مريم، الآية 18.
[8] أكرم رضا: بالقرآن نجد الحياة، مرجع سابق، ص 84.

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾[1]، نجد إبراهيم عليه السّلام ينصح أباه بالابتعاد عن عبادة الأصنام وعدم طاعة الشّيطان، فهو «يحذّر أباه أن يغضب الله عليه فيعاقبه ويجعله وليّا للشّيطان وتابعا له»[2]، فالخبر هنا ورد بغرض التّحذير وهو مؤكّد بـ "إنّ".

هـ– إظهار القدرة: قال الله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾[3] في هذه الآية جاء الردّ من الله تعالى، حيث يخبر زكريّا بأنّه كما خلقه من قبل ولم يكن شيئا فهو قادر أيضا أن يرزقه الولد رغم ضعفه وعقم زوجته «وذلك كونه هينا في جانب قدرة الله تعالى العظيمة»[4]، وقد ورد الخبر مؤكّدا بالأداة "قد".

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾[5]، في هذه الآية أيضا جاء الردّ من الله تعالى على منكري البعث، يخبرهم بأنّه كما استطاع أن يخلق الإنسان من العدم فهو قادر على أن يبعثه بعد الموت « فليعتبر بذلك وليعلم أنّ من أنشأه كذلك لا يعجز عن إحياءه بعد مماته وإيجاده بعد فناءه»[6]، والخبر هنا مؤكد بالأداة " أنّ" .

[1] سورة مريم، الآيتان 44- 45.
[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 2688.
[3] سورة مريم، الآية 9.
[4] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 72.
[5] سورة مريم، الآية 67.
[6] محمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص74.

و- التّوبيخ: قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[1]، بعد مجيء مريم عليها السلام إلى قومها وفي يدها عيسى عليه السلام أطلق القوم كلمّاتهم المنكرة والمتعجّبة لهذا الخلق والفعل الّذي يناقض ما عرفوه من أهلها حيث «ورد هنا في معرض التّوبيخ لها، لأنّها في اعتقاد اليهود حملت سفاحا»[2]، فقد جاء الخبر هنا في صيغة الماضي من مريم إلى قومها (أتت، جئت، كان) ومؤكّدا بالأداتين "لقد" "وما".

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾[3]، في هذه الآية جاء الردّ من الله تعالى على المشركين الّذين قالوا بأنّ لله ولدا بأنّهم قد جاءوا بشيء عظيم منكر «فهو التفات لقصد إبلاغهم التّوبيخ على وجه شديد الصّراحة لا يلتبس فيه المراد»[4]، والخبر هنا ورد مؤكدا بـ"لقد".

ز- التّهديد: قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾[5]، في هذه الآية ردّ الله تعالى على أولئك الكفّار، وأخبرهم بأنّ الكثير من الأمم السابقة كانت ذات جاه ومال وقد أهلكها «وفي هذا تهديد ووعيد لا يخفى وكأنّه قيل فليرتقب هؤلاء فسيحلّ بهم مثل ما حلّ بمن قبلهم»[6]، فهذا الردّ الأنسب للارتعاد والتّخويف بسوء الخاتمة.

---

[1] سورة مريم ، الآيتان 27-28.

[2] وليد المهدي: بغية السائل من أواجد المسائل، دار الراف، دط، دت، ص 254.

[3] سورة مريم، الآية 89.

[4] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 170.

[5] سورة مريم، الآية 74.

[6] محمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 78.

قال الله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا ﴿٩٨﴾﴾[1]، يخبر الله تعالى هنا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأنّه كما أهلك كفار الأمم السّابقة فإنّه سيهلك كفّار قومه، وفي هذا تهديد ووعيد لهم «فلمّا ذكروا بالعناد والمكابرة أتبع بالتعريض بتهديدهم على ذلك»[2]، لعلّهم يعتبرون ويرجعون عن عنادهم وكفرهم، وجاءت صيغة الإخبار بالتّهديد هنا بصيغة التّكثير وهي "كم" الخبرية الّتي تفيد الكثرة.

فهذه الأسئلة الاستنكارية جاءت محمّلة بالسّخرية والغرور من الكافرين وردّ الله عليهم في أجوبة مشحونة بالوعد والوعيد بسوء عاقبتهم، فقصر الآيات ووجود شدّة على الفواصل ساهم في تكوين جرس يتميّز بالعنف والشّدة المناسبين لسياق التّهديد والوعيد والعذاب.

ح- التّعريض: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾[3]، بعد مجيء مريم وهي تحمل الولد في يديها تعجّب منها قومها» وقاموا بمدح أبيها وأمّها وعرضوا لمريم بذلك، ولذلك قال الله تعالى ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾﴾، وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التّعريض لها»[4]، أي إذا كان الأصل زكيّا فالغالب أن الفرع يكون كذلك فمن أين لك هذا الولد؟ فقومها لم يواجهوها صراحة بالمعنى، وإنّما عرّضوا بذلك تعريضا قويّ التّأثير وذلك بالإشارة إلى أمّها وأخيها[5].

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾[6]، جاءت هذه الآية كردّ على من أنكر نطق عيسى عليه السّلام في المهد ولتبرئة مريم عليها السلام من الفاحشة، فالزّمخشري يرى أنّ هذا التّعريف

[1] سورة مريم، الآية 98.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 177.
[3] سورة مريم، الآية 28.
[4] ينظر يوسف بن خلف بن مهدي الحارثي: مجلة التعريض بالقذف حكمه عقوبته، العدد8، السنة الثانية،شوال 1421هـ، ص 3.
[5] ينظر أحمد فتحي رمضان الجبائي: الكناية في القرآن الكريم، موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار غيداء، عمان، ط1، 2014، ص 255.
[6] سورة مريم، الآية 33.

للسّلام جاء «تعريضا باللّعنة على متهمي مريم عليها السّلام وأعدائها من اليهود، فإذا قال: وجنس السّلام عليّ فقد عرض بأنّ ضدّه عليكم، ونظيره قوله تعالى ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٤٧﴾ يعني أنّ العذاب على من كذّب وتولّى، وكان المقام مقام مناكرة وعناد، فهو مئنة لنحو هذا من التّعريض»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٣٦﴾[2]، في هذه الآية يخبر عيسى عليه السّلام قومه بأنّ الله الّذي أدعوكم لعبادته ﴿ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، فهنا «تلميح وإيحاء بأنّ الله لا يختار لتبليغ رسالته من يمكن أن يشرك به مستقبلا، فهو يرسل المعصومين ولا ريب، إذن فالخطاب هو تلميح لأمّته أن يحذروا من الشّرك»[3]، فمن يعبد إله دون الله فله عذاب أليم، والله تعالى أبلغ عباده هذه الرّسالة على لسان عيسى عليه السّلام، بطريقة غير مباشرة للتّحذير من الشّرك والعذاب الناتج عنه.

ط- التّهويل: قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾[4]، فمن فضاعة قول المشركين بأنّ لله ولدا تنشقّ الأرض وتسقط الجبال سقوطا شديدا، وهذا «الكلام جار على المبالغة في التّهويل من فضاعة هذا القول بحيث إنّه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيغيّر كيانها»[5]، والخبر في هذه الآية يدلّ على تهويل أمر ادّعاء المشركين بأنّ لله ولدا.

المطلب الرّابع: الأفعال التّعبيرية (الافصاحيّات أو البوحيّات)

هي التّعبير عن الحالة السّيكولوجية إمّا الشّكر أو التّهنئة أو الاعتذار أو التّعزية، وهذا هو شرط الإخلاص فيها، أمّا اتّجاه المطابقة فلا يوجد، ففي أداء الفعل المعبّر لا يحاول المتكلّم أن يؤثّر في العالم فيماثل الكلمات ولا

[1] الزمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ص789.
[2] سورة مريم، الآية 36.
[3] فاروق المواسي: مقال عن التعريض في البلاغة، منبر للثقافة والفكر والآداب، 2018. www.diwanarab.com
[4] سورة مريم، الآية 90.
[5] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 171.

الكلمات لتماثل العالم[1]، ويشترط أن تكون النّية صادقة، وسنحاول فيما يلي استخراج الحالات النّفسية المتواجدة في السّورة، وهي كالتّالي:

1- الخوف:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾[2]، من بين ما دعا به زكريّا عليه السّلام ربّه أن يرث ابنه عرشه دون غيره، وذلك لأنّ «بنو عمّه كانوا أشرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمّته ويبدّلوا عليه دينهم»[3]، والميراث هنا هو ميراث النّبوة والدّعوة.

قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[4]، فبينما مريم عليها السّلام في خلوتها إذ برجل غريب يقف أمامها «فانخلع قلبها ولملمت نفسها وجمعت حاجاتها، ولم تجد ما يعيذها إلاّ ربّها»[5] ملاذها الآمن لتلجأ إليه.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾[6]، إبراهيم عليه السّلام تملّكه الخوف على أبيه وما سيحلّ به من عذاب إذا لم يرجع عن شركه «فصدر كلّ نصيحة من

[1] ينظر صلاح إسماعيل عبد الحق : التّحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، مرجع سابق، ص234.

[2] سورة مريم، الآية 5.

[3] أبي السعود بن محمد العمادي: تفسير أبي السعود، المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار المصحف، لبنان، ج5، ص254.

[4] سورة مريم، الآية 18.

[5] أكرم رضا: بالقرآن نجود الحياة، مرجع سابق، ص84.

[6] سورة مريم، الآيات 42-45 .

النّصائح الأربع بقوله ﴿ يَتَأَبَت﴾ توسّلا إليه واستعطافا»[1] لحاله عسى أن يأخذ بكلامه، ويرجع إلى الطّريق الصّحيح.

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[2] ففي هذه الآية يخبر الله تعالى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن النّبيين الّذين إذا قرأوا آياته «سقطوا بوجوههم سريعا إلى الأرض»[3] ذلاّ وخشوعا لربّهم.

وهذا «استئناف لبيان خشيتهم مع علوّ طبقتهم وكمال قربهم»[4] من أنّهم لم يعبدوه حقّ عبادته ولم يشكروه حقّ شكره، وأمّا البكاء فالمراد منه «انفعال النّفس انفعالا مختلطا من التّعظيم والخوف»[5].

2- الفرح:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾﴾[6]، بعد استجابة الله عزّ وجلّ لدعاء زكريّا ردّ عليه فرحًا متعجّبا مستفسرا عن الكيفية إذ «أنّه تعجّب حين أجيب إلى ما سأل وبشّر بالولد، ففرح فرحا شديدا وسأل عن الوجه الّذي يأتيه منه الولد»[7].

---

[1] الزمخشري: الكشّاف، مرجع سابق، ص791- 792.

[2] سورة مريم، الآية 58.

[3] محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص9104.

[4] الملا علي القاري: تفسير الملاّ علي القاري، تح: ناجي السوير، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج3، ص246.

[5] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص133.

[6] سورة مريم، الآية 8.

[7] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص36.

3- الحزن:

قال الله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[1]، في هذه الآية نجد أنّ مريم عليها السّلام تمرّ بظرف نفسي، حيث استبدّ بها الحزن لما رأت الأمر قد تحقّق، وخالطها الخوف من اطّلاع قومها على ما حدث[2]، وتمنّت الموت على أن تسمع الإساءة لربّها من قومها بسببها على أنّ عيسى ابن الله أو هي زوجته.

4- الغضب:

قال الله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[3]، إنّ سكوت مريم عليها السّلام وعدم إجابتها على أسئلة قومها جعلهم يستفيضون غضبا، «فقالوا لها متهكمين بها ضانّين أنّها تزدري بهم وتهزأ: كيف نكلّم من هو صبي في المهد»[4]، فهنا الفعل التّعبيري يدلّ على الغضب وهو غضب القوم من استغفالها لهم.

كلّ ما قدّمه إبراهيم من استعطاف ولطف وخوف لأبيه لم يدخل قلبه، بل إنّه غضب لدى سماع كلامه وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[5]، فما إن عرض إبراهيم دعوته على أبيه حتّى غضب غضبا شديدا وردّ عليه «بمنتهى الجفاء والعنجهيّة

[1] سورة مريم، الآية 23.

[2] ينظر عقيل عكموش عبد: الدلالة النفسية في سورة مريم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العددان (3-4)، مج 6-7 2007، ص81.

[3] سورة مريم، الآية 29.

[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص48.

[5] سورة مريم، الآية 46.

بعكس ما في كلام إبراهيم من اللّين والرّقة، فدلّ ذلك على أنّه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التّصلب في الكفر»[1].

المطلب الخامس: الأفعال الإعلانية (التّصريحات أو الإيقاعيات)

هي الّتي يقع الفعل فيها بمجرّد النّطق به، يعتمد نجاحها على مطابقتها للواقع واعتمادها على الاتّجاه المزدوج في المطابقة، وذلك بالاستناد إلى مؤسسة غير لغوية، بحيث تعتبر هذه المؤسسة الإنشاء النّاجح لذلك الفعل الكلامي إحداثا للتّغيير المطلوب، وجميع الإيقاعيات الصّحيحة لها محتوى قضوي صادق، أمّـــا الغرض منها فهو إحداث تغيير في العالم عبر الكلمات[2].

وفيما يلي سنحاول استخراج الإعلانيّات المتواجدة في السّورة وهي كالتّالي:

1- الإعلانيّات الأساسية:

1-1- الإعلان عن وحدانية الله تعالى:

كلّ الرّسل الّذين بعثهم الله تعالى كانت أوّل دعواهم توحيد الله والتّوجه إليه وحده في العبادة والقصد والطّلب، وهناك آيات عديدة تؤكّد أنّه ما من رسول بعث إلاّ وأوحي إليه أن يدعو قومه إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾[3]، وقال أيضا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص118.

[2] ينظر سيد هاشم الطباطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت الكويت1991 ص31- 32.

[3] سورة الأعراف، الآية 59.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1]، ولأجل إثبات هذا التّوحيد نجد أنّه قد ذكر في معظم السّور، ومن بينها سورة مريم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾[2]، حيث تحدّث الله تعالى هنا على لسان عيسى عليه السّلام، ليبيّن لأهل الشّرك وحدانيته ولينفي الإلاهية عن عيسى عليه السّلام فهو يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له.

نجد ذلك أيضا في دعوة إبراهيم عليه السّلام لأبيه، بترك عبادة الأصنام والتّوجه إلى الله تعالى بقوله: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾[3]، وأيضا قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾[4]، إذ أنّ إبراهيم عليه السّلام يحاور أباه بطريقة مؤدّبة ولطيفة عسى أن يتقبّل والده النّصح ويرجع إلى الطّريق الصّحيح والرّجوع عن الشّرك بالله.

ذكر أيضا حين تأخّر الوحي في النّزول على محمد صلّى الله عليه وسلّم، فأخبره جبريل بأنّ النّزول هو من عند الله الخالق والمدبّر لكلّ شيء بقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾[5]، لذا وجب عليك أيّها الرّسول أن تعبد الله وحده وتصبر على مشاق الدّعوة، فهو سبحانه الّذي يستحقّ العبادة وحده.

[1] سورة الأنبياء، الآية 25.
[2] سورة مريم، الآية 36.
[3] سورة مريم، الآية 42.
[4] سورة مريم، الآية 44.
[5] سورة مريم، الآية 65.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا ٨٢﴾[1]، يشير الله تعالى في هاتين الآيتين إلى هؤلاء المشركين الّذين اتّخذوا من الأصنام آلهة من دون الله حتّى يكونوا لهم شفعاء يوم القيامة فينفي الله تعالى هذا الكلام، وبأنّها ستنكر كلّ من قام بعبادتها وتشهد عليهم عكس ما كانوا يتوقّعون.

1-2- إعلان تنزيه الله تعالى عن الولد:

إنّ إعجاز الله تعالى وقدرته في خلق الإنسان بلا أب ثمّ إنطاقه للطّفل وهو في المهد، جعلت المشركين يظنّون أنّ عيسى عليه السّلام هو ابن الله، فردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾[2]، فالله ربّ السّموات والأرض، وخالق كل شيء، لا يليق به أن يتّخذ ولدا من عباده وخلقه، فقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ هو تنزيه عمّا قيل عنه، ويبرهن الله تبرئته عن الولد بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾[4]، فهنا بيان أنّ عيسى عليه السّلام مثله مثل باقي البشر ولا يملك صفة الخالق، فهو لله رسول كسائر رسله الّذين كانوا قبله، ووضّح ذلك بكونه هو وأمّه يحتاجان إلى الطّعام والشّراب كسائر البشر من بني آدم.

[1] سورة مريم، الآيتان 81-82.
[2] سورة مريم، الآية 35.
[3] سورة آل عمران، الآية 59.
[4] سورة المائدة، الآية 75.

نجد ذلك أيضا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾[2]، حيث يبيّن الله تعالى أنّه بعظمته وجلالته وقدرته بأن يقول كن للشّيء فيكون، فلا يليق به أن يتّخذ ولدا يدلّ على نقصه وحاجته، فهو مبرّأ من كلّ النّقائص لأنّه ربّ كلّ شيء.

1-3- إعلان إثبات البعث يوم القيّامة:

تعتبر قضيّة البعث من أكثر القضايا الّتي اشتدّ جدل المشركين حولها، فلم تكن عقول الكفّار تتصوّر رجوع الأجساد والعظام المتحلّلة في التّراب إلى أجساد كما كانت عليه، ويستبعدون وقوع مثل هذا الأمر، قال الله تعالى على لسان منكري البعث والحشر: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾[3]، وهذا الإنكار والاعتراف راجع إلى غفلة الإنسان عن نشأته الأولى أي: أين كان؟ وكيف كان؟.

وبعد السّخرية والاستهزاء من ذلك اليوم الموعود جاءهم الرّد من الله تعالى متوعّدا ومهدّدا بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾[4]، فالله تعالى هنا يخاطب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حيث أقسم له بالانتقام من هؤلاء الأقوام.

[1] سورة مريم، الآية 88.
[2] سورة مريم، الآيتان 91-92.
[3] سورة مريم، الآيتان 66-67.
[4] سورة مريم، الآية 68-69.

نجد الاستهزاء بيوم البعث في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾[1]، فالكفّار اتّبعوا الشّهوات وغرّتهم الحياة الدّنيا، فاستحقّوا العذاب يوم القيامة، ونجد مثل هذا أيضا في قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾[2]، فمن أغمض عينيه وأغلق أذنيه ولم يستجب لكلام الله في الدّنيا فإنّ هذه الأخيرة فانيّة و«ستسوء حالهم يوم القيامة الّذي يقتضي الظنّ بأنّهم الآن في سعة من الحال»[3]، وهذا التّعجب تهديد لهم من العذاب المنتظر.

ثمّ تابع تحذيرهم من عذاب الآخرة بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[4]، وهنا يشير إلى أهل الدّنيا من غفلة الدنيا يوم لا ينفع شيء ويبقى فقط النّدم والحسرة، قال الله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[5].

لم يكتف المشركين باستخفافهم واستنكارهم بيوم البعث بل جعلوا الأرض ومن فوقها لهم جميعا ولكن «يوم القيامة ليس لأحد ملك على شيء، فالأمر كلّه لله، فيعود الملك لصاحبه، ولا يتوقّف الأمر على ذلك فقط بل سيعودون جميعا إليه فهم أيضا من ملكه وخلق من خلقه»[6].

تعدّ هذه الإعلانات الثّلاثة المتمثّلة في وحدانية الله، وتنزهيه عن الولد، وقضية البعث إعلانات أساسية في السّورة.

---

[1] سورة مريم، الآية 77.
[2] سورة مريم، الآية 38.
[3] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص108.
[4] سورة مريم، الآية 39.
[5] سورة الزمر، الآية 56.
[6] أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة، مرجع سابق، ص146.

2- إعلانيات فرعيّة: هناك إعلانيات أخرى شملتها سورة مريم وهي:

2-1- إعلان قبول دعاء زكريّا وإيهابه يحي:

بعد دعاء زكريّا ربّه بأن يرزقه ولدا بقوله: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾[1]، جاءه الردّ من الله تعالى يبشّره بقبول دعائه بقوله: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾[2]، فقوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾، هو إعلان باستجابة دعائه وإيهابه الولد رغم عقم زوجته وكبر سنّه.

2-2- إعلان جبريل عن إيهاب الولد لمريم:

بقاء مريم عليها السّلام في خلوة عن النّاس وظهور شخص غريب فجأة أمامها جعلهـــا تشعر بالخوف لقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨﴾[3]، فجاءها الردّ السّريع بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩﴾[4]، ويعتبر هذا الردّ إعلان من جبريل بأنّه سيكون لها غلام.

2-3- إعلان نبوّة عيسى عليه السّلام:

قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السّلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠﴾[5] تحدّث عيسى عليه السّلام وهو في المهد، حتّى يغلق أفواه قومه الّذين كانوا يتّهمون أمّه بما ليس فيها، وأيضا حتّى

[1] سورة مريم، الآية 5.
[2] سورة مريم، الآية 7.
[3] سورة مريم، الآية 18.
[4] سورة مريم، الآية 19.
[5] سورة مريم، الآية 30.

لا يقولوا أنّه إله أو ابن إله، وبهذا «يعلن عيسى عليه السّلام عبوديته فهو ليس ابن الله ولا إله، ويعلن أنّ الله جعله نبيّا»[1]، وبهذا الإعلان برّأ أمّه وبرّأ نفسه أيضا من الادّعاءات الّتي كانت ستنسب إليه.

2-4- إعلان اعتزال إبراهيم قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾[2] فدعوة إبراهيم عليه السّلام أبيه بأن يترك عبادة الأصنام، وحديثه معه بطريقة مؤدّبة ومحترمة وردّ آزر عليه بطريقة قاسية جعل إبراهيم يفقد الأمل منه، ويعتزله في دينه و«زاد على الإعلان باعتزال أصنامهم، الإعلان بأن يدعوا الله احتراسا من أن يحسبوا أنّه نوى مجرد اعتزال عبادة أصنامهم فربّما أقنعوا بإمساكه عنهم، ولذا بيّن لهم أنّه بعكس ذلك يدعو الله الّذي لا يعبدونه»[3]، ونتج عن هذا الإعلان إيهاب الله لإبراهيم عليه السّلام كلّ من إسحاق ولدا ويعقوب حفيدا وكلاهما جعله الله نبيّا.

وخلاصة ما ورد في هذا المبحث وبعد رصد الأفعال الكلامية الواردة في المدوّنة وجدنا أنّ ظاهرة الأفعال الكلامية برزت بوضوح في خطاب سورة مريم، وقد هيمنت عليها الأفعال التّوجيهيّة، وأنّ هذة الأفعال خرجت في معظمها عن معانيها الأصليّة إلى معان مضمرة لا تفهم إلاّ من خلال السّياق الّذي وردت فيه، أي أنّ أغلب الملفوظات كانت تحمل دلالّتين مباشرة وغير مباشرة، ومن بين المعاني الّتي خرجت إليها: الحزن، القدرة والإرادة، الخوف والرّهبة، الإنكار، التّهديد، الوعد والوعيد.....

[1] ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص2684.

[2] سورة مريم، الآية 48.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص122- 123.

المبحث الرابع: الحجاج اللّغوي في سورة مريم

يعدّ الحجاج من أهمّ المباحث الّتي تهتم بها التّداولية إلى جانب الإشاريات وأفعال الكلام..، إذ يركّز أساسًا على الطّرق الّتي يستعملها المتكلّم للتّأثير على المتلقّي وتغيير معتقداته وأفكاره، وإقناعه بالموضوع الّذي يريد إيصاله إليه وذلك بتوظيف مجموعة من الآليات اللّغوية الّتي لا يمكن لأيّ مخاطب يهدف إلى استمالة السّامع وإقناعه والتّأثير فيه الاستغناء عنها، لما تضفيه على النّص أو الخطاب من الاتّساق والانسجام والتّماسك بين الأفكار.

وفي هذا المبحث سنحاول استقراء سورة مريم والكشف عن أهمّ الآليات اللّغوية الّتي تنطوي عليها.

المطلب الأول: الرّوابط الحجاجية

1- الرّابط الحجاجي "الواو":

تعتبر حروف العطف من الرّوابط الحجاجية الّتي تعمل على ترتيب الحجج ووصلها ونسجها في خطاب واحد متكامل، حيث تقوي كلّ منها الأخرى[1]، والّتي تعدّ "الواو" من أهمّها، حيث تعمل على الرّبط بين الحجج ووصفها كما تعمل على تقويّة هذه الحجج وزيادة تماسكها من أجل تحقيق النّتيجة المبتغاة.

وقد كان لهذا الرّابط الحجاجي حضورًا قويًا في المدوّنة حيث تكرّر (117 مرة).

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾[2].

ففي هاتين الآيتين وصف زكريّا عليه السّلام حاله وهو ما دعاه إلى طلب الولد، فوهن العظم وعموم الشّيب

[1] ينظر ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 472.

[2] سورة مريم، الآيتين 4-5.

وخوفه من الموالي ألّا يؤدّون ما يجب عليهم نحو هذا الدّين هي الأسباب الّتي دفعته إلى طلب الولد من الله سبحانه وتعالى[1].

فالرّابط الحجاجي "الواو" في هاتين الآيتين ربط بين مجموعة من الحجج (وهن العظم، عموم الشّيب) واللذان يؤديان إلى نتيجة ضمنية مفادها اقتراب الموت وبعد ذلك الخوف من الورثة ألاّ يؤدّوا ما يجب عليهم نحو هذا الدّين من نشره وتبليغه للنّاس، وبعدها الزّوجة العقيم، فكلّ هذه الحجج المترابطة هي الّتي دفعت زكريّا على دعاء الولد دعاءا خفيًّا مستورًا.

فالحجج هنا جاءت مترابطة متّسقة غير منفصلة وكلّ حجّة تساند سابقتها وتقوّيها وذلك بفضل الرّابط الحجاجي "الواو".

ويمكن التّمثيل لذلك عبر المسار الآتي:

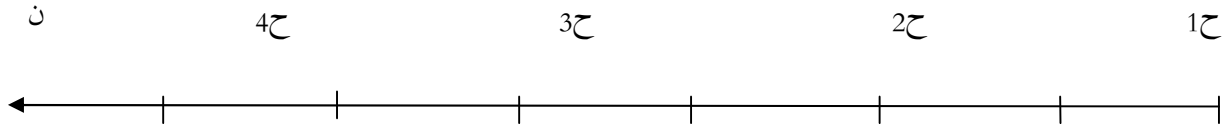

فالرّابط الحجاجي قام بوصل الحجج وترتيبها لتقويّة النّتيجة (ن).

كما نجد هذا الرّابط أيضًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 65-66.

فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾[1]. وعيسى عليه السّلام وصف نفسه بأنّه عبد الله وأنّه سينزل عليه الكتاب وسيجعله نبيًّا، وفي هذا براءة لأمّه، كما أنّ الله سيجعله نافعا للنّاس هاديا لهم إلى سبيل الرّشاد، وأنّه أمره بالصّلاة والزّكاة والبرّ بوالدته وطاعتها والإحسان لها، ولم يجعله مستكبرا على عبادته وشقيّا بعقوق والدته، وأنّه لا أحد قادر على إلحاق الضّرر به[2]، ففي هذه الآيات مجموعة من الحجج المترابطة والمتراصّة الموجّهة إلى قوم مريم، فبعد أن سلّمت أمرها واستسلمت لقضاء الله أخذت ولدها وأتت به قومها الّذين استنكروا ما قامت به ورأوه أمرًا عظيمًا منكرًا، ولكنّها في ظلّ هذا الضّغط وهذا الافتراء اكتفت بالإشارة إلى عيسى الّذي بدأ يتكلّم واصفًا نفسه بجملة من الصفات[3] كانت بمثابة حجج على صدق مريم، والّتي أدّت إلى نتيجة وهي ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾[4] أي أنّ هذه الأوصاف وهذه المناقب هي حجج تثبت نبوّة عيسى عليه السّلام لا كما يدّعي بعض اليهود أنّه ساحر، وكما يدعى النّصارى أنّه ابن الله[5].

وقد أفاد الرّابط الحجاجي "الواو" ربط الحجج بعضها ببعض وترتيبها، حتّى يسهل على السّامع الانتقال بينها وإدراكها تدريجيًا ليصل إلى الحجّة الأقوى الّتي تثبت النتيجة النّهائية، والّتي هي إثبات نبوّة عيسى عليه السّلام وإبطال خرافات ومزاعم اليهود والنّصارى.

2- الرّابط الحجاجي "الفاء":

هي من الرّوابط الحجـاجية الّتي تفيد في ترتيب الحجج وربط النّتـائج بالمقدّمـات، أي الرّبط بين السّبب

[1] سورة مريم، الآيات 30-34.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 48-49.
[3] المرجع نفسه، ص 48.
[4] سورة مريم، الآية 34.
[5] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 50-51.

والنتيجة، فهي بذلك تقوم بحصر المعنى وتحديد الفكرة وهو ما يسمح بإقامة بنية حجاجيّة مركّبة من علاقات حجاجيّة بين الحجج والنتائج تقوم أساسًا على التّتابع، ولذا تعدّ هذه العلاقة الحجاجية – الّتي تقوم على التّتابع- من أقدر العلاقات الّتي تفيد في بناء النّص وتوالده وانسجامه، فهي تقوم بالرّبط بين الأحداث ممّا يجعل الفعل الحجاجي عند المتلقّي مقنعًا، وبالتّالي تسهم في توجيه سلوكه لأنّها ضرب مخصوص من العلاقات التّتابعية يحرص فيه المحاجج على ربط الأحداث والأفكار ربطًا سببيا فيتولّد عن ذلك استدلال مباشر للنّتيجة[1].

بالإضافة إلى ذلك فإنّ "الفاء" تتوفّر على طاقة حجاجية عالية لكونها تدخل ضمن ما يسمّى «بالسّبيل التّفسيري في الحجاج وهي تقنية في الحجاج تثير الانتباه وتستجلب الإصغاء وتيسّر بالتّالي قبول الحجّة القاطعة»[2].

ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧﴾[3]، فبعد انفراد وانعزال مريم ابنة عمران إلى المكان الشّرقي بيت المقدس جعلت بينها وبين أهلها حجابًا، فأرسل الله بعد ذلك الملك إليها والّذي ظهر على هيئة بشر[4].

ففي هاتين الآيتين نجد الرّابط الحجاجي "الفاء" قد ربط بين عدّة متغيّرات (حجج) والّتي يمكن تمثيلها بالسلّم الحجاجي الآتي:

[1] ينظر حازم طارش حازم: التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب الجامعة المستصريّة، 2014 ص119.

[2] إبتسام صغيور: دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي (دراسة تطبيقية في سورة الأعراف)، مقال من الإنترنت، جامعة مسيلة، ص 11 . www.univ-msila.dz

[3] سورة مريم، الآيتين 16-17.

[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 41.

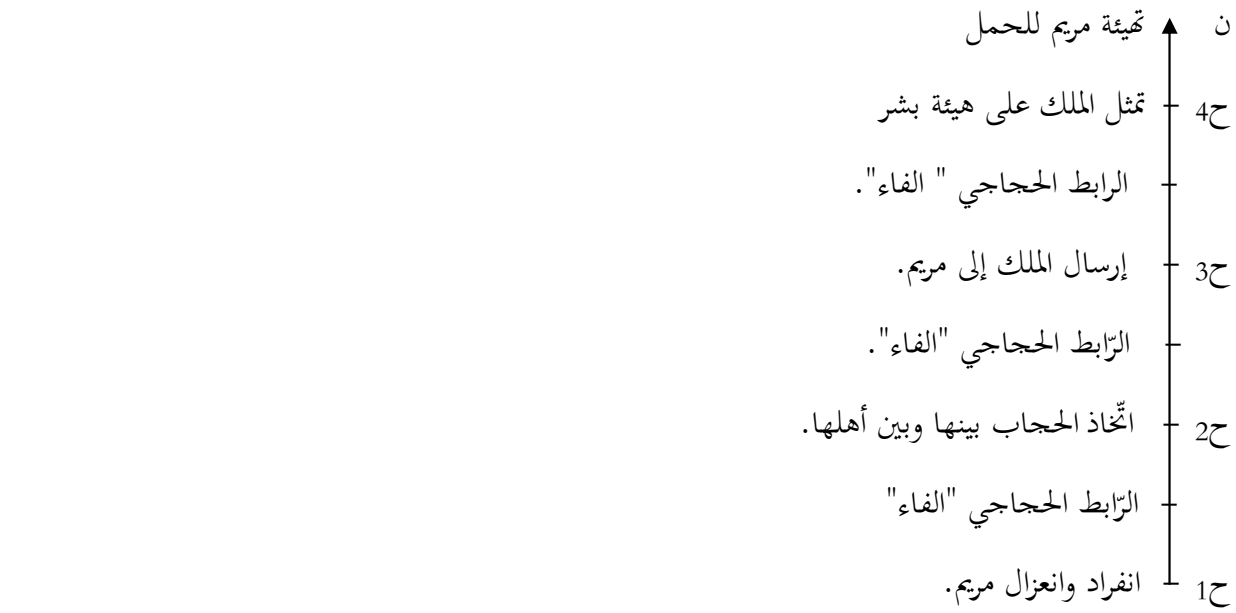

كما نجد تسلسل وترتيب في الحجج بدءًا بانفراد مريم إلى غاية خلق الولد.

نجد أيضًا هذا الرّابط الحجاجي في قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾[1].فبعدما دعا إبراهيم أباه لترك عبادة الأصنام ومقابلة الأب ذلك بالرّفض وكذلك التّهديد بالضّرب قرّر إبراهيم عليه السّلام اعتزال قومه وأصنامهم وعبادة الله وحده «فلمّا اعتزل، واستوحش بذلك الفراق وهبه الله ذرّية يأنس لهم، إذ وهبه إسحاق وابنه، ويعقوب ابن ابنه وجعلهما نبيّين»[2].

فالرّابط الحجاجي في هاتين الآيتين ربط بين متغيّرين حجاجيين أي بين حجّة ونتيجة، فبعد انعزال إبراهيم عن أبيه وقومه وهبه الله إسحاق ويعقوب وجعلهما نبيّين.

ويمكن التّمثيل لهذه العلاقة حجاجيا كما يلي:

[1] سورة مريم، الآيتين 48- 49.

[2] الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 123.

ن ↑ وهبه الله إسحاق ويعقوب
الفاء ← الرّابط الحجاجي
ح ← اعتزال إبراهيم أباه وقومه.

3- الرابط الحجاجي " ثمّ":

تعتبر"ثمّ" من الرّوابط الحجاجيّة الّتي لها دور مهمّ في ترتيب الحجج ورصفها، وقد كان هذا الرّابط قليل الحضور في المدونة حيث تكرر (04) أربع مرّات فقط.

ونجده في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩﴾[1]. فبعد أن أمر الله تعالى رسوله بالعبادة والمصابرة عليها، على ما فيها من مشاق وشدائد، أبان فائدة ذلك وهي أنّها تنجّيهم يوم الحشر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم، وهو يوم لا ريب فيه وهو أمر هيّن على الله، ليعقب ذلك بتهديد الكافرين بحشرهم مع الشّياطين، ثمّ يحضرهم بعد طول الوقوف حول جهنّم من خارجها -جاثين على ركبهم إهانة لهم- ثمّ يأخذ من كلّ جماعة من هوأشدّ تكبّرًا ومجاوزةً للحدود الّتي سنّها الله لخلقه[2]، ويمكن تمثيل ذلك وفق السلّم الحجاجي الآتي:

ن ↑ الحساب يوم القيامة.
ح3 ← أخذ من هم أشدّ تكبّرًا ومجاوزةً.
ثم ← الرابط الحجاجي.
ح2 ← إحضارهم حول جهنّم.
ثم ← الرابط الحجاجي.
ح1 ← حشر الكفّار مع الشّياطين.

[1] سورة مريم، الآيتين 68-69.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 75.

4- الرابط الحجاجي "لكن":

يعدّ من الرّوابط الحجاجية الّتي من مهامها سوق الحجج أو الرّبط بين الحجج المتعارضة، وكذلك هي من الرّوابط المدرجة للحجج القويّة[1].وهو حرف استدراك، ومعنى الاستدراك «أن تنسب حكمًا لاسمها يُخالف المحكوم عليه قبلها، كأنّك لما أخبرت عن الأوّل بخبرٍ، خفت أن يتوهّم من الثّاني مثل ذلك فتداركت بخبره، إن سِلبًا أو إيجابًا، ولذلك لا يكون إلّا بعد كلام ملفوظ به أو مقدّر(...) ولا تقع "لكن" إلاّ بعد متنافيين، بوجه ما (...) قال الزمخشري: لكن للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا. فتستدرك بها النّفي بالإيجاب والإيجاب بالنّفي(...) والتّغاير في المعنى بمنزلته في اللّفظ»[2].

وقد ورد هذا الرّابط الحجاجي مرّة واحدة في المدوّنة في قوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾[3]. فالكفّار جعلوا لله أندادًا وزعموا أنّ له ولدًا، وعَموا في الدّنيا عن إبصار الحق والنّظر إلى حجج الله الّتي أودعها في الكون دالّة على وحدانيته وعظيم قدرته وبديع حكمته وصمّوا عن سماع آيات كتبه وما دعتهم إليه الرّسل مما ينفعهم في دينهم ودنياهم ويهديهم إلى الصّراط المستقيم، أسمعهم يوم قدومهم على ربّهم في الآخرة، وما أبصرهم حينئذ حين لا يجدي السّماع والإبصار شيئًا ويعضّون على أناملهم حسرةً وأسفًا، فيودّون الرجوع إلى الدّنيا ليتداركوا ما فاتهم من صالح العمل، ولكن هيهات هيهات فقد فات الأوان[4]، ففي هذه الآية جاء الرّابط الحجاجي "لكن" بين متناقضين متنافيين ومتعارضين، إذ هناك تعارض بين عبادة الله وإتّباع رسله، وإبصار حججه الّتي أودعها في الكون، وسماع آيات كتبه في الدّنيا، وبين الإعراض عن العبادة والكفر بآيات الله وعدم إتّباع الرّسل.

[1] ينظر أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 30.
[2] ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 509.
[3] سورة مريم، الآية 38.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 52.

فالقسم الأوّل يتضمّن الحجّة المتمثّلة في عبادة الله وإتّباع الصّراط المستقيم، بينما يتضمن القسم الثّاني بعد الرّابط "لكن" الحجّة الثّانية والّتي هي نفي للحجّة الأولى، والمتمثّلة في الكفر والضلالة، وبذلك تخدم الحجّة (ح2) النتيجة المضادّة (دخول جهنّم).

ويمكن توضيح العلاقة الحجاجيّة من خلال الشكل الآتي:

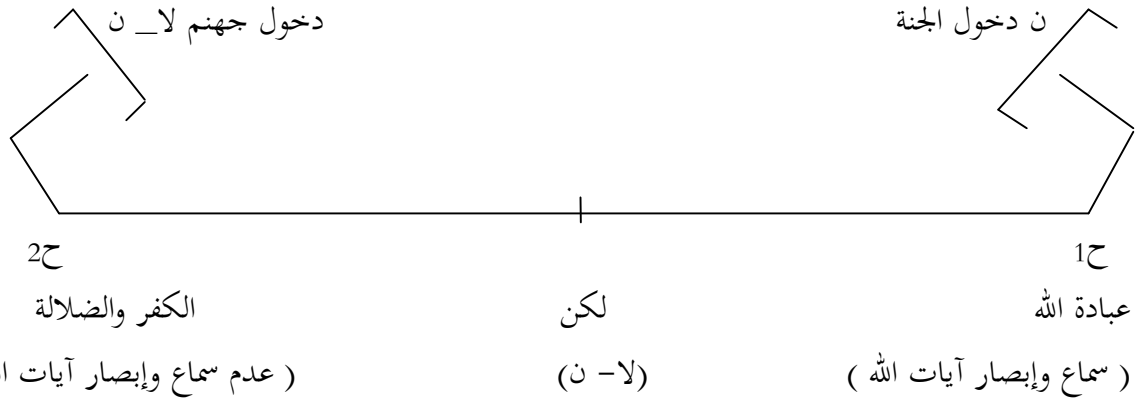

5- الرابط الحجاجي "حتى":

يربط بين حجّتين أو أكثر لهما نفس النّتيجة أو نفس التوجّه الحجاجي، وتكون الحجّة الّتي تلي الرّابط "حتّى" هي الحجّة الأقوى، وغالبا ما تكون "عاطفة" وقد تكون "جارّة" إذ كان بعدها داخلا فيما قبلها، لأنّ المجرور بـ "حتى" حسب جمهور النحاة يحتمل أن يكون داخلا فيما قبلها أو غير داخل فإن قلت: "ضربتُ القومَ حتى زيد" فزيد يجوز أن يكون مضروبا انتهى الضرب به، ويجوز أن يكون غير مضروب انتهى الضرب عنده، ولا تكون "حتّى الجارة" حجاجية إلاّ عندما يكون ما بعدها داخلًا فيما قبلها فإذا قلنا: "صُمنا الأيّام حتّى يوم الفطر" فإنّ "حتّى" ستكون غير حجاجيّة لأنّ يوم الفطر لا يندرج ضمن الأيّام الّتي صمناها[1]، وللمعطوف بـ "حتّى" عند النّحاة العرب شرطان:

- أن يكون (ما بعدها) بعض ما قبلها.

[1] ينظر أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 71-72.

– أن يكون (ما بعدها) غاية لما قبلها، في زيادة أو نقص.

والزّيادة تشمل القوّة والتّعظيم والنّقص يشمل الضّعف والتّحقير[1].

وقد ورد هذا الرّابط الحجاجي مرّة واحدة في المدوّنة في الآية(75) حيث قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥﴾[2]. وهنا الكلام موجّه إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأن يخبر المدّعين أنّهم على الحقّ، أنّ ما افتخروا به من زخرف الدّنيا وزينتها لا يدلّ على حسن الحال في الآخرة فقد جرت سُنّة الله بأنّ من كانوا منهمكين في الضّلالة والآثام. يبسط لهم نعيم الدّنيا، ويطيب عيشهم فيها، ويمتّعهم بأنواع اللّذّات ولا يزال يمهلهم استدراجًا لهم إلى أن يشاهدوا ما وعدوا به رأي العين، إمّا عذابًا في الدّنيا وإمّا مجيء السّاعة وهم مكذّبون، وعن الاستعداد لها مفرّطون، وإذ ذاك يعلمون من هو شرّ الفريقين مكانًا وأنّ الأمر عكس ما كانوا يقدرون وسَيَرَوْنَ أنّهم شرّ مكانًا وأضعف جندًا، وأقلّ ناصرًا من المؤمنين[3].

فالرّابط الحجابي "حتّى" في هذه الآية ربط بين حجّتين تخدمان نفس النّتيجة أو لَهُما نفس التوجه الحجاجي، فالحجّة الأولى المَتمثّلة في استمرار الكفّار على ضلالتهم واعتقادهم أنّهم أحسن مكانًا من الكفّار، أمّا الحجّة الثّانية الّتي جاءت بعد الرّابط الحجاجي "حتّى" والمتمثّلة في مشاهدتهم ما وُعدوا به إمّا في الدّنيا وإمّا بمجيء السّاعة والّتي جاءت أقوى من الأولى في تثبيت النّتيجة وإن كانتا تخدمان النتيجة نفسها ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ أي أنّ الأمر على عكس ما كانوا يعتقدون.

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 72.

[2] سورة مريم، الآية 75.

[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 78.

ن ▲ معرفة أي الفريقين شرّ مكانا.

ح2 ├ العذاب أما في الدنيا أو في الآخرة.

حتى ├ الرابط الحجاجي.

└ الاستمرار في الضلال والاعتقاد أنهم أحسن مكانا.

6- الرابط الحجاجي "إنّ":

غالبًا ما يرتبط الرّابط الحجاجي"إنّ" بغرض التّأكيد والإثبات للشّيء، لذلك يُعتبر من الأدوات الفعّالة حجاجيًا لما يوفّره من الرّبط ومن إثبات وتأكيد للأمور والقضايا والحجج فيكون بذلك أقدر على الإقناع، كون التأكيد على الكلام وإثباته يزيل ما حوله من شك أو ارتياب وإبهام وهو ما يترك أثرًا في نفس المتلقّي ويحثّه على تقبّله والإقتداء به، ولذا فإنّه من الرّوابط الّتي تُسهم في ربط السّبب بالنّتيجة عبر تقوية ودعم النّتيجة وتعليلها ما يحمل المخاطب على القبول والإذعان ومن ثم الاقتناع[1].

وقد ورد هذا الرّبط الحجاجي "إنّ" في عدّة مواضع من المدوّنة(17 مرة) ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾[2]، وفي هذه الآية دعوة من إبراهيم لأبيه بألاّ يُطيع الشّيطان في عبادة هذه الأصنام، فهو الدّاعي إلى عبادتها والموسوس بها، لأنّه عاص مستكبر عمَّا شملته رحمة الله وعمّته نعمته، ولا ريب في أنّ من أطاع العاصي يكون عاصيًا بأنْ تستردّ منه النّعم وتنْزل عليه النّقم[3].

فالحجّة الأولى هي أنّ الشّيطان هو من يدعوا إلى عبادة الأصنام ثمّ تأتي الحجّة الثّانية بعد الرّابط الحجاجي "إنّ" والّتي تتمثل في كون الشّيطان عاص مستكبر عمَّا شملته رحمة الله والّتي أثبتت وأكّدت الحجّة الأولى، وهما يخدمان نفس الّنتيجة المتمثّلة في أنّ التّبعية للّشيطان في الدّنيا يكون ختامها عذاب الرّحمن في الآخرة والّتي سيرد

[1] إبتسام صغيور: دور الرّوابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي، مرجع سابق ، ص 12.

[2] سورة مريم، الآية 44.

[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 56- 57.

ذكرها في الآية الموالية في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾[1]، فالرّابط الحجابي ساهم في التّعليل وربط السّبب (إتّباع الشّيطان) بالنّتيجة (العذاب في الآخرة) ويمكن تمثيل المسار الحجابي وفق السلّم الحجابي الآتي:

ن ▲ عذاب الرّحمن في الآخرة.

ح2 ┤ الشّيطان عاص ومستكبر.

إنّ ┤ الرّابط الحجاجي.

ح ┴ نهي عن عبادة الشّيطان.

كما نجد أيضًا هذا الرّابط الحجاجي في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبۡحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[2].

ومعنى هاتين الآيتين أنّه «لا يليق بحكمة الله وكمال ألوهيته أن يتّخذ الولد لأنّه لو أراده لخلقه بقول "كن" فلا حمل ولا ولادة، ولأنّ الولد إنّما يُرغب فيه ليكون حافظًا لأبيه، يعوله وهو حي، وذكرًا له بعد الموت والله لا يحتاج إلى شيءٍ من ذلك، فالعالم كلّه خاضعٌ له، ولا حاجة له إلى الولد ينفعه وهو حيٌّ أبداً»[3]، لتأتي الآية الموالية حيث يؤكّد عيسى هذا الكلام وهو في المهد، بأنّه ليس ابن الله وإنّما هو عبدٌ من عباده أمره وقومه بعبادته لأنّ ذلك هو الطريق المستقيم الّذي ينجو من يتّبعه، ففي الآية (35) نفي اتّخاذ الولد من الله سبحانه وتعالى ليؤكّد هذا الكلام من قبل عيسى وهو في المهد ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ ومهمّتنا هي العبادة، فالرّابط "إنّ" ساهم في التّعليل وربط السّبب بالنّتيجة الّتي هي عبادة الله الواحد الأحد.

[1] سورة مريم، الآية 45.

[2] سورة مريم، الآيتان 35-36.

[3] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 50.

ويمكن تمثيل المسار الحجاجي وفق السّلم الحجاجي الآتي:

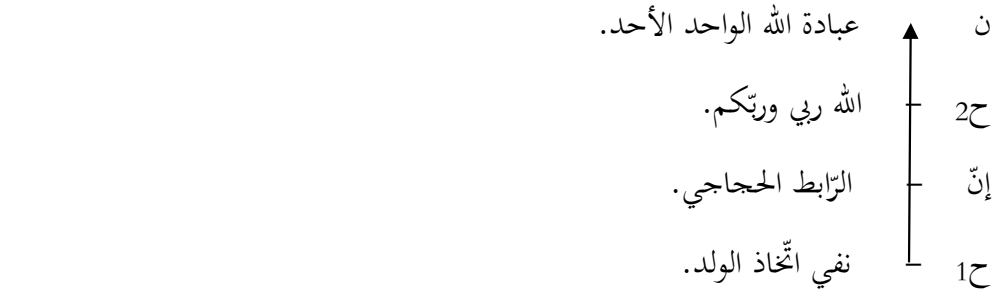

المطلب الثاني: العوامل الحجاجية

تعدّ العوامل الحجاجية «من أهمّ الوسائل اللّغوية الّتي يلجأ إليها المتكلّم في توجيه خطابه نحو حجاجيّة ما، فهي تعمل على تقليص الإمكانات الحجاجيّة للقول الواحد داخل الخطاب، وتزيد من طاقته الحجاجيّة في التّوجّه نحو نتيجة ما، وهي من أهمّ المفاهيم الرّئيسيّة في النّظريّة الحجاجيّة، وذلك لكونها تساعد المتلقّي في الكشف عن معنى النّص»[1]، ومن بين العوامل الحجاجيّة في اللّغة:

1- أدوات النّفي:

يعدّ الحجاجيون النّفي عاملًا حجاجيًّا يحقّق به المتكلّم وظيفة اللّغة الحجاجيّة المتمثّلة في إذعان المخاطَب وتسليمه عبر توجيهه للملفوظ إلى النتيجة (ن) وهو من أدقِّ العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السّلّم الحجاجي حسب " ديكرو" "Ducrot"مؤسّس نظريّة الحجاج في اللّغة[2].

وقد كانت المدوّنة حافلة بأدوات النّفي والّتي سنذكر البعض منها فيما يلي:

[1] عايد جذوع حنون، ثائر عمران شدهان : العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، المجلد 9، العدد4 2018، ص 1.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 13- 14.

1-1- أداة النّفي "لم":

كانت الأكثر حضورًا في المدوّنة ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى على لسان زكريّا: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾[1]. ومعنى هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى الّذي عودّك الإحسان قادرٌ على خلق الولد منكما على هذه الحال، فهو إذا أراد شيئًا فإنّ ذلك لا يتوقف على الأسباب العاديّة له (الحمل والولادة) وأنّ خلق الولد مع كبر سِنّك وعقم زوجتك ليس بأعجب من خلق البشر من العدم، فالقادر على خلق الذّوات والصّفات يخلق الولد من الشّيخ والشّيخة[2].

فالعامل الحجاجي في هذه الآية جاء إثباتًا لنتيجة ضمنيّة مفادها أنّ الله قادر وأنّه إذا أراد شيئًا إنّما يقول له كن فيكون، فالله قادر على خلق الولد من زكريّا وزوجته، لأنّه خلق الإنسان من قبل من العدم .

كما نجد العامل الحجاجي "لم" أيضًا في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾[3]. وفي هذه الآيات يكلّم عيسى عليه السلام قومه واصفًا نفسه بجملة من الصّفات، بأنّه عبد الله، وأنّه سينزل عليه الإنجيل وأنّه نبي وسيكون نافعًا للنّاس هاديًا لهم، وأنّ الله جعله بارًا بوالدته، مطيعًا ومحسنًا لها ونفى بأن يكون جبّارًا مستكبرًا عن عبادة الله ولا شقيًا بعقوق والدته وعدم البرّ بها[4].

[1] سورة مريم، الآية 9.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 36.
[3] سورة مريم، الآيات 30-32.
[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 48-49.

فقد عمل النّفي الحجاجي الّذي ورد في الآية (32) على حصر الإمكانات الحجاجيّة، حيث أبطل صفة التّكبّر والعقوق عن عيسى عليه السلام، وبذلك زاد من الطاقة الحجاجيّة للخطاب والتّوجّه نحو النتيجة الّتي مفادها أنّ عيسى نبي من عند الله.

1-2- أداة النّفي"ما":

ورد عامل النفي الحجاجي "ما" في آيات عدّة من المدوّنة ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾[1]. ومعنى هذا أنّ ذلك الّذي فصّلت نبوّته، وذكرت مناقبه وأوصافه هو عيسى بن مريم، وأنّه ليس ساحر كما تقول اليهود، لا بابن الله كما تقول طائفة من النّصارى[2].

فالعامل الحجاجي نفى أن يكون عيسى ابن الله وأثبت أنّه عيسى ابن مريم وهو عبد من عباد الله.

نجد أيضًا عامل النّفي الحجاجي "ما" في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾[3]. فبعد أن سلّمت مريم أمرها لله واستسلمت لقضائه أخذت ولدها وأتت به قومها تحمله، فلمّا رأوها استنكروا ذلك، ثم زادوا تأكيدًا في توبيخها وتعييرها بأنّها من نسل هارون أخي موسى، وتتأسّى به في الزّهد والعبادة وأنّ والدها لم يكن بالفاجر ولم تكن أمها بغيًا فمن أين جاءت بهذا الولد؟[4].

فعامل النّفي الحجاجي وبالرّغم من أنّ هدفه توبيخ وتعيير لمريم من قومها، إلا أنّه فيه إثبات لنسب مريم الشريف وحجّة لها لا عليها بأنّها أخت نبيّ، وأنّ أباها ليس فاجرًا وأمها ليست ببغيٍّ، وقد زاد هذا العامل الحجاج

[1] سورة مريم، الآيتان 34-35.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 50.
[3] سورة مريم، الآية 28.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 47.

قوّةً وطاقةً حجاجيّة.

1-3- عامل النّفي الحجاجي "لا":

بالإضافة إلى العاملين السّابقين "لم- ما" نجد حضورًا لعامل حجاجيّ آخر وهو "لا" والّذي كان له دور بارز في تقويّة الخطاب وشحنه، ممّا يؤدّي إلى الإقناع والتّأثير.

ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1]. وفي هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه أن ينذر قومه والمشركين يوم يتحسّر الظّالمون على ما فرّطوا في جنب الله حين يفرغ من الحساب، ويذهب أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النّار إلى النّار، فهم في غفلة عن ذلك اليوم وعن حسراته وأهواله وهم لا يصدّقون بالقيامة والبعث ومجازاة الله لهم على سيّء أعمالهم.[2]

فالعامل الحجاجي حصر الإمكانات الحجاجيّة وشحن الخطاب وزاد من قوته وتأثيره، فيوم القيامة قادم لا محالة، والمشركين في غفلة عنه وهم لا يؤمنون به.

نجد أيضًا العامل الحجاجي في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾[3]. وفي هاتين الآيتين يخاطب الله نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم بأن يخبر قومه الّذين يعبدون الأصنام ما كان من خبر إبراهيم خليل الرّحمن الّذين هم من ذريّته ويدّعون أنّهم على ملّته وهو الصّدّيق النّبيّ حيث نهى قومه عن عبادتها وقال لأبيه: ما الّذي حبّب إليك أن تعبد مالا يسمع ثنائك عليه حين عبادتك له، ولا يبصر خشـــوعك وخضـوعك بين يديه، ولا ينفعـك فيدفع

[1] سورة مريم، الآية 39.

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 52-53.

[3] سورة مريم، الآيتين 40-41.

عنك ضرًّا إن استنصرت به[1].

فالعامل الحجاجي نفى السّمع والإبصار والقدرة عن الأصنام، وبالتّالي فهم لا يستحقّون العبادة والإتّباع.

1-4- عامل النّفي الحجاجي "لن":

ورد هذا العامل الحجاجي مرّة واحدة في المدوّنة في الآية (26) في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾[2]. وفي هذه الآية يواصل عيسى عليه السّلام كلامه مع أمّه فور ولادته ويطلب منها ألّا تكلّم وتجيب من يسألها من البشر عن أمرها وأمر ولدها، وكيف ولدته، فأشيري إليهم، أنّي أوجبت على نفسي لله صمتا ألّا أكلّم أحدًا اليوم، فإنّ كلامي يقبل الرّدّ والجدل ولكن يتكلّم عنّي ذلك المولود الّذي لا يقبل كلامه الدّفع والرّدّ[3].

فالعامل الحجاجي "لن" جاء ليحصر الإمكانات الحجاجيّة ويبيّن أنّ مريم لن تكلّم قومها ولن تجادلهم بشأنها وولدها، وهو ما زاد من تأثير الكلام وقوّته وإذعان المتلقّي على تلقّيه والتأثّر به وهو ما يحقّق وظيفة اللّغة الحجاجيّة.

2- أدوات القصر:

تعتبر أدوات القصر من العوامل الحجاجيّة الّتي يستند إليها المحاجج لتوجيه خطابه نحو الوجهة الّتي يريد إقناع مخاطبه بها[4]، وقد ورد في عدّة مواضع من المدوّنة والّتي سيتم ذكر البعض منها فيما يلي:

---

[1] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 55.

[2] سورة مريم، الآية 26.

[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 45.

[4] عايد جدوع حنون، ثائر عمران شدهان: العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مرجع سابق، ص 16.

2-1- القصر بـ (لا.....إلاّ):

ورد هذا النّوع من العوامل الحجاجيّة في موضعين من المدوّنة حيث نجده في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾[1]، فبعدما ذكر الله سبحانه وتعالى أنّه يدخل التّائبين الجنّة، وصف هذه الجنّة بأنّها دار إقامة دائمة، وأنّ المتّقين لا يسمعون فيها فضول القول وما لا طائل منه ولكن يسمعون فيها تسليم الملائكة عليهم ممّا يشعرهم بالأمان والاطمئنان وهما منتهى السّعادة[2].

فالقصر في هذه الآية حصر ما يسمعه أهل الجنّة في تسليم الملائكة عليهم دون فضول القول، وبذلك عمل على تقليص الإمكانات الحجاجيّة بتوجيه المخاطب نحو النّتيجة الّتي سيتم ذكرها في الآية الموالية: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾[3].

كما نجده أيضًا في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾[4] ومضمون هذه الآية أنّه لا يملك العباد الشّفاعة إلّا من اتّخذ عهدًا عند الله بأن أعدّ لها عدّتها فكان في الدّنيا هاديًا مصلحًا، فيكون في الآخرة شافعًا مشفّعًا، فالعبد ينال الشّفاعة في الآخرة على مقدار هدايته في الدّنيا فالشّفاعة لا تكون إلّا للأنبياء والعلمّاء والشهداء على مقدار إتّباعهم[5].

فالعامل الحجاجي قصر الشّفاعة في الآخرة على الأنبياء والعلمّاء والشّهداء فهي تكون على مقدار الهداية في الدّنيا.

---

[1] سورة مريم، الآية 62.

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 68-69.

[3] سورة مريم، الآية 63

[4] سورة مريم، الآية 87.

[5] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 84.

2-2- القصر بـ (إنْ..... إلاّ):

ورد القصر بـ "إنْ..... إلاّ " في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[1]، ومعنى هذه الآية أنّه ما من أحد من النّاس إلا ويدنو من جهنّم ويصير حولها، فقد قضى الله بذلك وجعله أمرًا مفروغًا منه، فالنّاس جميعًا يمرّون على الصّراط ثمّ يصدرون بأعمالهم[2].

فالعامل الحجاجي في هذه الآية جاء بعد إنكار الكفار للبعث بعد الموت وقد جاء ليبدّد هذا الإنكار، أي أنّ يوم القيامة آت لا محالة، وأن كل النّاس يردون حولها ثمّ يعبرون الصّراط حسب أعمالهم في الدّنيا.

كما نجد هذا العامل الحجاجي أيضا في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[3]، وهنا إشارة إلى أنّه ما من أحدٍ من الملائكة والإنس والجنّ إلّا وهو مملوك لله سبحانه وتعالى، ينقاد لحكمه ويلتجئ إليه عند الحاجة، ويخضع له خضوع العبد لسيّده[4].

فالقصر في هذه الآية وجّه الخطاب نحو نتيجة مفادها أنّ كلّ المخلوقات ملك لله تعالى، وكلّهم يحاسبون يوم القيامة على أعمالهم، وقد جاء بعد إنكار الله سبحانه وتعالى اتّخاذ الولد.

2-3- القصر بـ (ما..... إلاّ):

ورد هذا العامل الحجاجي في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[5]، وقد جاءت هذه الآية ردًّا على المشركين الّذين زعموا أنّ الله ترك

[1] سورة مريم، الآية 71.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 75.
[3] سورة مريم، الآية 93.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 87.
[5] سورة مريم، الآية 64.

رسوله وودّعه بعدما تأخّر نزول الوحي فنزول الملائكة بالوحي على الرّسل وقت بعد وقت لا يكون إلّا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته، وتدعوا إليه مصلحة عباده، ويكون الخير لهم في دينهم ودنياهم، فالله سبحانه وتعالى هو المدبّر لهم في جميع الأزمنة مستقبلها وماضيها وحاضرها، فأمْرهم موكولٌ إليه، يتصرّف فيهم على حساب مشيئته وإرادته، فلا ينتقلون من مكانٍ إلى آخر، ولا ينزلون في زمانٍ دون زمان إلّا بإذنه عزّ وجلّ وأنّ الله سبحانه وتعالى لا تطرأ عليه غفلة ولا نسيان حتى يغفل عن الإيحاء للرّسول صلّى الله عليه وسلّم وإنّما كان تأخير الوحي لحكمة لا يعلمها إلا هو جلّ شأنه[1].

فالعامل الحجاجي في هذه الآية حصر نزول الملائكة بالوحيّ على الرّسل وقت بعد وقت لا يكون إلّا بأمر الله سبحانه وتعالى، وبذلك يكون توجّه الخطاب نحو نتيجة ضمنيّة مفادها أنّ كلّ المخلوقات مسيّرة من الله سبحانه وتعالى.

2-4- القصر بـ "إنّما":

ورد هذا العامل الحجاجي ثلاث مراتٍ في المدوّنة فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾[2]، وفي هذه الآية رد من المَلَكِ جبريل عليه السّلام الّذي ظهر في سورة بشر مُسَبِّبًا لمريم الخوف والفزع فقد قال لها مجيبًا ومزيلًا لما حصل عندها من الخوف على نفسها، بأنّه ليس ممن تضن ولا يقع منه ما تتوهّم من البشر، ولكنّه رسول من ربّ العالمين بعثه إليها ليهب لها غلاما طاهرًا مبرأً من العيوب[3].

فالعامل الحجاجي قصر ماهية الشّخص الّذي ظهر أمام مريم في مكان منفرد بأنّه رسول من ربّ العالمين "ملك" بعثه إليها ليهبها غلاما زكيًّا.

[1] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 71.
[2] سورة مريم، الآية 19.
[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 42.

كما جاء أيضًا هذا العامل الحجاجي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾﴾[1]

فبعد تعجيب الله سبحانه وتعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم ممّا حكته الآيات السّابقة عن الكفّار وتماديهم في الغيِّ وانهماكهم في الضّلال والتصميم على الكفر بدون رادع ومدافعتهم للحق، وتنبيه له أنّ ذلك كان بإضلال الشّياطين وإغوائهم لا لقصورٍ في التّبليغ، نهاه أن يطلب تعجيل إهلاكهم وإبادتهم حتّى تُطهَر الأرض من خبائث أعمالهم معلّلا ذلك بأنّ وقت هلاكهم قريب، أي أنّه لم يبق لهم إلّا أيام وأنفاس قليلة[2].

فالعامل الحجاجي حدّد وحصر موعد هلاك الكفّار بأنّه قريب لذلك لا داعي للعجلة وطلب إهلاكهم وإبادتهم، وقد زاد من قوّة الخطاب وشحنه بطاقة حجاجيّة فيها تطيّيب لقلب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتهوين الأمر على نفسه، وتخويف للكفّار وتهديد لهم بأنّ اليوم الّذي ينكرونه قادم لا محالة.

ورد أيضا هذا العامل الحجاجي في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾﴾[3]، وفي هذه الآية ذكر الله سبحانه وتعالى الحكمة من إنزال القرآن بلغة العرب، وهي تسهيل للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حتى يقرأه على النّاس ويُبشِّر به من اتّقى عقاب الله، فأدّى فرائضه واجتنب نواهيه بأنّ له الجنّة، ويُنذر به من عصاه من قريش وهم أهل الملذّات والجدل والهوى، ممّن لا يقبل حقًّا ويحيد عن باطل أي أنّ هذا القرآن نزل بلسان عربي ليسهل على النّاس فهمه[4].

ففي هذه الآية قصر لغة نزول القرآن على اللّغة العربية وهي لغة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليسهل عليه تبليغه للناس ويسهل عليهم أيضا فهمه.

[1] سورة مريم، الآية 84.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 83.
[3] سورة مريم، الآية 97.
[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 89.

نخلص في نهاية هذا المبحث أنّ الرّوابط والعوامل الحجاجيّة تعمل على تماسك النّص القرآني وتساهم في حجاجيته كما تسهّل تلقّي الخطاب وفهمه والاقتناع به، فالرّوابط تعمل على الوصل بين الحجج فيما بينها وكذلك بين الحجج والنّتائج، وتتابعها وبيان ترتيبها أو تعارضها أو تأكيدها أو سببيّتها، كما تساهم في تشكيل البنية الحجاجية اللّغوية للخطاب ، بينما تقوم العوامل الحجاجيّة بتوجيه المخاطب نحو النتيجة الّتي يريدها الله سبحانه وتعالى من مخاطبيه الاقتناع بها، وذلك بتقليصها للإمكانيات الحجاجيّة داخل الخطاب الواحد وحصرها ممّا يزيد من الطّاقة الحجاجيّة للخطاب القرآني، وقد عملت كل من الرّوابط والعوامل الحجاجيّة في تكامل وتناسق وانسجام بما يسّهل تلقّي هذا الخطاب ويمكّن المخاطب من فهمه وبذلك تتحقّق النّتيجة المرجوّة، وهي التأثير والإقناع، ولا يقتصر هذا على المتلقّي في عصره، وإنّما يتجاوزه ليصل إلى المتلقّي عبر مختلف العصور ليثبت لنا روعة الخطاب الربّاني وتقنياته وأساليبه المبهرة في المحاججة.

المبحث الخامس: الاستلزام الحواري في سورة مريم

تعتبر ظاهرة الاستلزام الحواري من أهمّ القضايا التّداولية، وهو آلية من آليات الخطاب، يُكشف من خلاله الجانب الآخر للتّواصل (التّواصل غير المباشر أو الضمني)، فالمتكلّم قد يقول كلاما ويقصد غيره، كما أنّ السّامع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع، وهذا يعني أنّ جمل اللّغة تدلّ في أغلبها على معانٍ صريحة وأخرى ضمنيّة تتحدّد دلالتها داخل السّياق الّذي وردت فيه.

وهو ظاهرة حديثة المعالجة، يرجع الفضل في البحث فيها وابتكارها إلى الفيلسوف "بول غرايس" من خلال المحاضرات الّتي ألقاها في جامعة (هارفرد) سنة 1967م بعنوان "المنطق والتّخاطب" ومحاضرات 1971م بعنوان "الافتراض المسبق والاقتضاء التّخاطبي" حيث تعدّ هذه الأعمال المنبع الّذي انطلقت منه هذه النّظريّة.

وقد انتبه العرب قديمًا إلى هذه الظّاهرة حيث يتجلّى ذلك واضحًا من خلال جملة من المصطلحات الّتي وضعوها والّتي تختلف باختلاف تخصصاتهم (المعنى المقامي، معنى المعنى) والأغراض الّتي تخرج إليها الأساليب.

وسنقوم في هذا المبحث من الدّراسة باستقصاء وتحليل المعاني المستلزمة الّتي تخرج إليها الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية (الطلبيّة) في المدوّنة والّتي تماثل إلى حد بعيد التّصوّر التّداولي لمفهوم الإستلزام الحواري.

المطلب الأول: المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبريّة

قد يلقى الخبر لأغراض أصليّة (فائدة الخبر، لازم الفائدة) وقد يخرج عنها لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام وفيما يلي سنذكر بعض الأغراض التي خرج فيها الخبر عن معناه الأصلي:

1- إظهار الضعف:

وهو ما نجده في قوله تعالى على لسان زكريّا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ

أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾[1]، ففي هذه الآية خرج الخبر عن معناه الأصلي الّذي يمثل قوّة إنجازية حرفية إلى غرض آخر وهو إظهار الضّعف والعجز الّذي يمثّل قوّة إنجازية مستلزمة، وهي حالة تشتدّ معها الحاجة إلى الولد، فوهن العظم وعموم الشّيب حال مقتضية للاستعانة بالولد[2].

2- إظهار القدرة والإرادة:

ويتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾[3]، فالخبر في ملفوظ هذه الآية خرج أيضًا عن معناه الأصلي الّذي يمثل قوّة إنجازية صريحة إلى معنى فرعي يمثل قوّة إنجازية مستلزمة تتمثّل في إظهار قدرة الله سبحانه وتعالى وإبطال تعجّب زكريّا في أن يكون له ولد رغم كبر سنّه وعقم زوجته، فإيجاد الغلام هيّن على الله سبحانه وتعالى، كونه خلق زكريّا قبل هذا الغلام ولم يكن موجودًا، فكما لا عجب من خلق الولد في الأحوال المألوفة، كذلك لا عجب من خلق الولد في الأحوال النادرة إذ هما إيجاد بعد عدم[4].

3- إظهار الخوف والرّهبة:

ويتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[5]، فالخبر في هاتين الآيتين قد خرج عن معناه الأصلي الّذي يمثل قوة إنجازية حرفيّة إلى معنى آخر هو إظهار الخوف والرّهبة والفزع الّذي هو قوّة إنجازية مستلزمة، فمريم لما

[1] سورة مريم، الآية 4.
[2] ينظر الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 63.
[3] سورة مريم، الآية 9.
[4] ينظر الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 72.
[5] سورة مريم، الآيتين 17-18.

رأت الملَك «فزعت منه وقالت إنّي أستجير بالرّحمن منك أن تنال منّي ما حرّم الله عليك إن كنت ذا تقوى له، تتّقي محارمه وتجتنب معاصيه»[1].

4- الإنكار:

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾[2]، فقد خرج الخبر في ملفوظ هذه الآية عن غرضه الأصلي الّذي يمثل القوّة الإنجازيّة الحرفيّة إلى معنى ضمني يُفهم من خلال السّياق والّذي يمثل قوّة إنجازية مستلزمة ألا وهو الإنكار، والّذي يتجلّى من خلال مبادرة الملَك بإجابة مريم، بعدما فزعت وخافت منه إنكاراً «على ما توهّمته من قصده الّذي هو المتبادر من أمثاله في مثل تلك الحالة»[3].

كما نجده أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[4]، فملفوظ هذه الآية يتضمّن بالإضافة إلى القوّة الإنجازيّة الصّريحة(الإخبار) قوّة مستلزمة تتمثّل في الإنكار فالإنسان ينكر الإعادة بعد الفناء والإحياء بعد الممات فالله الّذي خلقه قبل مماته وأنشأه بشرًا سويًّا من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته وإيجاده بعد فنائه[5].

نجد الإنكار كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾[6]، فقد خرج الخبر عن معناه في هذه الآية إلى الإنكار، وعليه يكون (الخبر) قوّة إنجازية صريحة أما الإنكار فيمثّل قوّة إنجازيّة مستلزمة.

[1] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص42.
[2] سورة مريم، الآية 19.
[3] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 81.
[4] سورة مريم، الآية 67.
[5] ينظر الطاهر بن عاشور: تفسيرالتحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 73-74.
[6] سورة مريم، الآية 88.

5- الجزاء والتّعويض:

ونجده في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾﴾[1]، فقد خرج الخبر عن معناه الأصلي الّذي يمثّل قوّة إنجازيّة حرفيّة إلى معنى ضمني يمثّل قوّة إنجازيّة مستلزمة يفهم من خلال السّياق ويتمثّل في الجزاء والتّعويض، «فلمّا اعتزل إبراهيم أباه وقومه لم يضرّه ذلك لا في دّين ولا في دّنيا، بل نفعه إذ أبدله بهم من هم خير منهم ووهبه بنين وحفدة هم آباء الأنبياء من بني إسرائيل»[2]، وفي هذا جزاء وتعويض من الله سبحانه وتعالى.

نجد أيضًا خروج الخبر إلى معنى الجزاء والتعويض في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾﴾[3]، فبعد أن «أفرد الله كلّ رسول من رسله العشرة الّذين سبق ذكرهم بالثّناء عليه بما هو جدير به – أردفه بذكر بعض ما جازاهم به من النّعم، فقد هداهم إلى سبيل الخير واصطفاهم من سائر خلقه»[4]، فالقوة الإنجازيّة الحرفيّة في هذه الآية هي الإخبار أمّا القوّة الإنجازيّة المستلزمة فهي الجزاء والتّعويض، خرج الخبر عن معناه الأصلي ليدلّ على الجزاء أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ﴿٧٦﴾﴾[5]، فالله يزيد الّذين اهتدوا إلى

[1] سورة مريم، الآية 49.
[2] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص58.
[3] سورة مريم، الآية 58.
[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 65.
[5] سورة مريم، الآية 76.

الإيمان هدى بما ينزل عليهم من الآيات، عوضًا عما مُنعوا من زينة الدّنيا كرامة لهم من ربّهم، كما بسط للضّالين فيها لهوانهم عليه والطّاعات الّتي يبقى ثوابها لأهلها خير عند الله جزاءً وخير عاقبة[1].

ونجد أيضًا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[3]، ففي هاته الآيات خرج الخبر عن معناه الأصلي الّذي يمثّل قوّة إنجازيّة حرفيّة إلى معنى ضمني يمثّل قوة إنجازيّة مستلزمة يتمثل في جزاء المؤمنين سواء في الدّنيا بأن يجعل لهم محبّة في قلوب عباده المؤمنين أو في الآخرة بأن يدخلهم جنّة النّعيم.

6- التهديد والوعيد:

من الآيات الّتي خرج فيها الخبر عن معناه الأصلي إلى معنى التّهديد والوعيد نجد ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[4]، وفي هاته الآية يتوعّد الله سبحانه وتعالى الكفّار الّذين كذّبوا وافتروا عليه بأنّ له ولدًا بعذابٍ شديد يوم القيامة[5] فقوله تعالى في هده الآية ليس مجرّد إخبار وإنّما تهديد ووعيد للكفّار على افترائهم وكذبهم.

نجد أيضًا خروج الخبر إلى معنى التّهديد والوعيد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[6]، فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى «حزب السّعداء وهم

[1] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 89.
[2] سورة مريم، الآية 85.
[3] سورة مريم، الآية 96.
[4] سورة مريم، الآية 37.
[5] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 51.
[6] سورة مريم، الآية 59.

الأنبياء ومن تبعهم بإحسان ممّن قاموا بحدود الدّين فاتّبعوا أوامره وأدّوا فرائضهُ وتركوا نواهيه، أردف هذا بذكر من خلفهم ممن أضاعوا واجباته وأقبلوا على شهوات الدّنيا ولذّاتها»[1].

فبالإضافة إلى القوّة الإنجازيّة الصّريحة المتمثّلة في الوصف والإخبار عن طائفة من خلف الأنبياء السّابق ذكرهم تضمّن ملفوظ الآية قوة إنجازيّة مستلزمة هي التّهديد والوعيد بما ينتظر هؤلاء من العذاب يوم القيامة.

نجد أيضًا خروج الخبر عن معناه الأصلي إلى التّهديد في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾[2]، ففي هاته الآيات تهديد ووعيد للمشركين والّذي يمثّل قوّة إنجازيّة مستلزمة بالإضافة إلى القوّة الإنجازيّة الحرفيّة الّتي هي الإخبار.

كما نجد التّهديد أيضًا في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾[3]، فالخبر خرج عن معناه إلى تهديد وتوعّد من ادّعى أن يكون له مال وولد يوم القيامة.

7- المدح والثناء:

وقد خرج الأسلوب الخبري عن معناه الأصلي إلى المدح والثناء في الآيات الّتي ذكر فيها الله سبحانه وتعالى قصص الأنبياء السّابقين ومن تبعهم وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ

[1] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 66-67.
[2] سورة مريم، الآيات 68-70.
[3] سورة مريم، الآيتان 79- 80.

نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾[1]، أي «وكلّمناه من الجانب الأيمن للطّور أي الّذي عن يمين موسى حين أقبل من مدين متوجّهًا إلى مصر وأنبأناه بأنّه رسولنا ثمّ واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون ورحمنا بني إسرائيل بإنزال الكتاب عليهم،وقرّبناه تقريب تشريف وإجلال حيث مناجاته لنا»[2]. وفي هذا مدح وثناء من الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السّلام.

نجد أيضًا الخبر خرج عن معناه الأصلي إلى معنى المدح في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾[3]، و«هذا من الثّناء الجميل والصّفة الحميدة والخلّة السّديدة حيث كان مثابرًا على طاعة ربّه عزّ وجلّ ، آمرًا بها لأهله»[4]، وقد كان «عمله محمودًا فيما كلّفه ربّه غير مقصّر في طاعته»[5]. وعليه فملفوظ الآية يتضمّن قوّتين إنجازيّتين الأولى صريحة تتمثّل في (الإخبار)، والثانية مستلزمة تتمثّل في المدح والثناء.

نفس المعنى خرج إليه الخبر في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[6]. أي «أعلينا قدره ورفعنا ذكره في الملأ»[7]، وفي هذا مدح وثناء من الله سبحانه وتعالى لإدريس عليه السّلام، وعليه فالآية الكريمة تتضمن قوة إنجازية حرفية تتمثل في الإخبار وقوة مستلزمة تتمثل في المدح والثناء.

8- التوبيخ:

ونجده في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾﴾[8]، أي «أولا يتفكّر الإنسان المجترئ على ربّه المنكر لتلك الإعادة بعد الفناء، واللاحياة بعد الممات، أنّ الله خلقه من قبل

[1] سورة مريم، الآية 52.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 61.
[3] سورة مريم، الآية 55.
[4] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 131.
[5] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 63.
[6] سورة مريم، الآية57.
[7] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق ، ص 64.
[8] سورة مريم، الآية 67.

مماته، فأنشأه بشرًا سويًّا من غير شيء فليعتبر بذلك وليعلم أنّ من أنشأه كذلك لا يعجز عن إحياءه بعد مماته، وإيجاده بعد فناءه»[1]، وفي هذا توبيخ من الله للّذين ينكرون البعث وبذلك يكون الإخبار قوّة إنجازيّة حرفيّة أما التّوبيخ فهو قوّة إنجازيّة مستلزمة.

كما نجده أيضًا في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾[2]. فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يوبّخ الكفار الّذين قالوا أنّ لله ولدا، حيث يبيّن أنّ ما جاءوا به من منكر عظيم يدلّ على الجرأة على الله، وأنّه ليغضبه أشدَّ الغضب، ويسخطه أشدَّ السّخط[3]، فهذه الآية تحمل دلالّتين، دلالة حرفيّة وهي الإخبار ودلالة ضمنيّة تتمثّل في التّوبيخ.

9-إظهار الحب والودْ:

ونجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾[4]، فملفوظ هذه الآية الكريمة يتضمّن إلى جانب القوّة الإنجازيّة الصريحة (الإخبار) قوّة إنجازيّة مستلزمة تتمثّل في إظهار الحب والودّ من قبل إبراهيم عليه السّلام لأبيه، فرغم مقابلة هذا الأخير رفق ابنه بالعنف إلاّ أنّ إبراهيم «أجابه بأنّه سيسلم منه ما لم يؤمر فيه بشيء، وأنّه سيطلب له الغفران من ربّ العالمين بأن يوفّقه للهداية وينير بصيرته لقبول الحقّ ويرشده إلى ما فيه الخير»[5]، وهذا نابع من حبِّ إبراهيم لأبيه وودّه له.

10- الالتزام:

فقد خرج الأسلوب الخبري عن معناه الصّريح على معنى الالتزام في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا

[1] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 73-74.
[2] سورة مريم، الآية 89.
[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 86.
[4] سورة مريم، الآية 47.
[5] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 57-58.

بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾[1]، وقد جاءت هذه الآية بعد تأخّر نزول جبريل على الرّسول صلّى الله عليه والسلّم فحزن حزنًا شديدًا، واعتقد أنّ الله تركه، فجاءت لتبيّن إضافةً إلى معناها الصّريح معنى آخر وهو التزام الملائكة بأوامر الله سبحانه وتعالى وهو الّذي يتصرّف فيهم على حسب إرادته ومشيئته ولا اعتراض لأحد عليه[2]، فملفوظ هذه الآية خرج عن معناه الأصلي الّذي هو الإخبار إلى معنى ضمني يتمثّل في الالتزام الّذي يمثّل قوّة إنجازيّة مستلزمة.

المطلب الثاني: المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائية "الطّلبية"

كما تخرج الأساليب الخبريّة عن معناها الأصلي، تخرج أيضًا الأساليب الإنشائيّة عن معانيها الصريحة تدلّ عليها صيغة الجملة ذاتها، إلى معانٍ ضمنيّة لا تدلّ عليها صيغة الجملة وإنّما تتولّد طِبقا للسياقات أو المقامات الّتي تنجز فيها.

وفيما يلي سنحاول الاستقصاء والتعرّف على المعاني الّتي خرجت فيها الأساليب الإنشائية عن معانيها الأصليّة إلى معانٍ فرعيّة مستلزمة.

1- المعاني المستلزمة عن الاستفهام:

يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي الّذي هو «طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصّة»[3] إلى معانٍ فرعيّة مستلزمة تفهم من خلال السّياق الّذي ورد فيه.

ورد في المدوّنة العديد من صيغ الإستفهام الّتي حملت في طيّاتها معاني ضمنيّة (مستلزمة) سنذكرها فيما يلي:

[1] سورة مريم، الآية 64.

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 71.

[3] السيد جعفر السيد باقر الحسني: أساليب المعاني في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، ط1، 2008، ص66.

1-1- التّعجّب:

وهو من الأغراض الّتي خرج فيها الاستفهام عن معناه الأصلي ونجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾[1]، فبالإضافة إلى القوّة الإنجازيّة الصّريحة لملفوظ الآية والمتمثلة الاستفهام، تضمّن هذا الأخير قوّة إنجازيّة مستلزمة مقاميًا تتمثّل في التّعجّب «فأتى الاستفهام مستعمل في التّعجّب»[2]، فزكريّا قد تعجّب حين أجيب فيما سئل وبشّر بالولد[3].

كما نجد التعجّب أيضًا في قوله تعالى على لسان مريم: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾[4]، فمريم هنا تعجّبت من جواب الملَك جبريل حين أخبرها أنّه رسول ربّ العالمين أرسله إليها ليهب لها غلأما طاهرًا مبرّأً من العيوب[5]، وعليه تكون القوّة الإنجازيّة الصّريحة لملفوظ الآية هي الاستفهام أمّا القوّة الإنجازيّة المستلزمة فهي التعجّب.

ونجده أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦﴾[6]، أي «ويقول الكافرُ الّذي لا يصدّق بالبعث بعد الموت متعجّبًا مستبعدًا: أأُخرج حيًّا مرّة أخرى فأبعث بعد الموت والبلى؟»[7].

فالاستفهام يمثل في ملفوظ الآية قوّة إنجازيّة صريحة خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى ضمني هو التّعجّب الّذي يمثل قوّة إنجازيّة مستلزمة.

---

[1] سورة مريم، الآية 8.

[2] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص70.

[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 36.

[4] سورة مريم: الآية20.

[5] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 42.

[6] سورة مريم، الآية 66.

[7] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق ، ص 73.

خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى التعجب أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾[1]، أي «انظر إلى حال هذا الكافر وأعجب من مقالته الشّنيعة وجرأته على الله إذ قال لأعطيّنّ في الآخرة مالًا و ولدا»[2] والمراد في هذه الآية بالّذي كفر بآياتنا هو العاصي بن وائل، و«الاستفهام في "أفرأيت" مستعمل في التّعجيب من كُفر هذا الكافر»[3].

نجد التعجب أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[4]؛ أي «ألم تعلم أنّا سلّطنا الشّياطين على الكافرين ومكّنّاهم من إظلالهم، فهم يغرّونهم بالمعاصي ويهيّجونهم إلى الوقوع فيها»[5] والاستفهام في ملفوظ هذه الآية: «تعجيبي وكيف لم تر ذلك؟»[6]، وبذلك يحمل إلى جانب قوّته الإنجازيّة الحرفيّة قوّة إنجازيّة مستلزمة هي التّعجّب.

1-2- الإنكار:

هو من المعاني الّتي خـــرج إليها الاستفهام عن معناه الأصلي ونجده في قـوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[7]، فبعد أن أشارت مريم إلى عيسى ليسأله قومها عن قصّته ويجيبهم عن توبيخهم إيّاها، أنكروا أن يكلّموا من ليس من شأنه أن يتكلّم، وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته، أي كيف نترقّب منه الجواب أو كيف نلقي عليه السّؤال لأنّ الحالّتين تقتضيان التكلّم[8]، وعليه فالقوة الإنجازيّة الصّريحة

---

[1] سورة مريم، الآية 77.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 780.
[3] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 159.
[4] سورة مريم، الآية 83.
[5] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 83.
[6] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 165.
[7] سورة مريم، الآية 29
[8] ينظر الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 97.

المتمثّلة في الاستفهام خرجت عن معناها الأصلي إلى قوّة إنجازيّة فرعيّة مستلزمة تفهم من سياق الكلام تتمثّل في الإنكار.

كما نجد خروج الاستفهام إلى معنى الإنكار في قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾[1]، أي «إنّ ما ادّعى أنّه سيكون لا يُعلم إلّا بأحد الأمرين: أمّا علم الغيب، وأما عهد من عالم الغيب فبأيّهما هو قد وصل إليه؟»[2]، وحسب الشّيخ ابن عاشور فالاستفهام «في قوله:"اطّلع الغيب" إنكاري وتعجّبي"[3] وعليه فملفوظ هذه الآية وإلى جانب القوّة الإنجازيّة الحرفيّة الّتي يحملها فقد تضمّن قوّتين إنجازيتين مستلزمتين هما: الإنكار والتّعجّب.

كما نجد الإنكار أيضًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[4]، أي «إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضى عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبّها وشتمها وعيبها فإنّك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك، وشتمتك وسببتك»[5]، فملفوظ الآية يحمل قوّتين إنجازيتين حرفيّة تتمثل في الاستفهام وضمنيّة مستلزمة تتمثل في الإنكار.

ونجده أيضًا في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[6]، أي «لا مسامي لله تعالى، أي ليس من يساميه، أي يضاهيه وجودًا»[7]، فالقوّة الإنجازيّة

[1] سورة مريم، الآية 78.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 81.
[3] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 159.
[4] سورة مريم،الآية 46.
[5] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص129.
[6] سورة مريم، الآية 65.
[7] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 143.

الصّريحة في ملفوظ الآية هي الاستفهام أما القوّة الإنجازيّة المستلزمة فهي الإنكار.

نجد أيضًا خروج الاستفهام إلى معنى الإنكار في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾[1]، فالاستفهام في «أإذا ما متُّ لسوف أخرج حيّا "إنكار لتحقيق وقوع البعث»[2]، وعليه تكون القوّة الإنجازيّة الحرفيّة هي الاستفهام أما القوّة الإنجازيّة المستلزمة هي الإنكار.

1-3- التّهديد والوعيد:

وهو من المعاني الّتي خرج إليها الإستفهام عن معناه الأصلي ونجده في قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾﴾[3]، أي «وكم من أمّةٍ من المكذّبين قد أهلكناهم بكفرهم وقد كانوا أحن من هؤلاء أموالًا وأثاثًا ومناظر ذات جمال وزخرف»[4]، وفي هذا «تهديد ووعيد، وكأنّه قيل ليقترب هؤلاء فسيحلُّ بهم مثل ما حلّ بمن قبلهم»[5]، وعليه فملفوظ الآية يحمل قوّتين إنجازيتين الأولى حرفيّة تتمثّل في الاستفهام والثانية مستلزمة تتمثّل في التّهديد والوعيد.

1-4- التّخويف والإنذار:

وهو أيضًا من المعاني الّتي خرج إليها الإستفهام ونجده في قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾[6]، أي «وقد أهلكنا كثيرًا من الأمم قبل هؤلاء المعاندين حين سلكوا في خلافي مسلك هؤلاء، وركبوا المعاصي فهل تحسّ منهم أحدًا فتراه وتعاينه أو تسمع له صوتًا؟ لا، إنّهم

[1] سورة مريم، الآية 66.
[2] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 145.
[3] سورة مريم، الآية 74.
[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 78.
[5] المرجع نفسه، ص 78.
[6] سورة مريم، الآية 98.

بادوا وخلت منهم الدّيّار، وأقفرت المنازل وصاروا إلى دارٍ لا ينفع فيها إلّا صالح العمل، وإن قومك لصائرون إلى دار لا ينفع فيها إلا صالح العمل، وإنّ قومك لصائرون إلى مثل ما صاروا إليه، إن لم يعجّلوا التّوبة قبل الهلاك"[1] وقوله "وكم أهلكنا" تخويف لهم وإنذار»[2]، فالاستفهام يمثّل في ملفوظ الآية قوّة إنجازيّة صّريحة أما التّخويف والإنذار فهو يمثل قوّة إنجازيّة مستلزمة.

1-5- التّقرير:

خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التّقرير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾[3]، أي «وإذا تُتلى على المشركين آياتنا واضحات الدّلالة قالوا مفتخرين على المؤمنين، ومحتجّين على صحّة ما هم عليه من الباطل أيّ الفريقين منّا ومنكم أوسع عيشًا وأنعم مالًا وأفضل مسكنًا، وأحسن مجلسًا وأجمع عددًا؟ أنحن أم أنتم؟ فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل؟[4] و"الاستفهام في قوله "أيّ الفريقين" تقريري»[5]، وعليه فإنّه إلى جانب القوّة الإنجازيّة الحرفيّة للاستفهام الوارد في الآية، فقد تضمّن قوّة إنجازيّة مستلزمة هي التّقرير.

2- المعاني المستلزمة عن الأمر:

يخرج الأمر عن معناه الأصلي الّذي هو «طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام»[6]، إلى معانٍ فرعيّة مستلزمة، وقد جاءت العديد من صيغ الأمر في المدوّنة بعضها يمثّل أمرًا حقيقيًّا

[1] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 89.

[2] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة، عادل أحمد عيد الموجود، عليل محمد عوض، مكتبة العبيكان، ط2، 1998، ج 4، ص 62.

[3] سورة مريم، الآية 73.

[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 77.

[5] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 154.

[6] السيد جعفر السيد الحسيني: أساليب المعاني في القرآن، مرجع سابق، ص51.

والبعض الآخر يحمل معانٍ ضمنيّة تفهم من خلال السّياق الّذي وردت فيه.

وسنذكر فيما يأتي المعاني المستلزمة الّتي خرج فيها الأمر عن معناه الأصلي والمتمثلة فيما يلي:

2-1 الدعاء:

وهو من الأغراض الّتي خرج إليها الأمر ونجده في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝﴾[1]، فبعد ما وصف زكريّا حالة الضّعف الّتي وصلت إليها (كبر سنّه) وعقم زوجته وخوفه من الورثة دعا ربّه أن يعطيه من واسع فضله وعظيم جوده[2]، فصيغة الأمر في هذه الآية لا يراد بها معناها الأصلي وإنّما جاءت بمعنى الدّعاء أي الأمر الصّادر من الأدنى (زكريّا) إلى الأعلى، وعليه فإنّ ملفوظ الآية يحمل بالإضافة إلى دلالته الأصلية الّتي تُمثّل قوّة إنجازيّة صريحة (الأمر) دلالة إنجازيّة مستلزمة تتمثّل في الدّعاء.

خرج الأمر عن معناه الأصلي إلى الدّعاء أيضًا في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾[3]، أي اجعله برًّا تقيًّا، مرضيًّا، عندك وعند خلقك، تحبّه ويحبّونه لدينه وخُلقه ومحاسن سيمه[4]، فصيغة الأمر في هذه الآية تمثل قوّة إنجازيّة حرفيّة أمّا الدّعاء فهو قوّة إنجازيّة مستلزمة.

ورد أيضًا الأمر بمعنى الدّعاء في قوله تعالى على لسان زكريّا ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ

[1] سورة مريم، الآية5.

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي : تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 35.

[3] سورة مريم، الأية 6.

[4] أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 35.

ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾[1]، ففعل الأمر الوارد في هذه الآية "اجعل لي" أفاد معنى الدّعاء أي الأمر الصّادر من الأدنى (زكريّا) إلى الأعلى (الله سبحانه وتعالى)، حيث دعا زكريّا ربّه أن يجعل له علامة تدلّه على حمل امرأته[2] لتستقرّ نفسه ويطمئنّ قلبه بما وعده الله .

2- 2 الإرشاد والنصح:

وهو من الأغراض الّتي خرج إليها الأمر عن معناه الأصلي ونجده في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾[3]، فزكريّا وبعد إعلام الله له بالأمارة الّتي طلبها خرج على قومه وأومأ إليهم بأن يسبّحوا الله وينزهوه عن الشريك والولد وعن كلّ نقص طرفي النّهار[4]، نجد الأمر خرج إلى معنى الإرشاد في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾[5]. أي «وممّا أمر به عيسى قومه وهو في مهده أنْ أخبرهم أنّ الله ربّه وربّهم وأمرهم بعبادته فقال: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾، أي هذا الّذي جئتكم به من الله صراط مستقيم، أي قويم من اتّبعه، رشد وهدى ومن خالفه ظلّ وغوى»[6]، فعيسى ابن مريم في هذه الآية ينصح قومه ويرشدهم إلى أن يعبدوا الله تعالى، وبذلك يكون الأمر قوّة إنجازيّة حرفيّة" أما الإرشاد والنصح فهو قوّة إنجازيّة مستلزمة .

[1] سورة مريم، الأية 10

[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 37.

[3] سورة مريم، الآية 11.

[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص37-38.

[5] سورة مريم، الآية 36

[6] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 126.

كما جاء الأمر بمعنى الإرشاد في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1] أي «وأنذر النّاس جميعًا يوم يتحسّر الظّالمون على ما فرّطوا في جنب الله حين فرغ من الحساب، وذهب أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النّار إلى النّار، ونودي كل من الفريقين أنْ لا خروج من هنا بعد الموت، ولا موت بعد اليوم»[2]. فالأمر في ملفوظ هذه الآية يفيد الإرشاد أي أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يقصد أن ينصح كفّار مكّة والنّاس أجمعين ويرشدهم إلى أن يتوبوا إلى الله، وعليه فهو يحمل حمولتين دلاليتين، الأولى صريحة تتمثل في الأمر والثّانية ضمنيّة مستلزمة تتمثّل في الإرشاد.

ورد أيضًا الأمر بمعنى النّصح والإرشاد في قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾[3] أي «وإن كنت من صلبك وتراني أصغر منك لأنّي ولدك، فاعلم أنّي قد اطّلعتُ من العلم من الله ما لم تعلمه أنت ولا اطّلعت عليه ولا جاءك، فاتّبعني أهدك صراطًا سويًا" أي طريقًا مستقيمًا موصلًا إلى نيل المطلوب»[4]، فالأمر في هذه الآية أفاد النّصح والإرشاد، فإبراهيم عليه السّلام يريد أن ينصح أباه ويرشده إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويبتعد عن عبادة الأصنام «الّتي لا تسمع الأصوات ولا تنظر إلى الأشياء، وتعجز عن جلب المنافع ودفع المضار»[5]، فالقوّة الإنجازيّة الحرفيّة في هذه الآية هي الأمر أما القوّة الإنجازيّة المستلزمة فهي النّصح والإرشاد.

[1] سورة مريم، الآية 39.
[2] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 52-53.
[3] سورة مريم، الآية 43.
[4] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص129.
[5] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 56.

2– 3 الامتنان والإكرام:

ونجد خروج الأمر إلى معنى الامتنان في قوله تعالى:﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾[1]؛ أي «فكلي من ذلك الرّطب واشربي من عصيره وطيبي نفسًا، وابعدي عنك الأحزان ... فإن رأيت أحدًا من بني آدم يسألك عن أمرك وأمر ولدك وكيف ولدته فأشيري إليهم أنّي أوجبت على نفسي لله صمتا ألّا أكلّم أحدًا اليوم»[2].

فصيغ الأمر ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ لا يراد بها معناها الأصلي وإنّما جاءت بمعنى الامتنان أي أنّ الله امتنّ على مريم بالرّطب جنيًّا، والماء والفرح، والمعنى كلي من الرّطب الشّهيّ واشربي من الماء العذب وطيبي نفسًا بهذا المولود ولا تحزني، وعليه فملفوظ الآية يحمل قوّة إنجازيّة صريحة تتمثّل في الأمر وقوّة إنجازيّة مستلزمة تتمثّل في الامتنان.

2–4 الإخبار:

وقد جاء الأمر بمعنى الإخبار في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾[3]. فالله سبحانه وتعالى أمر جبريل أن يُخبر مريم أنّه سيمنحها غلامًا طاهرًا من الذّنوب، وهو من يتسبّب في هذا المنح، وقد نسب "الهبة" إلى نفسه من قبل أنّها جرت على يده بأن نفخ في جيبها بأمر الله»[4]، فالأمر خرج عن معناه الأصلي الّذي يمثل قوّة إنجازيّة حرفيّة إلى المعنى المجازي الّذي هو الإخبار .

[1] سورة مريم، الآية 26.
[2] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص45.
[3] سورة مريم، الآية 19.
[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص42.

2-5- القدرة والإرادة:

ويتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾[1]؛ أي «قال ربُّك الّذي عوّدك الإحسان، خلقُ الولد منكما على هذه الحال هيّن، فإنّي إذا أردت شيئًا كان دون توقف على الأسباب العاديّة الّتي رسمتها للحمل والولادة»[2]، فالأمر في ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ لا يراد به معناه الأصلي: وإنّما جاء بالمعنى المجازي الّذي يراد منه إظهار القُدرة والإرادة فهذا الخلق سهل على الله سبحانه وتعالى وإن كان في العادة مستحيلا، فالله سبحانه وتعالى يذكر لزكريّا الّذي تعجّب حين أجيب عمّا سأل وُبشّر بالولد أنّ «ليس خلق الولد الّذي وعدتك أن أهبه لك مع كبر سنّك وعقم زوجتك بأعجب من خلق البشر جملة "من العدم"»[3].

نجد أيضًا أنّ الأمر خرج إلى معنى إظهار القدرة والإدارة في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾[4]، أي «فقال لها الملكُ مجيبًا لها عمّا سألت: إنّ الله قد قال إنّه سيوجد منكِ غلامًا وإن لم يكن لك بعل ولا توجد منك فاحشة فإنّه على ما يشاء قادر ولهذا قال: "ولنجعله آية للنّاس" أي دلالة وعلامة للنّاس على قدرة بارئهم وخالقهم الّذي نوّع في خلقهم، فخلق أباهم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حوّاء من ذكر بلا أنثى وخلق بقيّة الذريّة من ذكر وأنثى إلّا عيسى فإنّه أوجده من أنثى بلا ذكر»[5]، وقوله:«"وكان أمرًا مقضيًا" أي قد قضاه الله في سابق علمه، ومضى به حكمه، فلا يغيّر

[1] سورة مريم، الآية9.
[2] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص36.
[3] المرجع نفسه، ص 56.
[4] سورة مريم، الآية 21.
[5] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 121.

ويبدّل»[1]، فالأمر في "عليّ هيّن" و"لنجعله آية" جاء لإظهار قدرة الله تعالى، فهو قد أمر بمجيء الغلام من مريم وإن لم يكن هناك زوج، وسيكون هذا الغلام دلالة للنّاس على قدرة الله العجيبة، ورحمة لهم ببعثه نبيًّا يهتدون بإرشاده فملفوظ الآية إذن يحمل دلالّتين صريحة هي الأمر، ومستلزمة هي إظهار القدرة والإدارة.

2-6 التكوين:

وهو من المعاني الّتي خرج إليها الأمر ونجده في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[2]، أي «لا يليق بحكمة الله وكمال ألوهيته أن يتّخذ الولد، لأنّه لو أراد لخلقه بقوله: "كن" فلا حمل ولا ولادة»[3]، فصيغة الأمر في هذه الآية "كن فيكون" لا يُراد به معناه الأصلي وإنّما جاء بمعنى التكوين أي تكوين الإنسان وهو عيسى ابن مريم، فالله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا فإنّما يأمر به فيصير كما يشاء، وعليه فإلى جانب القوّة الإنجازيّة الحرفيّة "الأمر" في هذه الآية، فقد تضمّن قوّة إنجازيّة مستلزمة تتمثّل في "التّكوين".

2-7 التعجب:

ونجد أنّ الأمر خرج إلى معنى التعجّب في قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾[4]؛ أي «ما أسمعهم هؤلاء الكفّار يوم قدومهم على ربّهم في الآخرة، وما أبصرهم حينئذ، حين لا يجدي السماع والإبصار»[5]، فصيغتا الأمر "أسمع" و"أبصر" في هاته الآية بمعنى "التّعجّب" لأنّ الله

[1] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق ،ص 43.
[2] سورة مريم، الآية 35.
[3] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 50.
[4] سورة مريم، الآية 38.
[5] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 50.

تعالى قد عجّب نبيّه صلّى الله عليه وسلّم من «قوة سمع الكفّار وحدّة أبصارهم يوم القيامة وقد كانوا على الصّدّ من هذا في الدّنيا»[1] فالأمر إذن في ملفوظ الآية يمثل قوّة إنجازيّة حرفيّة أما "التّعجّب" فيمثل قوّة إنجازيّة مستلزمة.

2-8 التّهديد:

وقد جاء الأمر بمعنى التّهديد في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[2]، أي «إن كنت لا تريد عبادة آلهتي ولا ترضاها فانته عن سبّها وشتمها وعيبها، فإنّك إن لم تنته من ذلك اقتصصت منك»[3]، فالأمر في ملفوظ الآية خرج إلى معنى التّهديد لأنّ (آزر) والد إبراهيم يهدّد ابنه بالرّجم بالحجارة إن لم يتوقف عن سبّ الآلهة وشتمها، وعليه يكون "الأمر" قوّة إنجازيّة صريحة في هذه الآية أما التّهديد فهو قوّة إنجازيّة مستلزمة.

3- المعاني المستلزمة عند النداء:

يخرج النّداء عن معناه الأصلي الّذي هو «طلب إقبال المدعو على الدّاعي»[4] إلى معانٍ مستلزمة وأغراض فرعيّة تفهم من خلال السّياق.

ومن المعاني الّتي خرج إليها النّداء الوارد في المدوّنة نذكر ما يلي:

[1] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص50.
[2] سورة مريم، الآية 46.
[3] ابن كثير: تفسير القران الكريم، مرجع سابق، ص 129.
[4] السيد جعفر السيد ياقر الحسيني: اساليب المعاني في القران، مرجع سابق، ص122.

3-1- الدعاء:

ونجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾[1]، فزكريّا يخاطب ربّه في هذه الآية والأصل في الكلام: "يا ربّي" وقد جاء في صورة مناجاة أي الدّعاء بصوت غير مسموع، وقد جاء خاليا من الأداة "الياء" ليناسب مقام التّضرّع والدّعاء.لأنّه كثيرًا ما يستخدم نداء المولى عزّ وجل في القرآن الكريم بحذف الأداة، ولحياء زكريّا وتأدّبه مع الله لم يبدأ بسؤال الولد وإنّما مهّد لطلبه بذكر الأسباب الّتي دفعته لذلك[2]، فالنداء إذن في هذه الآية يمثل قوّة إنجازيّة حرفيّة أما "الدّعاء" فهو قوّة إنجازيّة مستلزمة.

3-2- الإرشاد:

ونجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠﴾[3] فزكريّا بعدما بشّره الله سبحانه وتعالى بالولد تاقت نفسه إلى وجود المبشّر به، فدعا ربّه أن يجعل له علامة تدلّه على تحقّق السّؤال، والّتي كانت بإجابة ربّانية وهي عدم القدرة على تكليم النّاس ثلاث أيّام[4]، وعليه يكون النّداء في ملفوظ الآية قوّة إنجازيّة صريحة أما الإرشاد فهو قوّة إنجازيّة مستلزمة.

3-3- الوعد "البشارة":

فقد خرج النّداء إلى معنى الوعد في قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ

---

[1] سورة مريم، الآية 4.

[2] ينظر عبد الرحيم حمدان حمدان: تجليات أسلوب النداء في سورة مريم عليها السلام مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد 45، 2018، ص 136-137.

[3] سورة مريم، الآية 10.

[4] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 37.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[1]، ففي هذه الآية أخبر الله سبحانه وتعالى زكريّا أنّه أجاب دعاءه وبشّره بيحي الّذي تولّى تسميته بنفسه[2]، «والتّبشير: الوعد بالعطاء»[3]، وعليه فإلى جانب القوّة الإنجازيّة الحرفيّة الّتي يحملها ملفوظ الآية "النّداء" فهو يحمل قوّة إنجازيّة مستلزمة تتمثّل في "الوعد".

3-4- التّعجّب:

ونجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾[4]، و«هذا تعجّب من زكريّا عليه السّلام حين أجيب إلى ما سأل وبُشِّر بالولد، ففرح فرحًا شديدًا وسأل عن كيفيّة ما يولد له، والوجه الّذي يأتيه منه الولد، مع أنّ امرأته كانت عاقرًا، ولم تلد من أوّل عمرها مع كبرها، ومع أنّه قد كَبُر وعتا أي عسا عظمه ونحل»[5]، ومن ثمّ يكون "النّداء" هو القوّة الإنجازيّة الحرفيّة، أمّا "التّعجّب" فهو القوّة الإنجازيّة المستلزمة.

3-5- الإلزام والإيجاب:

وقد خرج النّداء عن معناه الأصلي إلى معنى الإلزام والإيجاب في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾[6]، أي «تعلّم الكتاب بقوّة أي بجدٍّ وحرصٍ واجتهاد، "وآتيناه الحكم صبيا" أي الفهم والعلم والجدّ والعزم والإقبال على الخير والإكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث»[7] فقد

---

[1] سورة مريم، الآية 7.
[2] ينظر: أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 35.
[3] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 69.
[4] سورة مريم، الآية 8.
[5] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 118.
[6] سورة مريم، الآية 12.
[7] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 118-119.

خرج "النّداء" في ملفوظ هذه الآية إلى معنى "الإلزام والإيجاب" والأخذ بتعاليم الكتاب (التّوراة) بجدّ واجتهاد، والحثّ على العلم بالكتاب والحفظ له والعمل به والالتزام بلوازمه، فالنداء إذن يمثل القوّة الإنجازيّة الصّريحة أمّا الإلزام والإيجاب فيمثّل القوّة الإنجازيّة المستلزمة.

3-6- التّحسّر والتّوجع والخوف:

ونجده في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[1]، فبعد استسلام مريم لقضاء الله ونفخ جبريل في جيب ذرعها (الفتحة الّتي من الأمام في القميص) حملت واتّخذت ذلك المكان البعيد حياءً من قومها فلمّا جاءها وجع الولادة وألم الطّلق استندت إلى جذع النّخلة للتّشبث به، وتسهيل الولادة، تمنّت لو أنّها ماتت قبل هذا الوقت الّذي لقيت فيه ما لقيت حياءً من النّاس وخوفهم من لائمتِهم[2]، فملفوظ الآية يحمل دلالّتين: صريحة تتمثّل في النّداء ومستلزمة تتمثّل في التّحسر والجزع والخوف.

3-7- التّصبّر:

ونجده في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾[3]، أي «فنادها عيسى عليه السّلام كما قال الحسن البصري وسعيد بن جبير (وقد أنطقه الله حين وضعته أمّه تطييبًا لقلبها، وإزالة للوحشة عنها، حتّى تشاهد باذئ ذي بدء علوّ شأن ذلك المولود الّذي بشّرها به جبريل عليه السّلام) ألّا تحزني فقد جعل ربّك المحسن إليك تحتك غلاما رفيع الشّأن سامي القدر ذا سخاء في مروءة»[4]، فملفوظ هذه الآية

[1] سورة مريم، الآية 23.
[2] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 44.
[3] سورة مريم، الآية 24.
[4] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 45.

يحمل دلالّتين: الأولى صريحة تتمثّل في النّداء والثانية تتمثّل في التّصبّر وجبر الخاطر تطيّيبًا لقلب مريم وتخفيفًا لما تعانيه من التّحسّر.

3-8- التّعجّب والاستنكار:

وقد خرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى التّعجب والاستنكار في قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾[1]، أي «أخذت ولدها وأتت به قومها تحمله، فلمّا رأوها كذلك أعظموا ما رأوا واستنكروا وقالوا يا مريم لقد جئتِ أمرًا عظيمًا منكرًا»[2]، فعودة مريم إلى قومها وهي تحمل طفلًا وليدًا جعلهم يستنكرون ويتعجّبون من هاته الفعلة الغريبة العجيبة، فهده الآية الكريمة تضمنت قوّة انجازيّة حرفيّة، هي النّداء وقوتين إنجازيتين مستلزمتين هما: التعجّب والاستنكار.

3-9- التوبيخ والتهكم:

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[3]، أي «يا شبيهة هارون في العبادة أنت من بيت طاهر ومعروف بالصّلاح والعبادة والزّهادة فكيف صدر هذا منك؟»[4] ففي هذه الآية توبيخ وتهكّم وسخرية من مريم، فبين تلك النّسبة الّتي تنتسب إليها، وذلك الفعل الّذي قامت به حسب رأيهم مفارقة عجيبة، وبذلك فالنداء خرج معناه الأصلي إلى غرضين آخرين هما التّوبيخ والتهكّم "السّخرية".

---

[1] سورة مريم، الآية 27.

[2] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 47.

[3] سورة مريم، الآية 28.

[4] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 124.

3-10- التودّد والتّلطف والاستعطاف:

وقد خرج النداء عن معناه الأصلي في معاني جديدة هي التّلطف والتودّد والاستعطاف، والّتي «تتجلّى في نداء الأنبياء أقوامهم لإظهار مدى حنوّهم عليهم واستمالتهم لهم وتحبيبهم فيما يدعون إليه، ونداء إبراهيم لأبيه صورة واضحة في ذلك أتمّ الوضوح»[1].

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾[2]، فمضمون هذا النّداء هو «رغبة إبراهيم عليه السّلام في استمالة قلب أبيه ليصبح مؤمنًا ويترك عبادة الشّرك والأوثان انطلاقًا من صلة القرابة والرّحم بينهما»[3]، مستعملًا النّداء التودّدي بقوله : "يا أبت" في كلّ مّرة يخاطب فيها أباه، وعليه فالنداء في هاته الآيات يمثّل قوّة إنجازيّة حرفيّة، أما التلطّف والتودّد والاستعطاف فهي معاني مستلزمة عنه.

3-11- التّهديد:

ونجده في قوله تعـالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾﴾[4]، فقد قابل الأب رفق الابن وتودّده بالتّهديد والوعيد إن لم يتوقّف عن النّهي عن عبادتها والدّعوة إلى

[1] عبد الرحيم حمدان حمدان: تجليات أسلوب النداء في سورة مريم عليها السلام، مرجع سابق، ص 141.
[2] سورة مريم، الآيات 41-45.
[3] عبد الرحيم حمدان حمدان: تجليات أسلوب النداء في سورة مريم عليها السلام، مرجع سابق، ص 141.
[4] سورة مريم، الآية 46.

ما يدعوه إليه[1]، وبذلك يكون ملفوظ هذه الآية قد خرج عن معناه الحقيقي الّذي هو النّداء والّذي يمثّل قوّة إنجازيّة صريحة إلى التّهديد والوعيد الّذي يمثّل قوّة إنجازيّة مستلزمة.

3-12- التشريف والتكريم:

ونجده في قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾[2]؛ أي واتل أيّها الرّسول على قومك ما اتّصف به عليه السّلام من صفات الجلال والكمال فقد كلّمناه وأنبأناه بأنّه رسولنا وقّربناه تقريب تشريف وإجلال حين مناجاته لنا[3]، فالنّداء إذن في هذه الآية يمثّل قوّة إنجازيّة حرفيّة أما التّشريف والتكريم فيمثّل قوّة إنجازيّة مستلزمة.

4- المعاني المستلزمة عن النّهي:

خرج النّهي أيضًا وكباقي الأساليب الإنشائيّة الأخرى عن معناه الأصلي الّذي هو «طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام»[4] إلى معاني مستلزمة فرعيّة سنوردها فيما يلي:

4-1- الإرشاد:

وهو من المعاني الّتي خرج إليها النّهي عن معناه الحقيقي ونجده في قوله تعالى على لسان زكريّا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠﴾[5]، فزكريّا بعد أن بشّره الله سبحانه وتعالى بأنّه أجاب دعاءه دعاه مرّة ثانية أن يدلّه ويرشده إلى علامةٍ تبيّن له تحقق البشارة، وعليه يكون النّهي في ملفوظ هذه الآية هو القوّة الإنجازيّة الصّريحة أما الإرشاد فهو القوّة الإنجازيّة المستلزمة.

---

[1] ينظر أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 97.

[2] سورة مريم، الآيتان 51-52.

[3] ينظر أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 61.

[4] السيد جعفر باقر الحسيني، أساليب المعاني في القرآن، مرجع سابق، ص 108.

[5] سورة مريم، الآية 10.

4-2- التّصبّر والتّسلية:

ونجده في قوله تعالى ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾[1] فالله سبحانه وتعالى أنطق عيسى عليه السّلام بعدما وضعته أمّه مباشرةً تطييبًا لقلبها وتخفيفًا لدرجة الحزن والخوف الّتي وصلت إليها لدرجة تمنّيها الموت، فالآية الكريمة تحمل دلالّتين، حرفيّة تتمثّل في النّهي ومستلزمة تتمثّل في التّصبّر والتّسلية.

4-3- التّحذير:

وهو من المعاني الّتي خرج إليها النّهي عن معناه الحقيقي، ونجده في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام وهو يخاطب أباه متودّدًا مستعطفًا ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾[2] أي «لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنّه هو الدّاعي إلى ذلك والرّاضي به»[3]، وفي هذا تحذير من إبراهيم عليه السّلام لأبيه من أجل إبعاده عن عبادة الأصنام إلى عبادة ربّ العباد، فملفوظ الآية تضمّن قوتين إنجازيتين الأولى صريحة هي النّهي والثانية ضمنيّة وهي التّحذير

4-4- التسلية:

ونجد أنّ النّهي خرج إلى معنى التّسلية في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾[4] أي «لا تعجل يا محمّد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم، إنّما نؤخرهم لأجلٍ معدود ومضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله»[5]، وفي هذا «تسلية للرّسول صلّى الله عليه وسلّم وتهوين للأمر على نفسه»[6]، وعليه

[1] سورة مريم، الآية 24.
[2] سورة مريم، الآية 44.
[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص 129.
[4] سورة مريم، الآية 84.
[5] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص 142.
[6] أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مرجع سابق، ص 85.

يكون النّهي في هذه الآية هو القوّة الإنجازيّة الحرفيّة أما التّسلية فهي القوّة الإنجازيّة المستلزمة.

وخلاصة ما ورد في هذا الجزء من البحث وبعد رصد واستقصاء الأساليب الخبريّة والإنشائيّة الواردة في المدوّنة وجدنا أنّ ظاهرة الإستلزام الحواري برزت بوضوح في خطاب سورة مريم، وقد تمثّلت في خروج أغلب الأساليب (الخبريّة والإنشائيّة) عن معانيها الأصليّة إلى معانٍ مستلزمة تُفهم من خلال السّياق الّذي وردت فيه؛ أي أنّ أغلب الملفوظات كانت تَحمل دلالّتين حموليتين الأولى حرفيّة صريحة، والثانية مستلزمة ضمنيّة، فقد خرج الخبر إلى معانٍ عديدةٍ منها: إظهار الضّعف، القدرة والإرادة، الخوف والرّهبة، الإنكار، التّهديد ..... والأمر نفسه نجده بالنسبة للأساليب، الإنشائيّة (الاستفهام، الأمر، النّهي، النّداء) والّتي خرجت في أغلبها إلى معانٍ فرعيّة مستلزمة مثل: التّعجب، الإنكار، التّهديد، الدّعاء، النصح والإرشاد ... أما التمنّي فقد ورد مرّة واحدة في المدوّنة وكان حقيقيًّا.

خاتمة

في ختام هذا البحث الموسوم ب" الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة مريم أنموذجا" توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– التّداولية اتّجاه لساني حديث جاء كردّ فعل على النّظريات السّابقة الّتي تعاملت مع النّصوص كبنية شكليّة مغلقة.

– اختلاف المذاهب ووجهات النّظر الفكريّة والمعرفيّة أدّى إلى صعوبة تحديد مفهوم التّداولية.

– التّداولية انبثقت من رحم الفلسفة التّحليلية.

– رغم اشتباك التّداولية مع مختلف العلوم والمعارف إلّا أنّها استطاعت أن تصبح تخصّصا لسانيّا له موضوع خاص ومنفرد عن باقي التّخصصات الأخرى، وذلك باهتمامها بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال دون إهمال المعنى الّذي يحدّده السّياق.

– يقوم البحث التّداولي على عدّة أبعاد لدراسة الظّواهر اللّغوية تتمثّل في: الإشاريات، أفعال الكلام، الحجاج اللّغوي، الاستلزام الحواري، متضمّنات القول (الافتراض المسبق، الأقوال المضمرة).

– الإشاريات علامات لغوية خاليّة من أيّ معنى في ذاتها، ولا يتحدّد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب التّداولي الّذي ترد فيه، وهي خمسة أنواع: إشاريات شخصيّة، إشاريات مكانيّة، إشاريات زمانيّة، إشاريات الخطاب، إشاريات اجتماعية.

– وردت الأنواع الخمسة في سورة مريم وقد تضافرت جميعها في إضاءة مختلف جوانب الخطاب القرآني (نحوي دلالي، تداولي)، وساهمت في اتّساقه وربط أجزائه، ممّا ساهم في تحقيق المقاصد والأهداف الّتي يسعى إليها باعتباره يخاطب الإنسان عقلا ووجدانا، ويحمل في طيّاته قيّمًا أخلاقية ودينية واجتماعية وعلمية تستدعي إعمال الفكر والتّدبر لفهمها.

– نظريّة أفعال الكلام هي الرّكن الأساسي للتّداولية وهي تتأسّس بدورها على "مفهوم الفعل الكلامي" الّذي يراد به ما ينجزه المتكلّم من خلال عملية التّلفظ.

– مرحلة التّأسيس لهذه النّظرية كانت مع "أوستين""Austin"من خلال أعماله الفلسفية ذات الطبيعة اللّسانية حيث اعتبر هذا الأخير أنّ وظيفة اللّغة ليست الوصف والتّعبير بل إنّ وظيفتها الأساسية هي التّأثير.

– قسّم "أوستين""Austin" الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام وهي: فعل القول، الفعل المتضمّن في القول، الفعل النّاتج عن القول، وحدّد خصائص هذا الفعل في ثلاث نقاط: أنّه فعل دال، فعل إنجازي، فعل تأثيري.

– مرحلة البناء لهذه النّظرية جاءت مع "سورل""Searle" حيث نقد أستاذه " أوستين" "Austin" وأضاف عنصرا رابعا إلى تقسيمه وهو الفعل القضوي.

– تنوعت واختلفت الأفعال الكلاميّة في سورة مريم حيث نجد الأفعال التقريرية هي الأكثر حضورا، وتتجلّى في آيات التّبشير والوعد والوعيد، ثم تليها الأفعال الطلبيّة، إذ أنّ السورة بأكملها يمكن اعتبارها فعلا إنجازيا عاما وشاملا يتكون من أفعال صغرى فرعيّة.

– الحجاج مبحث تداولي يركّز على الأساليب الّتي يستعملها المتكلّم للتّأثير على المتلقّي وإقناعه، وهو متجذّر في اللّغة ولصيق بها، وبذلك فالوظيفة الأساسية للّغة هي الوظيفة الحجاجية وليست الوظيفة التّواصلية الإخبارية.

– انبثقت نظريّة الحجاج في اللّغة من داخل نظرية أفعال الكلام على يد " ديكرو""Ducrot" الّذي سعى إلى إثبات فكرة عامّة مفادها أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتيّة وجوهريّة وظيفة حجاجية.

– الخطاب القرآني خطاب حجاجي، بما فيه من إعجاز وحجج قيّمة وهذا تحقيقا للهدف الّذي يرمي إليه وهو التّأثير في المخاطب وإقناعه.

– تضمّنت سورة مريم العديد من الآليات الحجاجية اللّغوية (روابط وعوامل حجاجية)، وقد كان لها دور بالغ في تحقيق انسجام الخطاب والعمل على تماسكه ممّا سهّل تلقيه وفهمه والاقتناع به.

– الاستلزام الحواري هو أحد المفاهيم التّداولية، يقوم على أنّ جمل اللّغة تدلّ في أغلبها على معان صريحة وأخرى ضمنية تتحقّق دلالتها من خلال السّياق.

– هذا المفهوم جاء به "غرايس" "Grice"وقام من خلاله بوضع القواعد والأسس الّتي تضبط قوانين المحادثة وتتمثّل في: قاعدة الكيف، قاعدة الكم، قاعدة المناسبة وقاعدة الطّريقة، وأي خرق لقاعدة من هذه القواعد يعدّ استلزاما تخاطبيّا.

– تطرّق العلمّاء العرب لظاهرة الاستلزام الحواري من خلال حديثهم عن الخبر والإنشاء، وخروج أساليبها عن معانيها الأصلية إلى معان مستلزمة، وبذلك كانوا سبّاقين إلى هذه النّظرية اللّسانية.

– برزت ظاهرة الاستلزام الحواري بوضوح في خطاب سورة مريم حيث خرجت أغلب الأساليب (خبرية وإنشائية) عن معانيها الأصلية إلى معان مستلزمة تفهم من خلال السّياق الّذي وردت فيه .

– الافتراض المسبق يفترض وجود معلومات سابقة متعارف عليها بين المتلقّي والسّامع، وذلك لأجل عملية تواصليّة ناجحة.

وفي الأخير وككلّ بحثٍ لاقى فيه صاحبه مشقّة وعناء، لم يبق إلّا ضمير يهوّن من الجهد المبذول ويحثّ على المثابرة والمزيد، وأطياف ذكريات ممتعة على درب هذا الطّريق الشّاق والمفيد، فنسأل الله أن يجعل عملنا مقبولاً، وأن يعيننا على مواصلة الدّرب، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النّصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

كتب التفسير:

1- أبو الفداء اسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مج 3، ط3 2002.

2- أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج13، ط1، 2006.

3- أبي السعود محمد بن محمد العمادي: تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مرايا القرآن الكريم)، دار المصحف، لبنان، ج5.

4- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ، 1946م.

5- الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى البار، ج1، دط، دت.

6- الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض ط1، 1998.

7- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، دط، 2003.

8- السيد الهاشم الحسيني البحراني: البرهان في تفسير القرآن، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة بيروت، لبنان، ج3، ط1، 1414هـ.

9- الطبري: تفسير الطبري (من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن)، تح: دهام فارس الحرساني، جواد معروف، مؤسسة الرسالة، مج5، دط، دت.

10- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونيسية للنشر، تونس، ج16، 1984.

11- محمد متولي الشـعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، دط، دت.

12-محمد الحسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، شبكة الفكر، قدس سره، ج14، دط، دت.

13 - أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 1993 .

مصادر ومراجع عربية:

14- أحمد عبد الحليم عطية: الفلسفة التحليلية، ماهيتها، مصادرها، ومفـكروها، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتجية، بيروت، لبنان، ط1، 2019.

15- أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983 ط2، 1987.

16-أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، دط،2017.

17-أبو الهلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) تح: محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 185.1986

19-أحمد فتحي رمضان الجباني: الكناية في القرآن الكريم، موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار عيداء، عمان ط1،2014.

20- أحمد المتوكل: الخطاب و خصائص اللّغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

21-أكرم رضا: بالقرآن نجدد الحياة (قراءة تدبرية في سورة مريم) شركة ألـفا، صلاح ناصف، الهرم، ط1 2008.

22- أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006 .

23- إدريس مقبول: الأسس الإبستيمولوجية والتّداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، ط1 2008.

24-بشرى البستاني: التّداولية في البحث اللّغوي والنقدي، مؤسسة السباب، لندن، ط1، 2011 .

25- بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التّداولية، شمس للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2010 .

26-الجاحظ: البيان والتبيين، تقديم وتبويب وشرح: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج1، ط1 1988.

27- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، الألوكة، ط1، 2015.

28- جواد ختام: التّداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016 م، 1437 هـ.

29- الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن الكريم، تح: عبد العزيز سيدا الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1983.

30- خليفة بوجادي: في اللّسانيات التّداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة الجزائر،ط1،2010.

31- ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2 2012.

32- رابح بوحوش: اللّسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدار للكتاب العالمي عمان، الأردن، ط1، 2007.

33- سمير الشريف استيتية: اللّسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005.

34- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

35- سيد هاشم الطباطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت،1991.

36- صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التّداولية (قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني)، دار صفحات للدراسات والنشر، دط، 2011.

37- صابر الحباشة : الأسلوبية والتّداولية (مداخل لتحليل الخطاب)، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011.

38- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، كويت، دط، 1923 -1990 .

39- صلاح الدين صالح حسين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، دت.

40- ضياء الدين الأعلمي: خواص القرآن وفوائده، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1 2000.

41- طه عبد الرحمان: تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، دت.

42- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

43- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م-1432هـ.

44- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية، جامعة منوبة، تونس، ط1، 2001.

45- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، إفريقيا الشرق المغرب،الدار البيضاء، ط2، 2012.

46- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

47- عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2005.

48- عصام العبد زهد: مفهوم الخطاب القرآني للمؤمنين في ضوء سورة النور، الجامعة الإسلامية، غزة، دط دت.

49- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة، المتحدة بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.

50- عمر بلخير: مقالات في التّداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2013.

51- عبد الغفار حامد هلال: علم اللّغة بين القديم والحديث، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ط2 1986م، 1406هـ.

52- القزويني الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1 1904.

53- كامل موسى، علي دحروج: التبيان في علوم القرآن، دار بيروت المحروسة، بيروت، لبنان، دط، 1991.

54- مصطفى الصاوي البحويني: البلاغة العربية (تأصيل وتجديد)، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1985.

55-معن توفيق دحام الحيالي: المدح والذم في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

56-محمد البارودي: إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط 2000.

57- محمد مصطفوي، أساسيات المنهج والخطاب في الدرس القرآني وتفسيره، فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2009، ط2، 2017.

58- محمد فاروق النبهان: المدخل إلى علوم القرآن، دار عالم القرآن، حلب، سوريا، ط1، 2005.

59- محمود عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية (التّداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب القاهرة، دط، 2012.

60- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002.

61- محمد محمود السيد أبو حسين: الدرس التداولي في ضوء علم اللّغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي القاهرة، دط، 2010.

62- مسعود الصحراوي: التّداولية عند علمّاء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

63- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، ط2، 2007.

64- الملا علي القاري: تفسير الملا علي القاري، تح: ناجي السوير، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج3.

65-نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.

نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث،

66- جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009.

67-وليد المهدي: بغية السائل من أوابد المسائل، دار الراف، دط، دت.

المراجع المترجمة:

68- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمّات)، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق دط، 1991.

69- آن روبول، جاك موشلار: التّداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس.

70- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللّسانيات التّداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، دت.

71- جون سيرل: العقل واللّغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العربية، الجزائر، ط1، 2006م،1427هـ.

72- جورج يول: التّداولية، تر: قصى العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

73- فان ديك: علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1،2001.

74- روى-سي-همجان: اللّغة والحياة والطبيعة البشرية، تر: داود حلمي أحمد السيد، عالم الكتب، القاهرة ط2، 2000.

75- سارة ميلز: الخطاب، تر: يوسف بغول، مطبعة البعث، قسنطينة،الجزائر، دط.

76- فرديناند دي سوسور: علم اللّغة العام، تر: بوئيل يوسف عزيز، مر: مالك يوسف المطلبي، سلسلة كتب شهرية تصدر عن آفاق عربية، الأعظمية، بغداد، دط، 1985.

77- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، دط، دت.

78- قولفجانج هاينه مان، ديتر فيهقمر: مدخل إلى علم النص، تر: سعيد حسن البحيري، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ط1، 2004.

79- كاثرين كيربرات – أوريكيوني: المضمر، تر: ريتا خاطر، مر: جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2008.

80- كلود حجاج: إنسان الكلام مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، تر: رضوان ظاظا، مر: مصباح الصمد بسام بركة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

81-محمد شيباني، مر: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

82- ميشل فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1994.

المجلات:

83- باديس لهويمل: التّداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، بسكرة،الجزائر، العدد7، 2011.

84- جميلة رقاب: نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي و اللّسانيات التّداولية (أوستين وسورل نموذجا)، مجلة الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، العدد159، 2016 .

85- الحسين أخدوش: نظرية أفعال اللّغة لدى الفيلسوف أوستين، أسسها وحدودها الفلسفية، مجلة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، أكدال، 21 أكتوبر2016.

86- زينب عادل محمود الشمري: قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراءت207هـ، (دراسة تداولية) مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد32، نيسان،2017.

87- عايد جذوع حنون، ثائر عمران شدهان: العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، المجلد9، العدد4، 2018.

88- عبد الرحيم حمدان حمدان: تجليات أسلوب النداء في سورة مريم عليها السلام، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الاجتماعية والإنسانية، العدد45، 2018.

89- عمر جايلي: نظرية الحجاج اللّغوي عند "اوزفالد ديكرو" و"أنسكومبر"، مجلة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، العدد3، 2018.

90- عمر بوقمرة: التّداولية الجذور والروافد (قراءة كرونولوجية)، مجلة آفاق علمية، دورية نصف شهرية،المركز الجامعي تمنراست، العدد13، 2017.

91- عقيل عكموش عبد: الدلالة النفسية في سورة مريم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العددان3-4، مج6، 2007.

92- ليندة قياس: تداولية الاشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي، مجلة أبوليوس، العدد9، جوان 2018.

93- منى فهمي محمد غيطاس: الخطابة والتّداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي، مجلة الدراية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، القاهرة، العدد15، 2015.

94- مختار الفجاري: مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللّغة العربية، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد3، 2014.

95- مقبول ادريس: البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد33، سبتمبر2004.

96-ياسمينة عبد السلام: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، بمجلة المخبر، العدد10 ،2014.

97- يوسف بن خلف بن مهدي الحارثي: مجلة التعريض بالقذف(حكمه، عقوبته)، العدد 8، السنة الثانية شوال 1421هـ.

مقالات:

98- ابتسام صغيور: مقال: دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي (دراسة تطبيقية في سورة الأعراف)، مقال من الانترنت، جامعة المسيلة .

99- فاروق المواسي: التعريض في البلاغة، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، السبت 27 كانون الثاني (يناير) 2018.

100-حكيمة بوقرومة: نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سيرل" ودورها في البحث التداولي، قسم اللّغة والأدب العربي، مقال من الأنترنت، جامعة مسيلة، 15-10-2013.

101-كمال بخوش: الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، مخبر تعليمية اللّغة والنصوص، جامعة المدية العدد رقم9، جانفي جوان2016 .

رسائل وبحوث جامعية:

102- أحمد محمد الشرقاوي: التفسير الموضوعي لسورة مريم، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة 2007.

103- أمينة رابح: مقاصد السور القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية، أطروحة دكتوراه، إشراف: لخضاري لخضر، جامعة وهران، 2012- 2013.

104- حازم طارش حازم: التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية)، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية كل

105- سارة قطاف: الخطاب السردي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع (مقاربة تداولية)، إشراف: الجودي مرداسي، مذكرة ماجيستير، 2012-2013.

106- سيد ابراهيم سيد ناصر: سورة مريم دراسة لغوية، إشراف: يوسف عبد الرحمان الضبع، رسالة ماجستير في النحو والصرف، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1989.

107- ليلى كادة: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية (ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا)، أطروحة دكتوراه مخطوطة، جامعة باتنة.

108- مها محمود ابراهيم العاتوم: تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث (دراسة مقارنة في النظرية والمنهج) إشراف: سمير قطامي، مذكرة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004.

109- نصيرة بن شريط: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفرابي، إشراف: قويدر شنان، مذكرة دكتوراه، 2016-2017.

معاجم وقواميس:

110- ابن فارس: معجم مقاييس اللّغة، تح وضبط: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

ط2، 2008.

111- ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، ط1 2005م.

112- إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: معجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.

113- باتريك شارودو، دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناتر، تونس، دط، 2008.

114- الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1998.

- أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

115- شوقي ضيف: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، دط، 2004.

116- الفيروز آبادي: قاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 2009.

117- Yousof M .Reda : AL-KAMEL Dictionnaire Du Français classique, contemporam (Français,Arabe) , Libraire de liban Publisher, liban .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
مقدمة.....	أ- د
الفصل الأول: التداولية والخطاب.....	**07**
المبحث الأول: مفهوم التداولية.....	07
المطلب الأول: التداولية لغة.....	07
المطلب الثاني: التداولية اصطلاحا.....	10
المبحث الثاني: نشأة التداولية و تطورها.....	13
المطلب الأول: نشأة التداولية عند الغرب.....	13
المطلب الثاني: نشأة التداولية عند العرب.....	17
المبحث الثالث: مهام التداولية و اتّجاهاتها.....	21
المطلب الأول: مهام التداولية.....	21
المطلب الثاني: اتّجاهاتها.....	22
المبحث الرابع: درجات التداولية و علاقتها بالعلوم الأخرى.....	26
المطلب الأول: درجات التداولية.....	26
المطلب الثاني: علاقتها بالعلوم الأخرى.....	27
المبحث الخامس: الخطاب و الخطاب القرآني.....	34
المطلب الأول: مفهوم الخطاب	34
المطلب الثاني: الخطاب القرآني	40
الفصل الثاني: الأبعاد التداولية	**44**
المبحث الأول: الإشاريات	45
المطلب الأول: تعريفها	45
المطلب الثاني: أنواعها.....	46

المبحث الثاني: أفعال الكلام 49
المطلب الأول: مفهوم أفعال الكلام..... 49
المطلب الثاني: أفعال الكلام عند أوستين"مرحلة التأسيس" 50
المطلب الثالث: أفعال الكلام عند سورل"مرحلة البناء"..... 57
المطلب الرابع: أفعال الكلام بعد أوستين و سورل 65
المبحث الثالث: الحجاج اللغوي 68
المطلب الأول: مفهوم الحجاج..... 68
المطلب الثاني: السلم الحجاجي وقوانينه 70
المطلب الثالث: العوامل والروابط الحجاجية 73
المطلب الرابع: المبادئ الحجاجية والتوجيه الحجاجي 76
المبحث الرابع: الاستلزام الحواري..... 80
المطلب الأول: مفهومه و أنواعه 80
المطلب الثاني: خصائصه 81
المطلب الثالث: مبدأ التعاون عند غرايس 83
المطلب الرابع: المعاني المستلزمة عن الخبر والانشاء عند العرب 84
المبحث الخامس: متضمنات القول..... 96
المطلب الأول: الافتراض المسبق 96
المطلب الثاني: الأقوال المضمرة 99
الفصل الثالث:الأبعاد التداولية في سورة مريم 101
المبحث الأول: وصف المدوّنة 102
المطلب الأول: في رحاب السورة..... 102
المطلب الثاني: خلاصة لما تضمنته السورة الكريمة من الأغراض والمقاصد 103

المطلب الثالث: القصص الواردة في السورة 105
المبحث الثاني: الاشاريات في سورة مريم 106
المطلب الأول: الاشاريات الشخصية 106
المطلب الثاني: الاشاريات الزمانية 111
المطلب الثالث: الاشاريات المكانية 113
المطلب الرابع: الاشاريات الخطابية 117
المطلب الخامس: الاشاريات الاجتماعية 118
المبحث الثالث: الأفعال الكلامية في سورة مريم(حسب تصنيف سورل) 120
المطلب الأول: الأفعال التوجيهية (التوجيهيات أو الطلبيات أو الأمريات) 120
المطلب الثاني: الأفعال الالتزامية (الوعديات) 138
المطلب الثالث: الأفعال الإخبارية(التقريرية) 142
المطلب الرابع: الأفعال التعبيرية (الإفصاحيات أو البوحيات) 154
المطلب الخامس: الأفعال الإعلانية (التصريحات أو الإيقاعيات) 157
المبحث الرابع: الحجاج اللغوي في سورة مريم 164
المطلب الأول: الروابط الحجاجية 164
المطلب الثاني: العوامل الحجاجية 175
المبحث الخامس: الاستلزام الحواري في سورة مريم 185
المطلب الأول:المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبرية 185
المطلب الثاني:المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائية 193
خاتمة 215
قائمة المصادر والمراجع 220
فهرس المحتويات 232

ملخص

توصلنا من خلال تتبع ودراسة الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني وبالتحديد في صورة مريم إلى الكشف عن عدد من الظواهر والقضايا اللغوية التي تعد من صميم الدرس التداولي الحديث (الإشاريات، الأفعال الكلامية، الحجاج والاستلزام الحواري).

وقد جاء هذا البحث مقسما إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، في الفصل الأول كان الحديث عن مفهومي التداولية والخطاب بشكل عام، وفي الفصل الثاني عن الأبعاد التداولية أما الفصل الثالث والأخير فتطرقنا فيه إلى أربعة أبعاد تداولية في صورة مريم، لنختم بأهم النتائج.

الكلمات المفتاحية:

التداولية، الأبعاد التداولية، الاشاريات، الأفعال الكلامية، الحجاج، الاستلزام الحواري.